سلسلة الثقافة والعلوم

٥

الكُوفة

في عيون الرحالة والمستشرقين

تأليف:
رسول كاظم عبد السادة



نشر مجمع الذخائر الإسلامية- مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر
قم المقدسة - النجف الأشرف

بمناسبة المؤتمر الدولي الأول للتراث المشترك بين إيران و العراق
٢٠١٥ م / ١٤٣٦ هـ

الكوفة
في عيون الرحالة
والمستشرقين

بسم الله الرحمن الرحيم



سرشناسه :عبدالسادة، رسول کاظم

عنوان و نام پدیدآور :الکوفة فی عیون الرحالة و المستشرقین

مشخصات نشر :قم: مجمع الذخائر الاسلامیة. النجف‌الاشرف: مرکز النجف الاشرف للتألیف و التوثیق و النشر، ۱۳۹۳.

مشخصات ظاهری :۲۱۰ ص.: مصور (بخشی رنگی).

فروست :سلسله الثقافه والعلوم؛ ۵.

شابک :۳۲۰۰۰۰ ریال ۲-۸۱۳-۹۸۸-۹٦٤-۹۷۸:

وضعیت فهرست نویسی :فیپای مختصر

یادداشت :فهرستنویسی کامل این اثر در نشانی: http://opac.nlai.ir قابل دسترسی است

یادداشت :کتابنامه.

شناسه افزوده :مجمع ذخائر اسلامی

شناسه افزوده :مرکز النجف الاشرف للتألیف و التوثیق و النشر

شماره کتابشناسی ملی :۳۷۸۵۳۲۷

الكوفة
في عيون الرحالة
والمستشرقين

تأليف

رسول كاظم عبد السادة

إشراف

ز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر

سلسلة الثقافة والعلوم/ ٥



نشر مجمع الذخائر الإسلامية- مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر

الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين

تأليف: رسول كاظم عبد السادة

صفحه آرا: سيد محمد معلم

چاپ: ظهور / صحافی: نفیس

نوبت چاپ: اول ـ ١٣٩٣ ش (٢٠١٥م)

قيمت: ٣٢٠٠٠ تومان/٣٥ دلار

شابك: ٢-٨١٣-٩٨٨-٩٦٤-٩٧٨

ISBN: 978-964-988-813-2

ارتباط با ناشر

قم: خيابان طالقانی (آذر)- كوی ٢٣ - پلاک ١ - مجمع ذخائر اسلامی

تلفن: ٧٤٠ ٧٧١٣ ٢٥٣ ٩٨+ دورنگار: ١١١٩ ٧٧٠ ٢٥٣ ٩٨+ همراه: ٤٣٣٥ ٢٥٢ ٠٩١٢

www.zakhair.net www.mzi.ir

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين محمد وآله الغر الميامين

اما بعد: لا يخفى ما لمدينة النجف الاشرف من أهمية علمية وثقافية منذ حلول شيخ الطائفة الطوسي سنة ٤٤٨ هجري وحتى عصرنا الحاضر، فقد كانت امتداداً لمدرسة الإمام علي (عليه السلام) وتطبيقاً لمنهجه العادل، فانشأ الشيخ الطوسي (قدس سره) هذه الحوزة العريقة، وهذا التجمع العلماني، واحتضنته هذه المدينة المقدسة. وكان لها الدور البارز والمؤثر في نشر علوم اهل البيت عليهم السلام الذي يمثل الخط المحمدي الاصيل في فكره وفي جميع مجالات الحياة.

وان من اهم عوامل ازدهار هذه المدينة المقدسة ونجاح حوزتها هو مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) فيها، فسارت تلك العلماء على نهجه فأنتجت وأثمرت ونشرت المعارف الإسلامية ووقفت مواقفها المشهودة في مختلف الاصعدة الانسانية.

ولكن الكثير من هذه المعارف والكتب والوثائق التي انتجتها علماء هذه المدينة المباركة بقي في المكتبات والبيوت محفوظاً لم ير النور ولم يسلط عليه الضوء، فانبرت ثلة من المهتمين بهذا الامر فأسّسوا مركزاً لحفظ ونشر هذا التراث باسم (مركز النجف الاشرف للتأليف والتوثيق والنشر) عام ٢٠١٠ ميلادي، وقام بالتأسيس والإشراف عليه الشيخ علي مرزه وكل من الشيخ محمد الكرباسي والشيخ مازن القرشي. فقد عملنا ليلاً ونهاراً على جمع وحفظ وتحقيق هذا التراث الانساني المخزون .

وكان هذا المركز الرافدَ الاهم للمشاريع الثقافية عندما اختيرت النجف الاشرف عاصمة للثقافة الاسلامية عام ٢٠١٢ ميلادي، فقد جمع وأنجز الكثير من المخطوطات والوثائق والأعمال.

ومركز النجف الاشرف للتأليف والتوثيق والنشر يعدّ البذرة الاولى في هذه المدينة المقدسة، ويحتوي على الكثير من كنوز النجف الاشرف من ملايين الوثائق والصور والمخطوطات، فهو يهتم بجمع الوثائق والمخطوطات والصور وتحقيق الاهم منها. وهو الآن يستقبل الباحثين ويرفدهم بالمادة الأساسية لبحوثهم.

ولا باس بإشارة اجمالية لمجمل أعمال المركز نرجو من الله التوفيق والاستمرار:

ففي جانب التأليف قد عمل (١٧) موسوعة في مختلف المجالات، واليك ايها القارئ نبذة مختصرة عن هذه الموسوعات:

١- موسوعة النجف الاشرف العلمية : عدد المجلدات لهذه الموسوعة اكثر من (١٢) مجلداً تحتوي على رسائل كثيرة كل مجلد في علم من العلوم فقد اشتملت على علم القران، وعلم الدراية والحديث، وعلم الاديان، وعلم الفقه ، وعلم الاصول ، وعلم الاقتصاد ، وعلم الرياضيات ، الى غير ذلك من العلوم.

٢- موسوعة النجف الاشرف الوثائقية : عدد المجلدات أكثر من (١٢) مجلداً يحتوي كل مجلد على ٣٥٠ وثيقة وكل مجلد مخصوص بموضوع معين مثل الوثائق السياسية، الاجازات، المراسلات، الاحداث، الوثائق الادارية وغير ذلك.

٣- موسوعة الاسر العلمية في النجف الاشرف: عدد المجلدات (٤).

٤- موسوعة أعلام الفكر في النجف الاشرف: عدد المجلدات (٤).

٥- موسوعة شعراء النجف الاشرف: عدد المجلدات (٥). تحتوي الموسوعة على تراجم لشعراء النجف الاشرف ونبذة من شعرهم في الفترة (١٩٤٥- ٢٠١٢) ميلادي.

٦- موسوعة وثائق العتبات المقدسة في العراق : عدد المجلدات (٥).

٧- موسوعة النجف الاشرف في الصحف العربية : عدد المجلدات (٢).

٨- موسوعة علماء البلدان الذين درسوا في النجف الاشرف: حوالي (٨) مجلدات.

٩- موسوعة النجف الاشرف في الصحف الفارسية من العهد القاجاري.

١٠- موسوعة النجف الاشرف الرياضية.

١١- موسوعة الاماكن في النجف الاشرف.

١٢- موسوعة مجالس النجف الاشرف: تحتوي على المجالس العلمية والأدبية.

١٣- معجم مطبوعات النجف الاشرف.

١٤- معجم مؤلفي النجف الاشرف.

١٥- البوم صور لاقدم الصور للعتبات المقدسة في العراق من عهد ناصر الدين شاه القاجاري.

١٦- مختصر نهج الصواب في المكتبة والكاتب والكتاب.

١٧- مختصر الحصون المنيعة في تراجم علماء الشيعة.

اما في الجانب التوثيقي فقد جمع الملايين من الوثائق والصور. واهم الاراشيف التي تم الحصول عليها الارشيف القاجاري، الارشيف العثماني ،الارشيف البريطاني، بالاضافة إلى وثائق الأسر النجفية. وقام المركز بطبع بعض هذه الوثائق على ورق يحاكي ورق الوثيقة في قدمه .

واما في جانب المخطوطات فقد حقق الكثير من المخطوطات وجمع الكثير من المكتبات من مختلف المكتبات في ارجاء المعمورة.

واما ما قام به من اعمال اخرى فقد خط المركز اطول مصحف للقران الكريم ، وخط بايدي نجفية مصحف النجف الاشرف، وقام بعمل سيدي تعريفي عن امير المؤمنين (عليه السلام).

.. الى غير ذلك من الاعمال.

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الكثير الى سماحة السيد صادق الحسيني الاشكوري رئيس مجمع الذخائر الاسلامية على هذا التعاون الثقافي الذي تمثل بطبع قسم من اصدارات المركز بمناسبة المؤتمر الدولي الأول للتراث المشترك بين ايران والعراق تحت عنوان (سلسلة الثقافة والعلوم)، واشكر كل من ساهم بهذا العمل المبارك.

الشيخ محمد الكرباسي

مركز النجف الاشرف

للتأليف والتوثيق والنشر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين:

المعلوم أن دراسة المدن التاريخية مما يعين على فهم الكثير من أسرار الحوادث في التاريخ، ويفسر الكثير من التحديات التي تواجه المؤرخ حين يقف أمام غموض الأخبار وتدليس الناقلين لها، لا سيما إذا كانت هذه الدراسة مستندة الى أناس محايدين هدفهم الوحيد تعين الأماكن وضبط الحوادث والنصوص خدمة للعلم.

ومن هؤلاء: الرحالة الذين يجوبون الأقطار ويرصدون العادات والتقاليد والديانات في البلدان التي يدخلونها.

ومنهم الذين شدّوا الرحال لتقصي البلدان ومرّوا بمدينة هي أول عاصمة إسلامية خارج الجزيرة العربية،ألا وهي الكوفة.

((مدينة العراق الكبرى، وصرة بابل، والمصر الأعظم، مجمع الأنبياء وجمجمة العرب، ورمح الله وكنز الإيمان، وهي قبة الإسلام، وكوفة الجند، ودار هجرة المسلمين، ودار الملك، أهلها أهل الله، وهي معبد الملائكة قبل آدم، والبقعة المباركة التي بارك الله فيها، وهي أيضاً معبد آدم وما بعده من الأنبياء والمرسلين، ومعبد الأولياء والصالحين والصديقين، مسجدها أحد المساجد الأربعة، من زاويته فار التنور، وعند الأسطوانة الخامسه صلّى إبراهيم الخليل، وما من نبي ولا عبد صالح إلّا وقد صلى فيه)).[١]

في هذا البحث سنتوقف عند مجموعة من هؤلاء الرحالة والمستشرقين الذين هم من جنسيات مختلفة، وأديان متعددة، وأزمان متباعدة، لنطلع على ما كان يجري في تلك

---

(١) من كلمة للعلامة المرحوم الدكتور حسين علي محفوظ. قالها في ذكرى الإحتفال بألفية الكوفة؛ مجلة الكوفة، المجلد الخامس ع١، سنة ٢٠٠١م ص٧.

المدينة المقدسة، لكن بعيون هؤلاء الذين عانوا كثيراً في مثـل تلـك الـرحلات لتصـل إلينـا الأخبار عن الكوفة وأهلها وعمرانها.

وجعلنا الكتاب قسمين: الأول للرحالة، والقسم الثاني للمستشرقين، وكـان هنـاك بعـض المستشرقين قد تعاملنا معهم بكلا القسمين معاً، فمرة قاموا برحلة إلى الكوفـة ومـرة أخـرى دوّنوا كتابات بحثية استشراقية كمثل ماسينيون، فكان لهم نصيب في القسمين معاً.

نسأل الله أن نكون قد وفّقنا في ذلك، وصلى الله على محمـد وآلـه الطيبـين الطـاهرين، والحمد لله رب العالمين أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً.

القسم الأول

الكوفة
في عيون الرحالة

الرحالة الصيني دو هوان

ذكر البرفيسور الصيني زانـج هـو (prof zhang who) فـي كتابـه بـين عمـان والصـين (Between Oman and China) واقعة تأريخية تعد واحدة من أقدم الصلات التـي تـربط الصين بالعالم العربي الإسلامي، عندما كان رحالـة صـيني اسـمه (دو هـوان) قـد أسـر فـي الشرق خلال معركة نهـر طـلاس سـنة ٧٥١ م وكـان هـذا الرحالـة ابـن شـقيق(دويو)العالم الصيني المشهور في أسرة هوان حمل إلى الكوفة، عاصمة الخليفة العباسي وكان العباسـيون في أول سني حكمهم وكان على ارجح خلال ولاية داود بن علـي بـن عبـد اللـه عيسـى بـن موسى بن محمد للكوفة،وقد شمله الوالي برعايته وحمايته فعاش في الكوفة وتنقل في البلاد طيلة (١٢) عاماً، واد إلى مدينة كانتون عـن طريـق خلـيج البصـرة فـي سـفينة تجاريـة عـام (٧٦٢م) وقد سجل جميـع تنقلاتـه فـي كتـاب عنوانـه(جينح اكسـنبح جـي) أي سـجّلات الترحال.

ويقول البرفسور زانج هو:

إن ما يبعث على الأسى أن الكتاب الأصلي قد فقد ولكن لحسن الحظ اقتـبس عمـه (دو يو) فقرات من كتابه عندما وضع كتاب (تونج نيان) (مسـتودع المـواد الأصـلية عـن التـأريخ السياسي والإجتماعي) وبذلك نستطيع أن نلم ببعض مضمون كتاب جينج اكسنج جي.

وقد حكى دون هوان عن إزدهار الحكم العباسي في أيامه الأولى فقال: إن كل شيى ينـتج على وجه البسيطة يجده المرء متوفراً في هذه المدينة وفي شوارعها وازقتها وقد جمعت هـذه المنتجات من كل مكان والسلع متوفرة ورخيصة والأسواق حافلة بأنواع المجوهرات والحلي الثمينة المختلفة، وجميع الأسواق والشوارع تكتظ بقواف الجمال والخيول والحمير والبغـال المحملة بالبضائع.

وقال: إن الخمر محرمة في الاسلام، وموسيقي الطرب غيـر مسـموح بهـا وقـال: وهنـاك مكان للعبادة يتسع لعدة عشرات الألوف من المصلين، ويـأتي الملـك (الـوالي) فـي اليـوم

السابع من كل أسبوع للصلاة، ويلقي خطبة من فوق منبر، إنه طبقا لقانون دا- شي إن الأشخاص يحكم عليهم أساتذتهم وأقاربهم حتى ولو ارتكبوا اخطاء صغيرة وهم لا يستاوون في حالة تعرضهم للعقاب.

إن المسلمين لا يأكلون لحم الخنزير أو الكلاب أو الحمير أو الخيول وهم لا يركعون حتى للملوك أو لآبائهم ولا يؤمنون بتعدد الآلهة والأشباح وهم لا يسجدون إلا لإله واحد فقط ومن عاداتهم إن لهم عيداً كل سابع يوم، وفي ذلك اليوم لا تكون هناك مساومة أو محاسبة (أنا لا نكاد نجد مثل هذا الوصف المسهب عن الإسلام في كتب أسرة سونج ويون).[1]



---

(١) الطريحي: محمد سعيد، العتبات المقدسة في الكوفة ص ١٧٤، ط٤ المجمع العلمي الفاطمي – أكاديمية الكوفة ٢٠١٠ هولندة.

الرابي بنيامين التطيلي[1]

هو أول رحالة أوربي وصل إلى الصين ومر بالشرق الأوسط ومنها الكوفة الا انه كان مختصاً بشؤون اليهود وتواجدهم في البلدان لذلك تعد رحلاه من الأهمية بمكان حيث بين لنا عدد اليهود حين وصل إليها ولسن على علم تفصيلي بمصادر إحصاياته تلك إلا أن اهمية ما ذكر عن الكوفة.

يكمن في معرفة تواجد هذا العدد الهائل من اليهود في ذلك الزمن في مدينة تعد من امهات مدن العالم الإسلامي، وعلى مقربة من عاصمة الإسلام بغداد.

هو أول رحالة أوربي وصل الى الصين، قضى أكثر من ثلاثة عشر سن(١١٦٠- ١١٧٣) في السفر فزار أوربا، الشرق الأوسط، إفريقيا الشمالية، آسيا الوسطى، ووضع كتاباً عن رحلته بعد عودته، وكتابه وصف حي للعالم في القرن الثاني عشر ميلادي ويقدم معلومات قيمة عن الدروز في جبل لبنان وسوريا، وعن طائفة الحشاشين في إيران هو أول رحالة أوربي وصل إلى الصين، قضى أكثر من ثلاثة عشر سن(١١٦٠- ١١٧٣) في السفر فزار أوربا، الشرق الأوسط، إفريقيا الشمالية، آسيا الوسطى، ووضع كتاباً عن رحلته بعد عودته، وكتابه وصف حي للعالم في القرن الثاني عشر ميلادي ويقدم معلومات قيمة عن الدروز في جبل لبنان وسوريا، وعن طائفة الحشاشين[2] في إيران والعراق،وعن طائفة القرانين اليهود في

---

(١) رحلة الرابي بنيامين التطيلي وفيها وصف لأوضاع اليهود في مختلف البلدان ولفرق الدروز والحشاشين وغيرها، ترجمه عن العبرية ودراسة وتعليق وذيل عن فرق اليهود بقلم عزرا حداد، دار ومكتبة بيبليون جبيل – لبنان٢٠٠٨ م.

(٢) إن لفظة حشاشين (assassin) والتي ينبز بها الإسماعيلية ليس معناها تعاطي الحشيشة كما أطلقه الكثير من مؤرخي الملل والنحل عليهم وإنما مرجعها من الكلمة العربية (أساس) لأن الإسماعيلية جعلوا أساس الدين في مذهبهم: الإعتقاد بالإمام الحي وطاعة أوامره لذلك دعوا: الأساسية أو أهل الأساس (دائرة المعارف الاسلامية ٧/٤٤٠).

القسطنطينية ودمشق، وفيه وصف شامل لأوضاع اليهود في مختلف البلدان والقارات التي زارها ووصف لمدن صيدا وصور وعكا والقدس وقد سبق بنيامين في رحلته ما ركو بولو الرحالة البرتغالي الشهير بقرن من الزمن وترجم كتاب أسفاره عن العبرية إلى لغات عديدة وعنوانه بالعبرية(SEFER HA MOSSA AT) أي كتاب الاسفار.

لم يعرف الكثير أن الرحالة بنيامين الططيلي وهو رحالة يهودي من الأندلس ولد بتطيلية حوالي ١١٣٠ م وجل ما يعرف عنه مستقى رحلته هذه أو من مقدمة قصيرة وضعها أحد نساخ الرحلة كان قريب العهد من زمانه يقول كاتبها:

هذا كتاب رحلة بنيامين بن يونه الططيلي[١] النباري[٢] الذي جاب المدن العديدة البعيدة وسجل ما شاهده في الامصار التي مرّ بها عياناً او مما قله عن الثقاة ذوي الأمانة المعروفين لدى يهود إسبانيا وقد أورد أسماء مشاهير العلماء والرؤساء اليهود في الأماكن التي زارها وعاد بمعلوماته إلى قشتاله سنة (١١٧٣ميلادية /٥٦٩هجرية).

قال الرابي في رحلته:

الكوفة[٣]: يقيم بها نحو سبعة آلاف يهودي وفيها قبر يكنيه ملك يهوذا حوله كنيس

---

(١) نسبة إلى تطيلية البلدة المعروفة في شمال إسبانيا تبعد مسافة ٧٨ كم عن سرقسطة على الظفة اليمنى النهر إبرة(ebro)

(٢) نسبة إلى نبارة أو نبرة (Navarre) وجاء في معجم البلدان ج ٥ ـص ٢٥٦:نبارة: في كتاب ابن عبد الحكم: ونزل عمرو بن العاص على مدينة طرابلس الغرب فملك المدينة فكان من بسبرة متحصنين، فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة طرابلس واسمها نبارة وسبرة السوق القديم، فهذا يدل على أن طرابلس اسم الكورة ونبارة مدينتها.

(٣) قال محقق الرحلة عزرا حداد: الكوفة المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق يسميها البعض (خد العذراء) مصرت سنة ١٧ او ١٨ هجرية في أيام عمر بن الخطاب، وكانت الكوفة حاضرة العراق في أيام خلافة الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكانت في صدر الإسلام محطّ رجال العلم والفقهاء ورجال الحرب، وظلّت محتفظة بشهرتها حتى القرن الثالث للهجرة،وكانت الكوفة كذلك من مراكز اليهود المهمة في العراق أن أقام فيها عدد غفير من الجالية التي قدمت إليها من نواحي الحجاز وخيبر، وكانت لهم علاقة وثيقة مع المسلمين في القرن الثاني عشر، ويروى أن بعض اثرياء اليهود من بغداد ومنهم آل
←

لليهود، وفيها أيضاً مسجد كبير للمسلمين، في رحبته مرقد الإمام علي بن أبي طالب صهر نبيهم محمد[١] يحجونه للزيارة والتبرك[٢].

نظيرة كانوا يبعثون إلى الكوفة مقداراً من المال يوزّع على العلويين وبني هاشم (راجع المقدمة على رسائل صموئيل بن علي ص ٢٢) واشتهر من يهود الكوفة موسى بن إسرائيل الكوفي، خدم أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي واختص بخدمته ولد سنة ١٢٥ وتوفي سنة ٢٢٢ هجرية وهرون جهذ بن شيرزاد (طبقات الأطباءج١: ١٦١، تجارب الأمم لابن مسكوية ج٦: ٨-٩).

(١) قال محقق الرحلة عزرا حداد: يقصد الرحالة مسجد الكوفة الشهير الذي خططه فاتح العراق سعد بن أبي وقاص في عام هجرية/٦٣٨م ولا تزال إطلاله قائمة إلى اليوم بظاهر ناحية الكوفة، أما قوله بأن فيه مرقد الإمام علي بن أبي طالب فلا ينطبق على الواقع فإنه وإن ذهب البعض إلى أن الإمام (رضي الله عنه) دفن في رحبة مسجد الكوفة فان إجماع الشيعة الإمامية بأن مرقد الإمام بالغري من نجف الكوفة لا يدع مجالاً للشك، فشيعة الإمام (رضي الله عنه) أعلم بمثواه الشريف وحكاية اكتشافه في أيام هارون الرشيد معروفة ولزيادة المعلومات راجع (معجم القبور للعلامة السيد محمد مهدي الموسوي الإصفهاني الكاظمي – طبعة بغداد ص ٢٦١ وما يليها).

(٢) رحلة الرابي بنيامين ص٢٥٩.



صورة لمأذنتي مســجد الكوفة القديمة والجديدة

السائح الهروي

السائح الهروي الخطيب علي بن أبي بكر بن علي الزاهد الشيخ تقي الدين الهروي الأصل الموصلي النشأ السائح الذي طوف البلاد والأقاليم وكان يكتب على الحيطان فقلّما تجد موضعاً مشهوراً في بلد إلا خطه عليه ولد بالموصل واستوطن آخر عمره بحلب وله بها رباط وله تواليف حسنة منها كتاب الزيارات بالزاي وله كتاب عجائب الأرض ذات الطول والعرض وله كتاب خطب صنفه وقدمه للإمام الناصر فوقع له بالحسبة في سائر البلاد وإحياء ما شاء من الموات والخطابة بحلب وكان التوقيع بيده إذا دخل ببلد عمل بها الحسبة إلى أن يخرج منها وكان يعرف السيمياء وبها تقدم عند الظاهر صاحب حلب وقال ابن واصل كان عارفاً بأنواع الحيل والشعبذة وبنى له مدرسة بظاهر حلب ودفن في قبة المدرسة وكتب على كل باب منها ما يليق به وكتب على باب بيت الماء ببيت المال في بيت الماء توفى في رمضان من سنة ٦١١ إحدى عشرة وستمائة. له الإشارات إلى معرفة الزيارات، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، الخطب الهروية، الرحلة في مجلد ذكر فيه جميع بلاد الإسلام ومن بلاد الإفرنج، زيارات الشام، كتاب الأصول، منازل الأرض ذات الطول والعرض.

قال ابن خلكان: رأيت في قبته معلقاً عند رأسه غصناً وهو حلقة حلقة ليس فيها صنعة وهو أعجوبة قيل إنه رآه في بعض سياحاته فاستصحبه وأوسى أن يكون عند رأسه ليعجب منه من يرآه وكان يضرب به المثل في وجود خطه في كل موضع مشهور حتى قال فيه ابن شمس الخلافة وقد ذكر شخصاً يستجدي بالأوراق.

أوراق كديته في بيت كل فتى ... على اتفاق معان واختلاف روي

قد طبق الأرض من سهل ومن جبل ... كأنه خط ذاك السائح الهروي[1]

---

(١) الوافي بالوفيات: ج ٢٠ ص ١٦٣، هدية العارفين: ج ١ ص ٧٠٤.

قال في رحلة الإشارات إلى معرفة الزيارات:

مدينة الكوفة فيها مشهد إبراهيم بن المستمر وبها زيد بن علي رضي الله عنهما، باطنة النجف مشهد امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنده جماعة من العلويين والأشراف، ولد بمكة عمره ثلاث وستون سنة.

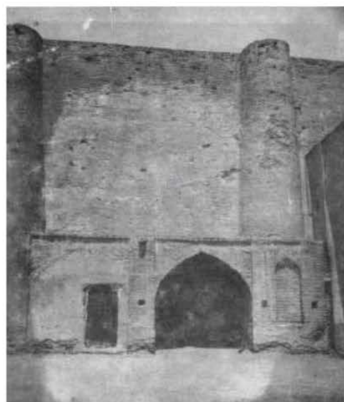
وذكر ابن قتيبة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب دفن في قصر الإمارة بالكوفة خوفاً من أعدائه.

وبناحية بلخ قرية يقال لها الخير ظهر بها قبر يزعمون أنه قبر علي بن أبي طالب وليس بصحيح.

وبالكوفة مشهد قبور أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وبها قبر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن رضي الله عنهم.

وعلى باب الجامع بئر ذكر أهل الكوفة أن علي بن أبي طالب حفرها وبه البئر التي غسل منها والحجر الذي غسل عليه، وبالجامع دكة الحاكم الذي كان يجلس عليه، وبالجامع من غربيه موضع مفار التنور وكان الطوفان، وقيل: إن نوحاً عليه السلام ولد برأس العين وهي عين وردة التي بين حران ودنسير ومنها كان الطوفان وفار التنور؛ والله أعلم.

وبالجامع دار نوح ورحى ذكر أهل الكوفة أنها كانت لابنة نوح تطحن بها، وهناك في سقف الجامع قدوم للنجارة،ذكر أهل الكوفة أن نوحاً نجر السفينة بها.



صورة تمثل جانب من سور مسجد الكوفة

وقيل قتل علي بن أبي طالب في قبلة الجامع، وقيل على بابه؛ والله أعلم، وقيل لما ضربه ابن ملجم قال: من ضاربي ؟ قال: أنا عبد الرحمن بن ملجم، فابتدره الناس فقال: يحبس ضاربي ويطعم من طعامي ويسقى من شرابي فإن عشت كنت إلى العفو أقرب، وإن كانت الأخرى فاضربوه كضربتي، ولا تمثلوا في القتلة فمن بدع به.

فلما احتضر بعد ثلاثة أيام نظر إلى من حوله فقال:(كل حي ملاق لمايفر منه في فراره، والأجل ميثاق النفس والهرب منه موافاته، أنا بالأمس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم وفي غد مفارقكم فإن تثبت الوطاة في هذه الدار إلى حين النقلة وإن تدحض القدم عاجلاً فإنما كنّا في أطيار في أفنان أغصان ومهب رياح تحمل ظل غمام اضمحل في الجو ملتقاها وعفى في الأرض محطها فانما كنت جاراً جاوركم جسدي أياما، وستعافون مني جثة ساكنة بعد حراك، وصامتة بعد نطق، وسيعظكم هدوني فإنه وَاعِظ للمعتبرين من الناطق الفصيح ومن الواعظ المسموح، وداعيكم داعي أمري مرصد للتلاقي في غد.[1]

---

(١) في نهج البلاغة ج٣ص ٢٠٧ وأصول الكافي ج١ ص ٢٩٩ وبحارالانوار ٢٠٧/٤٢:
لما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام حف به عواده وقيل له:يا أمير المؤمنين أوص. فقال عليه السلام: أثنوا لي الوسادة ثم قال عليه السلام:
الحمد لله حق قدره متبعين أمره وأحمده كما أحب ولا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد كما أنتسب أيها الناس: كل امريء لاق في فراره ما منه يفر والأجل مساق النفس إليه والهرب منه موافاته كم اطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عز ذكره إلا إخفاءه، هيهات علم مكنون، أما وصيتي لكم فلا تشركوا بالله جل شأنه شيئا ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته أقيموا هذين العودين وأوقدوا هاذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا حمل امرئ مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم، وأمام عليم ودين قويم، أنا بالأمس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم إن تثبت الوطأة في هذه المزلة فذاك المراد، وإن تدحض القدم فأنا كنا في أفياء أغصان وذرى رياح وتحت ظل غمامة اضمحل في الجو متلفعها وعفا في الأرض مخطها وإنما كنت جاراً لكم جاوركم بدني أياماً وستعقبون مني جثة خلاء ساكنة بعد حركة وكاظمة بعد نطق، يعظكم هدوئي وخفوت إطراقي وسكون أطرافي، فإنه أوعظ لكم من الناطق البليغ، ودعتكم وداع مرج للتلاقي، غداً سترون أيامي ويكشف الله عز وجل عن سرائري وتعرفون بعد هذا مكاني ومقام غيري مقامي إن أبق فأنا
←

ثم مات رضي الله عنه.

وبها مقام إدريس عليه السلام.

وبها مقام هاني بن عروة ومسلم بن عقيل قتلهما عبيد الله بن زياد.

وبها عبد الله بن الحسن وابن أخيه الحسين بن الحسن المثلث، وأربعة رجال أخر رضي الله عنهم.



صورة حديثة ويظهر فيها بعض مقامات مسجد الكوفة

وبالنخيل يزعمون قبر يونس بن متى عليه السلام وقد ذكرناه فيما تقدم، والله أعلم.

وبالكوفة المغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب وخباب بن الأرث وأبو برزة وهاشم بن عروة وموسى بن طلحة والأعمش المحدّث وصعصعة وسعيد بن جبير وشريك القاضي رضي الله

→

ولي دمي، وإن أمت فالفناء ميعادي، وإن أعف فالعفو إلي قربة ولكم حسنة فاعفوا وأصلحوا ألا تحبون إن يغفر الله لكم، فيا لها حسرة على كل ذي غفلة يكن عمره عليه حجة أو تؤديه أيامه إلى شقوة جعلنا الله وإياكم ممن لا يقصر به عن طاعة الله رغبة أو تحل به بعد الموت نقمة فإنما نحن له وبه، ثم أقبل على الحسن عليه السلام وقال له:يا بني ضربة مكان ضربة ولا تأثم.

عنهم.

وأبو موسى الأشعري على نحو ميلين منها عند التوثة، وقيل قبر أبو موسى بمكة والله أعلم.

وقد زرنا صعصعة بن صوحان[١] شرقي قلعة مطار بالجعفرية وسياتي ذكره إنشاء الله.

وذكر لي شيخ بالكوفة سمعت عليه جزءاً من الحديث وهو الشيخ برهان الدين بن علي بن محمد الجواد الحنفي الفقيه في منزله بمحلة بني مسيلة بالقرب من مصلى عبد الجبار أن بجبانة الكوفة نيّفاً وسبعين من الصحابة وجماعة من التابعيين رضي الله عنهم ألا أن قبورهم لاتعرف مثل الأسود بن يزيد بن قيس ومسروق بن الأجدع وعلقمة بن قيس وهمام بن الحارث النخعي وشريح القاضي والحارث بن سويد والربيع بن خيثم وعامر بن شرحبيل الشعبي، وإبراهيم بن يزيد الأسود النخعي،وكدام بن طهر، وأبي بكر بن عياش،وعبد بن إدريس، ومحمد بن صبيح، ومحمد بن أبي ذويب، وأبي النظر محمد بن السائب الكلبي النسابة صاحب التفسير،والأحنف بن قيس والله أعلم.

وبآذربيجان على نحو فرسخين من توريز ضيعة يقال لها راستبان قلعة عندها تل عليه قبر يزعمون أنه قبر الأحنف أو الأشعث بن قيس أو قيس بن الأشعث والصحيح أنه قيس العلاني والله أعلم.[٢]

(١) المعروف الآن إن الذي يوجد في الكوفة مسجد صعصعة قرب مسجد السهلة لا مرقده، ولم يذكر السائح الهروي مسجد السهلة ولعله أراد بمقام إدريس مقامه في المسجد.

(٢) الإشارات إلى معرفة الزيارات ص ٦٩، الزيارات للسائح الهروي، مخطوطة دار الكتب الأهلية – باريس - ٥٩٧٥) عربي، ص٧١-٧٣، نشرها د- مصطفى جواد في مجلة الإعتدال النجفية س٤ ع٤و٥ص٧٦ (النجف ١٣٥٦-١٩٣٧).

ابن بطوطة

(٧٠٣ - ٧٧٩ هـ = ١٣٠٤ - ١٣٧٧ م)

هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة: رحالة، مؤرخ. ولد ونشأ في طنجة Tanger بالمغرب الأقصى. وخرج منها سنة ٧٢٥ هـ فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر وأواسط إفريقية. واتصل بكثير من الملوك والأمراء، فمدحهم - وكان ينظم الشعر - واستعان بهباتهم على أسفاره. وعاد إلى المغرب الأقصى، فانقطع إلى السلطان أبي عنان (من ملوك بني مرين) فأقام في بلاده. وأملى أخبار رحلته على (محمد ابن جزي) الكلبي بمدينة فاس سنة ٧٥٦ وسماها (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - ط) ترجمت إلى اللغات البرتغالية والفرنسية والإنكليزية، ونشرت بها، وترجمت فصول منها إلى الألمانية نشرت أيضا. وكان يحسن التركية والفارسية. واستغرقت رحلته ٢٧ سنة (١٣٢٥ - ١٣٥٢) ومات في مراكش. وتلقبه جمعية كمبردج في كتبها وأطالسها بأمير الرحالين المسلمين Prince of moslems travellers وفي نابلس (بفلسطين) أسرة، الآن، تدعى (بيت بطبوط) وتعرف ببيت المغربي وبيت كمال، تقول إنها من نسل ابن بطوطة الأعلام ج ٦ ص ٢٣٥،الدرر الكامنة ٣: ٤٨٠ ودائرة المعارف الاسلامية ١: ٩٩ والرحالة المسلمون ١٣٦ - ١٧١ وسماه الزبيدي، في التاج ٥: ١٠٩ (محمد بن علي) ذكر عن رحلته أن ابن جزي جمعها في كتاب حافل، اختصره محمد بن فتح الله البيلوني في جزء صغير.

في سنة ٧٢٦ هـ وصل الرحالة ابن بطوطة إلى الكوفة وكان الجزء الأكبر منها مهجوراً بسبب غارات البدو المجاورين لها.فوصف حالها وحال أهلها قائلا:

الكوفة وهي إحدى أمهات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزية مثوى الصحابة، والتابعين ومنزل العلماء والصالحين، وحضرة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلا أن

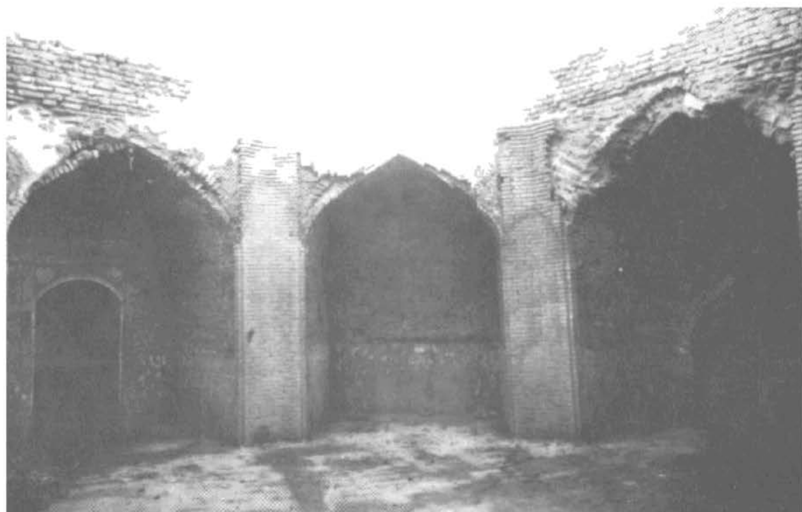
الخراب قد استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدت إليها، وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها[١]، فإنهم يقطعون طريقها ولا سور عليها، وبناؤها بالآجر، وأسواقها حسان وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك وجامعها الأعظم جامع كبير شريف، بلاطاته سبع قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوته، قد صنعت قطعاً، ووضع بعضها على بعض، وأفرغت بالرصاص وهي مفرطة الطول.

وبهذا المسجد آثار كريمة، فمنها بيت إزاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال إن الخليل صلوات الله عليه كان له مصلى بذلك الموضع، وعلى مقربة منه محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع، وهو محراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهنالك ضربه الشقي ابن ملجم والناس يقصدون الصلاة به.

وفي الزاوية من هذا البلاط مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج، يذكر أنه الموضع الذي فار منه التنور حين طوفان نوح عليه السلام، وفي ظهره خارج المسجد بيت يزعمون أنه بيت نوح عليه السلام، وإزاءه بيت يزعمون أنه متعبد إدريس عليه السلام، ويتصل بذلك فضاء، ويتصل بالجدار القبلي للمسجد، يقال: إنه موضع إنشاء سفينة نوح عليه السلام.

---

(١) قال الدكتور هشام جعيط في نهاية دراسته عن الكوفة: لم تدمر الكوفة بيد المغول ولا بحديد تيمور لنك وناره، بل دمرها النهب الشديد الذي قام به بدو الجزيرة العربية: قرامطة، شمر ،خفاجة، لقد بناها العرب ودمرها العرب إنها بعد الآن مدينة ميته لم يبق منها سوى بعض الآثار المتاخرة عموماً لكنها عكست قدسيتها الشيعية على النجف التي يتقاطر إليها الألوف لزيارة العتبات المقدسة ضريح علي (الكوفة نشاة المدينة العربية الإسلامية ص٣٤٣).



مشهد سفينة النبي نوح كما يبدو من الداخل وعلى جهة اليسار مدخل للمحراب الأثري القديم

وفي آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والبيت الذي غسل فيه ويتصل به بيت يقال أيضاً، إنه بيت نوح عليه السلام، والله أعلم بصحة ذلك كله.



وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت مرتفع، يصعد إليه، قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب

رضي الله عنه وبمقربة منه خارج المسجد قبر عاتكة وسكينة بنتي الحسين عليه السلام.

وأما قصر الإمارة بالكوفة الذي بناه سعد بن أبي وقاص فلم يبق إلا أساسه.

والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي منها، وهو منتظم بحدائق النخل الملتفة المتصل بعضها بعض.

ورأيت بغربي جبانة الكوفة موضعاً مسوداً شديد السواد في بسيط أبيض، فأخبرت أنه قبر الشقي ابن ملجم، وأن أهل الكوفة يأتون كل سنة بالحطب الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام وعلى قرب منه قبة أخبرت أنها على قبر المختار بن أبي عبيد.[١]

---

(١) رحلة ابن بطوطة: ص ١٤٧ وقال في رحلته التي فرغ منها سنة ٧٥٦ هـ ستة وخمسين وسبعمائة في ذكر وروده من مكة إلى مشهد مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام. ذكر الروضة والقبور التي بها، ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة، ولكل وارد ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم، ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة، وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية، فعندما يصل الزائر يقوم إليه أحدهم أو جميعهم - وذلك على قدر الزائر - فيقفون معه على العتبة، ويستأذنون له، ويقولون: عن أمركم يا أمير المؤمنين، هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله للروضة العلية، فإن أذنتم له، وإلا رجع، وإن لم يكن أهلاً لذلك، فأنتم أهل المكارم والستر، ثم يأمرونه بتقبيل العتبة وهي من الفضة، وكذلك العضادتان، ثم يدخل القبة، وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه، وبها قناديل الذهب والفضة، منها الكبار والصغار، وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة، قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء، وارتفاعها دون القامة، وفوقها ثلاثة من القبور يزعمون أن أحدها قبر آدم عليه الصلاة والسلام، والثاني قبر نوح عليه الصلاة والسلام، والثالث قبر علي رضي الله عنه، وبين القبور طسوت ذهب وفضة، فيها ماء الورد والمسك، وأنواع الطيب، يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركاً. وللقبة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة، وعليه ستور من الحرير الملون، يفضي إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان، مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير، وله أربعة أبواب، عتبتها فضة وعليها ستور الحرير، وأهل هذه المدينة كلهم رافضية. وهذه الروضة ظهرت لها كرامات ثبت بها عندهم، إن بها قبر علي رضي الله عنه. فمنها: إن في ليلة السابع والعشرين من رجب - ويسمى عندهم ليلة المحيا - يؤتى إلى تلك الروضة بكل مقعد من

←





العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم، فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون ونحو ذلك، فإذا كان بعد العشاء الآخرة جعلوا عند الضريح المقدس، والناس ينتظرون قيامهم، وهم ما بين مصل وذاكر وتال ومشاهد للروضة، فإذا مضى من الليل نصفه، أو ثلثاه أو نحو ذلك، قام الجميع أصحاء من غير سوء، وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله. وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقات، ولم أحضر تلك الليلة، لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال، أحدهم من أرض الروم، والثاني من إصبهان، والثالث من خراسان، وهم مقعدون، فاستخبرتهم على شأنهم، فأخبروني أنهم لم يدركوا ليلة المحيا، وأنهم ينتظرون أوانها من عام آخر. وهذه الليلة يجتمع لها الناس من البلاد ويقيمون سوقاً عظيمة، مدة عشرة أيام... إلخ (رحلة ابن بطوطة: ص ١٤٧).

ابن جبير

محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبـو الحسـين(٥٤٠ - ٦١٤ هـ = - ١١٤٥ - ١٢١٧ م): رحالة أديب. ولد في بلنسية (Valence) ونزل بشاطبة، وبـرع فـي الأدب، ونظـم الشعر الرقيق، وحذق الأقراء، وأولع بالترحل والتنقل فزار المشرق ثلاث مـرات إحـداها سـنة ٥٧٨ - ٥٨١ هـ وهي التي ألف فيها كتابه رحلة ابن جبير - ط ومات بالإسكندرية في رحلته الثالثة. ويقال: إنه لم يصنف كتاب رحلته وإنما قيد معاني ما تضـمنته فتـولى ترتيبهـا بعـض الآخذين عنه، ومن كتبه نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان وهو ديـوان شـعره، علـى قدر ديوان أبي تمام، و نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرن الصالح مجموع ما رثى به زوجتـه أم المجـد (الأعـلام ج ٥ ص ٣١٩،نفـح الطيـب ١: ٥١٥ و ٥٧٥ وشـذرات الـذهب ٥: ٦٠ وغاية النهاية ٢: ٦٠ ودائرة المعارف الإسلامية ١: ١١٦ ورحلة ابن جبير: مقدمات طبعة ليدن سنة ١٩٠٧ وجذوة الإقتباس ١٧٢ والإحاطة ٢: ١٦٨ وفي زاد المسافر ٧٢ نماذج من شـعره. وللدكتور محمد مصطفى زيادة " محاضرة " أوجز بها رحلة ابن جبير في ٢٢ صفحة، نشـرها بيت المغرب، في القاهرة، سنة ٩٣٩، (٤٧٨) ٦٢٩: ٢) I. Brock ٨٧٩: I. S.)).[1]

وفي سنة ٥٨٠ هـ / زارالكوفة الرحالة ابن جبير وشاهد علامات تأخرها وسـقوطها وقـال: هي مدينة كبيرة عتيقة البناء، قد استولى الخراب على أكثرها، فالغامر منها أكثـر مـن العـامر. ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضـربها، وكفـاك بتعاقـب الأيـام والليالي محيياً ومنفنياً. وبناء هذه المدينة بالآجر خاصة، ولا سور لها. والجامع العتيق آخرها مما يلي شرقي البلد، ولا عمارة تتصل به من جهـة الشـرق. وهـو جـامع كبيـر، فـي الجانـب القبلي منه خمسة أبلطة، وفي سـائر الجوانـب بلاطـان. وهـذه البلاطـات علـى أعمـدة مـن السواري الموضوعة من صم الحجارة، المنحوتة قطعة علـى عطعـة، مفرغـة بالرصـاص، ولا

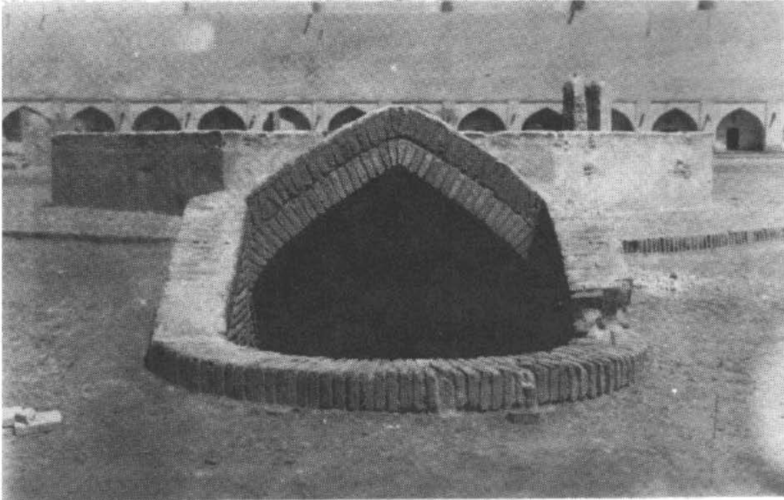
---

(١) بغية الرواد ٢٧ وتعريف الخلف ٢: ٣٥٢.

قـي عليها، على الصفة التي ذكرناها في مسجد رسول الله، صلى الله عليه و(آله) وسلم، وهي نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها. فما أرى في الأرض مسجداً أطول منه ولا أعلى سقفاً.

وبهذا الجامع المكرم آثار كريمة:

فمنها بيت بازاء المحراب عن يمين المستقبل القبلة، يقال: إنه كان مصلى نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، وعليه ستر أسود صوناً له، ومنه خرج الخطيب لابسأ ثياب السواد الخطبة. فالناس يزدحمون على هذا الموضع المبارك للصلاة فيه. وعلى مقربة منه، ممايلي الجانب الأيمن من القبلة، محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير، وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وفي ذلك الموضع ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف، فالناس يصلون فيه باكين داعين.



مدخل مشهد سفينة النبي نوح في منتصف مسجد الكوفة

وفي الزاوية من آخر هذا البلاط القبلي، المتصل بأخر البلاط الغربي، شبيه مسجد صغير محلق عليه أيضاً بأعواد الساج، هو موضع مفار التنور الذي كان آية لنوح، عليه السلام، وفي ظهره، خارج المسجد، بيته الذي كان فيه، وفي ظهره بيت آخر يقال: إنه كان

متعبد إدريس، صلى الله عليه وسلم، ويتصل بهما فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد، يقال: إنه منشأ السفينة. ومع آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، والبيت الذي غسل فيه. ويتصل به بيت يقال: إنه كان بيت ابنة نوح، صلى الله عليه وسلم.

وهذه الآثار الكريمة تلقيناها من ألسنة أشياخ من أهل البلد فأثبتناها حسبما نقلوها إلينا، والله أعلم بصحة ذلك كله.

وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت صغير يصعد إليه فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب، رضي الله عنه.

وفي جوف الجامع على بعد منه يسير سقاية كبيرة من ماء الفرات فيها ثلاثة أحواض كبار.

وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ منها المشهد الشهير الشأن المنسوب لعلي ابن أبي طالب، رضي الله عنه، وحيث بركت ناقته وهو محمول عليها مسجى ميتاً على مايذكر. ويقال: إن قبره فيه، والله أعلم بصحة ذلك.

وفي هذا المشهد بناء حفيل على ما ذكر لنا، لأنا لم نشاهده بسبب أن وقت المقام بالكوفة ضاق عن ذلك، لأنا لم نبت فيها سوى ليلة يوم السبت. وفي غدائه رحلنا ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات. والفرات من الكوفة على مقدار نصف فرسخ مما يلي الجانب الشرقي. والجانب الشرقي كله حدائق نخيل ملتفة يتصل سوادها ويمتد امتداد البصر. ورحلنا من ذلك الموضع وبتنا ليلة الأحد منسلخ محرم بمقربة من الحلة ثم جئناها يوم الأحد المذكور.[١]

---

(١) رحلة ابن جبير، أو تذكره بالأخبار من اتفاقات الأسفار ص ١٦٦.

الرحالة نيبور

كارستن نيبور(CARSTIEN NEIBUHR) رحالة الماني اختص بعلم الفلك والجغرافية واللغات الشرقية، اوفده ملك الدنمارك فريدرك الخامس عام (١١٧٥ هجرية-١٧٤٤م) على رأس بعثة إلى الشرق الأوسط وبالأخص شبه الجزيرة العربية لدراسة أحوال المنطقة جغرافياً وسياسياً واجتماعياً وأثرياً صدر له متاب بعنوان وصف بلاد العرب الذي نشره بعد عشر سنوات من انتهاء رحلته سنة(١١٨٦هجرية- ١٧٧٢م).



كارستن نيبور

وأكد الرحالة (كارستن نيبور) وقد زارها بعد الأول بقرن ونصف تقريباً سنة ١٧٦٥م فقال: ((أنّها كانت خالية من السكان تقريباً، بل أنّه وجد مسجدها، ولم يبق منه شيء يذكر سوى الجدران)). وإنه دخل إلى النجف من جهة الرماحية وقال في رحلته:

وصادفت على الدرب بين الرماحية ومشهد علي أربع جنائز، ومن الأخيرة إلى الحلة خمس جنائز، وحين سألت إن كان العدد لايتعدى سبع جنائز تنقل من مناطق أخرى إلى هنا لاجبت أن هذا الرقم قليل للغاية، إذ يدفن هنا سنويا ما يفوق الألفي ميت غر يب، ويحصل من يدفع جيداً على قبر قرب مسجد أمامهم، ومن يدفع أقل يدفن داخل أسوار المدينة، أما ذاك الذي يتعذر عليه الدفع فيعين له مكان خارج المدينة، ولا أظن أن الموتى يدفنون داخل

حرم المسجد، أو على الأقل في مساجد المسلمين الأخرى، لانجد سوى قبر مشيّد المسجد وأحياناً قبور أولاده ونسانه، وبشكل عام لايحب المسلمون أن المدافن داخل حرم المدينة.

أكد لي علماء سنة أن قبر علي، صهر النبي لايعرف مكانه ويبدوا أن عائلته حاولت أن تغطيه عن أعدائها.

لكن الشيعة يؤكدون أن علي دفن في هذا المسجد ويقولون إنه أعطى الأمر ووضع جثمانه بعد وفاته على ظهر ناقة، وبدفنه حيث تبرك بعد أخراجها من الكوفة.

ويبدو هذا الأمر غريباً من سيد عرف بذكانه كعلي، لكن هذا القبر المزعوم[1] سمح ببناء

---

(١) في شبهة قبر المغيرة التي أثارها الخطيب البغدادي قال ابن أبي الحديد في شرح " نهج البلاغة " ج ٢ ص ٤٥: سألت بعض من أثق به من عقلاء شيوخ أهل الكوفة عما ذكره الخطيب أبو بكر في تاريخه [ج ١ ص ١٣٨] إن قوماً يقولون: إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة ؟ ! فقال: غلطوا في ذلك قبر المغيرة وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة ونحن نعرفهما وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا وأنشدني قول الشاعر يرثي زياداً وقد ذكره أبو تمام في الحماسة.

صلى الإله على قبر وطهره   عند الثوية يسفي فوقه المور

زفت إليه قريش نعش سيدها   فالحلم والجود فيه اليوم مقبور

أبا المغيرة والدنيا مفجعة   وإن من غره الدنيا لمغرور

إلخ وسألت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبد الله الحسين بن الأقساسي رحمه الله تعالى عن ذلك فقال: صدق من أخبرك، نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثوية وهي إلى اليوم معروفة وقبر المغيرة فيها إلا أنها لا تعرف قد ابتلعها السبخ وزبد الأرض وفورانها فطمست واختلط بعضها ببعض، ثم قال: إن شئت أن تتحقق أن قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر إلى كتاب " الأغاني " لأبي الفرج علي بن الحسين، وألمح ما قاله في ترجمة المغيرة وأنه مدفون في مقابر ثقيف، ويكفيك قول أبي الفرج فإنه الناقد البصير والطبيب الخبير فتصفحت ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور فوجدت الأمر كما قاله النقيب.

وذكر في ج ١: ١٦، إن قبره عليه السلام بالغري، وما يدعيه أصحاب الحديث من الإختلاف في قبره، وإنه حمل إلى المدينة، وإنه دفن في رحبة الجامع، أو عند باب الامارة، أو ندّ البعير الذي حمل عليه فأخذته الأعراب، باطل كله لا حقيقة له، وأولاده أعرف بقبره، وأولاد

←

مدينة تقع هذه المدينة في منطقة جرداء قاحلة كالسويس وجدة.

كما تفتقر للمياه، وتجر تلك المستعملة للغسيل في أنابيب جوفية، أما المياه الصالحة للشرب فتنقل على ظهر الحمير من مكان يقع على بعد ثلاثة فراسخ ويكثر الكلس في أحدى جهات المدينة فيكفي بالتالي جرف بعض الرماد والزبل الجاف لصنع كلس جيد للبناء، وبما أن سعر الخشب مرتفع تبنى غالبية المنازل من الآجر المشوي المطلي بالكلس وبشكل مقبب مما يجعلها متينة.

وفي الجهة الأخرى للمدينة تطالعنا منطقة منخفضة يكثر فيها الملح، ويطلق عليها العرب أسم البحيرة (el buheire) وأسم النجف، ويدعون أنها بحيرة سرفة (buheiret sarve) التي جفت عند ولادة محمد.[1]

ويتبع قسم من سكان المدينة المذهب السني،فيما يتبع القسم الآخر المذهب الشيعي ويكره أتباع هذين المذهبين بعضهم البعض[2]حتى أن السني حين يزور بلاد فارس يضطر للصلاة وفقا لعادات البلاد كي لايسيء اليه الشعب، شأنه في ذلك شأن الشيعي الذي يقصد بعض المدن التركية.

أما في مشهد علي ومشهد الحسين فيتعايشون قدر المستطاع، ويضطر السنة إلى الخضوع لإرادة الشيعة لأنهم يعملون عندهم ويجب على الشيعة تجنب المشاكل وإلا أفسحوا المجال أمام الباشا ليجعل الفرس يدفعون غاليا ثمن زيارة أمامهم الأول ويقصد حوالي ٥٠٠٠ شخص قبري علي والحسين ولا يحجون في أوقات معينة كالذين يقصدون مكة، لكن الشيعة يعتقدون أن صلواتهم تستجاب في أشهر معينة لذا يأمون المكان في ٢٧ رجب وفي شهر رمضان وفي العاشر من محرم.

→
كل أحد أعرف بقبور آبائهم من الأجانب، وهذا القبر الذي زاره بنوه لما قدموا العراق، منهم جعفر بن محمد حدثهم وغيره من أكابرهم وأعيانهم.

(١) لعله يريد بحيرة ساوة.

(٢) ليس في النجف من اتباع المذهب السني إلا الحاكم وبعض الكتاب ربما، فمن أين أتى نيبور بهذا الزعم.

ونادراً ما نسمع احداً هنا يستعين بأسم الله ليؤكد كلامه، أذ يقسمون كلهم بأسم علي وبأسم الحسين في مشهد الحسين، وبأسم الشاذلي في المخا، ونسمعهم غالبا يصرخون: (واعلي ! وا شهيداه، واحسيناه وا شهيداه، كرم الله ذكراكما).

إن المنظر الخارجي لمدينة مشهد علي يشبه إلى حد بعيد محيط القدس اليوم، وهي تمتد على المساحة نفسها تقريبا، وقد رسمت الخارطة على اللوحة xlii.

يحيط بالمدينة سور فيه بابان، باب المشهد قرب الرقم ١ وباب النهر قرب الر قم ٢ أما باب الثالث الذي يحمل اسم باب الشام قرب الرقم ٣ فمسدود، وقد انهار السور من أماكن عدة حيث يمكن للمرء أن يدخل المدينة من خمسين فتحة ونجد في المدينة ثلاثة مساجد صغيرة فضلا عن المسجد الذي يضم قبر علي قرب الرقم ٤، وتكونت التلال قرب الر قم ٥ من أقذار الشوارع التي تستقدم على ظهور الحمير.

وجعلت المدافن المشتركة قرب الرقم ٦ أما الرقم ٧فيدل على المنطقة التي تجر منها المياه إلى المدينة عبر اقنية تحت الأرض.

ويلفت الأنظار في المدينة، المسجد المشيد فوق قبر الخليفة والإمام علي، وقد رسمته بقدر ما سمحت لي الظروف قرب الحرف (أ A) على اللوحة (xlii) أظن أن ما من صرح في العالم يعلوه سقف ثمين كمسجد الشيعة هذا، وقد دفع كلفته نادر شاه الشهير في بلاد فارس، ولكن الطغاة كهذا الأخير يفعلون المستحيل ليبهروا أنظار الشعب، إن طلاء القبة الكبيرة وسطح المنذنتين بالنحاس ليس بالأمر العجيب لكن هذا النحاس كله مذهب وقد استعمل لكل ٨ بوصات ونصف مربعة طومان ذهبي أي عشرة دراهم ألمانية.[١]

---

(١) جاء في كتاب تاريخ نادر شاه (فارسي) لمحمد مهدي خان: دفعت التقوى نادر شاه إلى طلاء سطح المسجد المقدس بالذهب (مسجد مشهد علي أو النجف الشريف كما يسمي الكاتب الفارسي المكان) وقد قدرت كلفة هذا العمل بمبالغ طائلة، وتم ترميم جدران هذا الصرح المبارك على نفقة الإمبراطورة الشهيرة (كوهر شاه البيغوم) التي أرسلت مئة ألف نادري (على ما يبدو روبية وبالتالي حوالي (٦٦٦٦٦) درهم ألماني) من حسابها الخاص، كما وهبت مبخرة مرصعة بالأحجار الكريمة وإناء من الذهب الخالص لحرق البخور في البيوت

←

ويشكل هذا المسجد مشهداً رائعاً، لاسيما حين تسطع عليه أشعة الشمس، وبما أن الصرح والمدينة بشكل عام مرتفعان، يمكن أن نرى القبة علي بعد خمسة أو ستة أميال ويرتفع فوق القبة حيث نرى عادة في المساجد التركية هلال أو عصا طويلة، كفا ممدودة لابد أنها تمثل كف علي وتحيط بالمسجد ساحة مفتوحة يقام فيها السوق يوميا ونجد أمامه ثريا بقناديل عدة، ويقوم حول هذا كله بيبان يقيم فيها بعض المسؤولين وعن خدمة المسجد،ولا يمكن أن يقيموا فيها كلهم، إذ أن عددهم يتجاوز المئة بحسب ما أكدوا لي، ومن ضمنهم العديد من الدراويش الذين يعيشون لشدة فقرهم عند مدخل المسجد، ويعرضون صلواتهم على الحجاج لقاء مبالغ صغيرة، وقد صدمت حين علمت بالطريقة التي يقرأون فيها الصلوات لقاء صدقة أو على الأصح لدفع الشعب الفقير المتطير إلى التصدق عليهم.

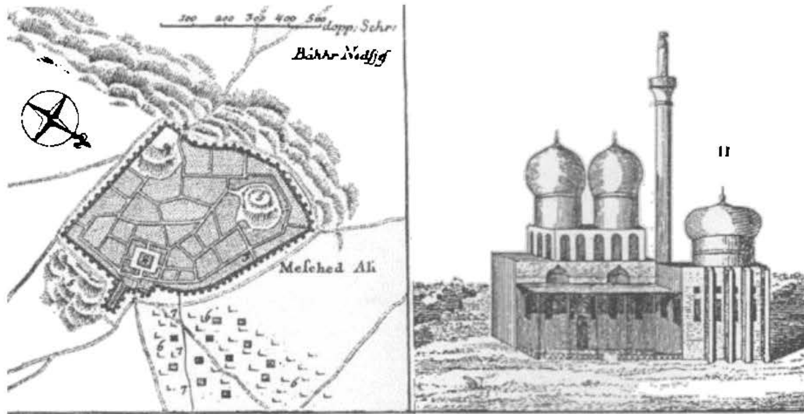
وتجرأت على الإقتراب من مكان يعتبره السنة والشيعة على حد سواء مقدساً،[1] ولو تصرفت بتهور ودخلت المسجد لربما أجبروني على اعتناق الدين الإسلامي ولم أشأ أرضاء حشيرتي بهذا الثمن، لكن رفيق رحلتي والعديد من الشيعة أكدوا لي بأن المسجد يحوي ثروات طائلة، فالقبة مذهبة وقد كتبت عليها آيات من القرآن بأحرف من خزف، كما كتب على الجدران بأحرف ذهبية كبيرة، ونجد أيضاً العديد من الشمعدانات من الفضة والذهب المرصعة بالأحجار الكريمة،ويكثر الحديث عن سعر خنجر كذلك الذي يحمله الهنود في أحزمتهم معلق على قبر علي المسور، ويقال أنه مرصع بأحجار كريمة باهضة الثمن، وأن أورنك زيب (aureng zeb) أهداه للخليفة الذي أغتيل منذ قرون عدة، ووصفوا لي قطعاً أخرى كثيرة في المسجد حتى أني أكاد أشك بما روي عن عربي بهرته هذه الأمور وحين ذكروه بوجوب الصلاة أجاب حقا الأشياء الفاخرة التي زينت القبر أنستني ذكر الله.



المقدسة ودفعت السلطانة رضية بيغوم ابنة الشاه حسين عشرين الف نادري (حوالي ١٣٣٣٣درهم)(رحلة نيبور ج٢ ص ٢١٣ الهامش).

(١) قبل قليل ذكر نيبور أن السنة لا يعتقدون بكونه مرقد علي فلاحظ.

ويهتم بهذا الكنز الكبير المتولي (المشرف على المسجد) والحاكم كما يرسل باشا بغداد سنويا مسؤولاً كبيراً للتأكد من وجود كافة المحتويات. لكن بما أن هؤلاء من أهل السنة ومن الأتراك الذين يعرفون قيمة الذهب والأحجار الكريمة أكثر من أن يتركوها في أماكن مماثلة حيث تلهيهم عن صلاتهم، يعتقد الشيعة أنهم يعملون على أبدال القطع الحقيقية بقطع مزيفة.



خريطة النجف ومشهد علي (عليه السلام) رسم وتخطيط الرحالة نيبور - سنة ١٧٦٥ - ١١٧٩

Beschreibung
von
Arabien
Aus eigenen Beobachtungen
und im Lande selbst gesammleten Nachrichten
abgefasset
von
Carsten Niebuhr.



Kopenhagen, 1772.
Gedruckt in der Hofbuchdruckerey bey Nicolaus Möller.
In Leipzig zu bekommen bey B. C. Breitkopf und Sohn.

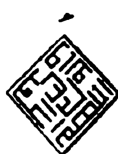
غلاف رحلة نيبور المطبوعة سنة ١٧٧٢ ، مكتبة اكاديمية الكوفة

وتقع مدينة الكوفة الشهيرة، على بعد خمسة أرباع الميل من مشهد علي إلى الشمال الغربي في منطقة منخفضة وخصبة،ونجد هنا مجرى كري سعده (dejare zaade) (أو

بالاكوبار) لكن المياه لاتصل إليه حالياً.

خلت المدينة ومحيطها من السكان أما أبرز ما نجده فيها فهو المسجد الكبير حيث أقام علي،كما لم يتبق منها سوى الجدران الأربعة التي رسمتها مع الخارطة على اللوحة (xlii) في الحرف (ب b) ويسمى الباب ١ باب الفيل، ورسمت قرب الرقم ٢ صرحاً عميقاً في الآفق وغير مرتفع، يبدوا وكأنه خزان مياه ويسميه العرب السفينة. وقد ذكر الدليل وهو من سكان مشهد علي يرافق الحجاج الفرس لرؤية الآثار ويدعي أنه من أبناء الكوفة القدامى أن سفينة نوح توقفت في هذا المكان ويطلق على الصرح الصغير المستدير قرب الرقم ٣ اسم السقاخانه (SIKKE KHES) وكانت المياه توزع هنا كما يدل ذلك على اسمه. لكن هذا الصرح ليس بقديم.

ونلاحظ فوق الباب حجراً كتب عليه بأحرف عربية كتلك المستعملة اليوم والتي لم تكن معروفة في زمن علي، وبني صرح صغير قرب الرقم ٤ حيث أعتاد الحسن والحسين آداء صلاتهما، ويلاحظ في الحائط الخلفي كوة في المكان الذي يزعمون أن موسى الكاظم كان يصلي فيه وتدعى الأعمدة ٥،٦،٧ مقام سيدنا عيسى، مقام موسى ومقام إبراهيم الخليل، ويعتقد المسلمون أن المسيح وموسى ومحمد صلّوا في هذه الأمكنة.



أ

بسم الله الرحمن
الرحيم قل هو
الله احد الله
الصمد لم يلد و
لم يولد ولم يكن
له كفوا احد
هذا قبر جعفر
بن معمر رحمه
الله وغفر
له صل الله عل
محمد وعلى
آل محمد

كتابة بالخط الكوفي استنسخها نيبور عن شاهد قبر مدفون في مسجد الكوفة اسمه جعفر بن معمّر.
وتبتدئ الكتابة بسورة الاخلاص ١١٢، والكتابة المقابلة لها: آية الكرسي ٢٥٥ من سورة البقرة

وقرب الرقم ٨ نرى المكان الذي كان زين العابدين يصلي فيه عـادة،وقرب الـرقم ٩ أدّى كل من علي ونوح صلاتهما، كما نجد هنا منبراً بدرجه يبلغ أرتفاعه عشـرة أقـدام، ويقـال أن نوح بنى أول منزل بعد خروجه من السفينة قرب الرقم ١٠،ونجد قرب الرقم ١١ قبر جعفر بـن

معمر،وقرب الرقم ١٢ ضريح مسلم بن عقيل ومسلم هذا ابن أخ الخليفة علي وقد قتل مع هاني بن عروة الذي آواه في منزله،ونجد قبر هذا الأخير قرب الرقم ١٣ ولم يبن الشيعة هذين الصرحين إلا في وقت لاحق لأنهم يعتبرون مسلماً وهانئاً وكل من مات من أجل علي وأولاده شهداء، كما نجد بعض العواميد في حرم المسجد المذكور مع أجنحة صغيرة لراحة الحجاج الذين يودون البقاء لبضعة أيام.

وجدت في غرفة مسلم كتابة عانت قليلاً من آثار الوقت ونستنتج منها أن محمد بن محمود الرازي وأبي المحاسن بن أحمد التبريزي أقاما هذا الصرح في العام ١٨٦ للهجرة، وتقول الكتابة:

(هذه العمارة مشهد... مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام في أيام الصاحبين المخدومين على الحق والدين... وشمس الدين والدي محمد بن محمد الجوني أعز الله أنصار دولتهما بتولي رقاب عبيدهما محمد بن محمود الرازي وأبي المحاسن ابن أحمد التبريزي عفى الله عنهما في شهور سنة إحدى وثمانين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله).

ونلاحظ قرب لحد جعفر بن معمر الكتابة الكوفية الواردة على اللوحة xliii قرب الحرف (أA) أما بالأحرف العربية الحديثة فهي:

((قل هو الله أحد (١) الله الصمد (٢) لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفوا أحد (٤))). هذا قبر جعفر بن معمر رحمه الله وغفر له صلى الله على محمد وعلى آل محمد.

أما الكتابة الواردة قرب الحرف (ب B) والتي وجدتها على جدار المسجد فليست سوى الآية ٢٥٦ من السورة الثانية في القرآن وفقاً لتقسيم ماراقبوس (maraccius)، وبما أن السيد ريسك ود أن أحفر كافة الكتابات الكوفية التي نسختها من أجل الذين يودون معرفة هذه الحروف.لم أكتف بهذه الكتابة بل أضفت كتابات أخرى صغيرة قرب الحرفين (جG) و(دD) ونجد في بغداد حالياً أمثلة عدة عن طريقة تزيين المنازل بالكتابات العربية بالأحرف الكوفية كما في هذه الكتابات الأخيرة.

أمرت عادلة خاتون (Adila chatun) زوجة سليمان باشا، ببناء جزء من الجدار

الشمالي الغربي للمسجد وبترميم الجزء الآخر كما أمرت بتشييد صرح صغير معة تكريماً لابنة نوح.

وأشار الدليل إلى المكان الذي غسل فيه جثمان علي وإلى غرفة صغيرة في هذا الصرح صنعت فيها ابنة نوح الخبز بحسب ما يزعم، ونرى صرحاً صغيراً مخصصاً لبنات علي الثلاث ولعلهن دفن هنا.

وعلى بعد حوالي ربع فرسخ إلى الشمال الغربي من المسجد الكبير أشار الدليل إلى مسجد آخر هو مسجد صاحب الزمان المهدي،وروا لي حكاية طويلة لم أفهم مغزاها.

ولا نصادف حتى الكوفة[١] إلا بعض التلال الصغيرة والمكونة من بقايا بعض الأبنية، ويبدو أن المنازل كانت تبنى من الحجارة وبالتالي لا تهدم بسهولة كما في البصرة، كما نجد بين هذه البقايا عملات قديمة لاقيمة لها اليوم،وبما أن المسلمين لايجمعون أموراً كهذه وبما أن الأوربيون لا يزورون مشهد علي (على حد علمي لم يزرها أي أوروبي)، لا يمكن للمسافر أن يتوقع شراء أي منها هنا.

ولم يثر اهتمامي خادمي في الكوفة سوى بقايا عامود حمله علي بنفسه إلى المدينة، وهو قرب السفينة داخل المسجد الكبير ويتميز بأنه لايمكن لامرئ لم تكن أمه وفيه لوالده أن يحضنه تماما، وأراد الموجودون من عامة الشعب القيام بهذه التجربة للتأكد من هوية والدهم الحقيقي وسروا جميعا بالنتيجة باستثناء سانس و احد وأولوا إيهامه بأن العمود يتمدد بسببه فقام الرجل المسكين بمحاولات بانسة لحضنه كليا وينظر العقلاء من المسلمين إلى هذه التجربة على أنها تسلية لعامة الشعب.[٢]

---

(١) كذا في الأصل المترجم.

(٢) كارستن نيبور، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، دار الإنتشار العربي ج٢ ص٢١٢.



صورة لمسجد الكوفة وتظهر فيها مزولة الصلاة التي زعم المستشرق

أنها عمود حمله الإمام علي معه

الرحالة الفرنسي أوليفيه

قصد الرحالة الفرنسي أوليفيه(olivier) (١٤٩٤ - ١٧٩٦م) الكوفة وسائر العتبة المقدسة وفيما يلي حديثه عن الكوفة والعتبات المقدسة المجاورة لها قال:

وعلى بعد تسعة فراسخ جنوب الحلة: كانت تقوم مدينة عربية تسمى الكوفة لم يبقى منها سوى بعض إطلال، لقد كانت واقعة على قناة مستمدة من الفرات في أرض خصبه ومزدهرة هي اليوم بدون ماء ويسميها البدو كرى سعدة.

أنها البلاكوبا(p allacopa) التي يقول أريان (flavius arrien)[1] بأنها تتصل بهور كبير حتى الفرات وذلك على الضفه اليمنى من هذا النهر جنوب بابل.

لقد جعل الخلفاء الثلاث الأوائل كما هو المعلوم مقر أقامتهم في المدينه المنورة بينما جعلها علي في الكوفة وفي أخر سني حياته وكذالك الحسن خلفه، أما الأمويون الذين أتو بعده فقط استقروا في الشام أو مدينة أخرى من مدن سورية وبويع أول الخلفاء العباسيين وترك المنصور وهو الخليفة الثاني هذه المدينة وأرسى أسس بغداد ولا ندري في أي حقبة خربت الكوفة ومن المحتمل أن ذلك لم يحدث إلا بعد استيلاء التتار على بغداد إذ يأتي ذكر الكوفة في عهد العباسيين مراراً.

ويشاهد على بعد فرسخين إلى الغرب والجنوب الغربي من أطلال الكوفة مشهد علي أو مشهد الإمام علي وهي مدينة كبيرة جداً قد تكونت حول المسجد الذي يفترض بأن هذا الخليفة مدفون فيه وقد شيد إكراماً له بعد زمن طويل من وفاته.

مشهد علي يسكنه العرب وغيرهم لذا كان نصف السكان سنيين[2] يتبعون تعاليم الأئمة

---

(١) مؤرخ يوناني من القرن الثاني له تأريخ الأسكندر الكبير.

(٢) يبدو أن الرحالة والمستشرقين يتبع بعضهم البعض في الأخطاء وفي هذا الموضع تابع أوليفيه نيبور في خطاه في بيان مكونات مدينة النجف الاشرف.

الأربعة من الأئمة المسلمين الأولين، والنصف الآخر شيعياً أي من شيعة علي ومن ضمن الأولين بعض الأدراك المتمسكين بسادة الدولة.

يأتي سنويا للحج إلى مشهد علي من العجم بعدد يقدر بخمسة آلاف أو ستة آلاف يمرون جميعهم تقريباً ويتقاضى باشا هذه المدينة على كل حاج أربعة قروش كضريبة وهي واسطة يضمن لها الحماية التي يحتاجونها.

وتحدث أوليفيه عن مشهد الحسين قائلاً:

ليس مشهد علي المدينة الوحيدة التي يقصدها الزوار إذ أنهم يقصدون مشهد الحسين أو الأمام الحسين (رضي الله عنه) حيث يوجد قبر الحسين بن علي الذي قتل مع عدد كبير من أقربانه وأصحابه في واقعة كربلاء، ومعلوم أن الحسين بعد وفاة معاوية قصد الكوفة مع مئة وخمسين شخصاً وسائر آل بيته حيث كان ينتظره أنصاره، غير أن يزيد بن معاوية قد أرسل ضده ستة آلاف شخص قابلوه، فاستشهد الحسين وسلاحه بيده لأنه حارب حتى الرمق الأخير ضد هذا العدد الخفير من المناوئين وأقيم له ضريح قريب من ميدان المعركة وعلى هذا الضريح شيد فيما بعد مسجد وتكونت حوله مدينة.

أن مشهد الحسين أقل شأناً من مشهد علي، ويقع على بعد ستة أو سبعة فراسخ إلى الشمل الغربي من الحلة، في موقع ممتاز جداً تستمد مياهها من الفرات بواسطة قناة، الأمر الذي يسهل للسكان أن يزرعوا الكثير من النخيل حول مدينتهم.[1]

(١) رحلة أوليفيه إلى العراق ترجمة د.يوسف حبي،بغداد ١٤٠٨ه\١٩٨٨ ص ١٥٠ – ١٥١

الرحالة لوفنتس

هو وليم بن كنت لوفتس (William kenne loftus) ولـد بتـأريخ ٦/٢/ ١٢٣٦هجريـة/ ١٣/١١/١٨٢٠ م وتوفي بتأريخ ٢٠/٤/ ١٢٧٥هجرية- بين ٢٧/ ١١/١٨٥٨م وذلك في الباخرة التي كانت متوجهة من الهند إلى بلاده كان عضواً دولياً فـي لجنـة ترسـيم الحـدود الدوليـة وتثبيتها بين العراق وإيران وقد رافقه درويش باشا العضـو التركـي فـي لجنـة ترسـيم الحـدود الدولية وطاهر بك الحاكم العسكري في الحلة مع ثلـة مـن الجنـود العثمـانيين وهـو الـذي اكتشـف مدينـة أور فـي العـراق سـنة ١٢٥٦ هجريـة/ ١٨٤٠ م وكـان م العلمـاء الاثـاريين والمستشرقين عنوان رحلته(سياحة تنقيب في كلدة والسوس).[1]

زار النجف في عام ١٨٥٣ رحالة إنكليزي اسمه لوفنتس وقد كان عضواً من أعضاء لجنـة الحدود التي تجولت في منطقة الحدود العراقية الإيرانية في عام ١٨٤٩ فعملت علـى تثبيتهـا وفي سفرة ثانية إلى العراق لأغراض علمية آثارية تجول في البلاد فكتـب رحلتـه المعروفـة[2] في وصف الموصل فبغداد فالفرات الأوسط فالبصرة فعربستان وقد جاء إلى النجف الأشـرف في صيف ١٨٥٣ من الحلة وفي معيته درويش باشـا متصـرف الحلـة وطـاهر بـك الحـاكم العسكري فيها، مع ثلة من الجنود الأترك.

ولذالك نراه يذكر شيئاً عن الكوفة التي وصل إليها من الكفـل قبـل وصـوله إلـى النجـف بطبيعة الحال فيورد عدداً من الروايات عنها، منها أن موقع الكوفة كان هو الموضع الذي نـزل فيه جبرنيل إلى الأرض فصلى لله عز وجل، ومنه انبثقت مياه الطوفان الطاغية على عهد نوح عليه السلام فاستقل فلكه هرباً منها، ويزعم العرب بالإضافة إلى ذلك أن الحية حينما اغوت

---

(١) المستشرقين للعقيقي ج٤ ص ١٦٢.

(٢) الفصل السادس ص ٤٦ loftus w k travels researches in chaldeae susiaua lo ndon ١٨٥٧.

حواء نفيت إلى هذا المكان عقوبة لها، ومن هذا نشأت فكرة اتصاف أهالي الكوفة بالمكر والخداع.[١]

وبعد ذلك يأتي على ذكر الكوفة في أيام العرب، وأهمية الخط الكوفي، ومقتل الإمام علي عليه السلام فيها من قبل الخوارج، ثم يشير إلى أنها لم يبق منها في وقت زيارته لها (أي عام ١٨٥٣)سوى عدد من التلول وبقايا جدار من جدرانها[٢] مع أنها كانت تمتد على ما يقال إلى ما يقرب من كربلاء (مسافة ٤٥ ميلاً).[٣]

وقال في وصفها أيضاً:

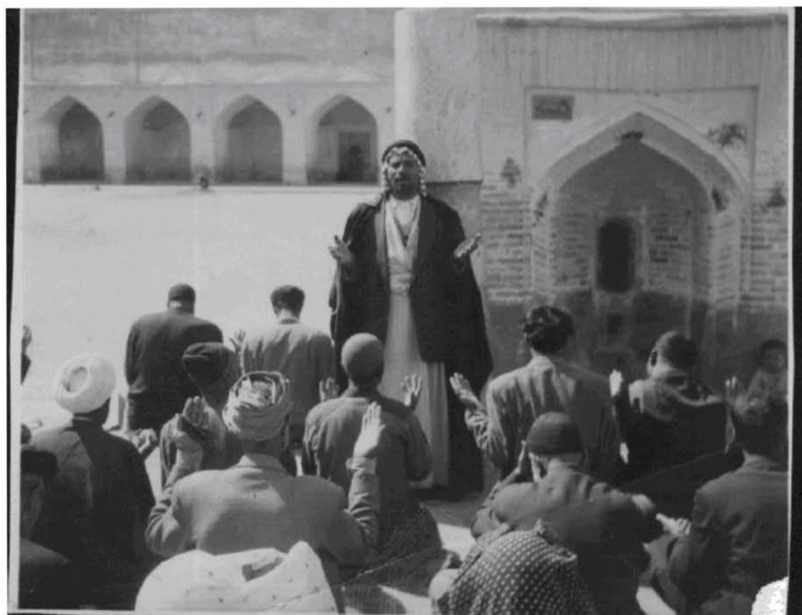
((بالرغم من موقع الكوفة على الفرات، لكن درجات الحررة فيها مرتفعة جداً مما يضطر المسافر أو الزائر البحث عن مكان للإحتماء به من أشعة الشمس المحرقة، والمتمثل بالخان، حيث يوجد هنا عدد من الخانات التي تقدم خدمات متنوعة لساكنيها أو الزائرين مقابل بعض الأجور، وخرجنا للتجوال والتنزه في الأوقات التي يكون فيها الجو لطيفاً للإطلاع على معالم الكوفة وأسواقها، فجولنا في عدد من الأسواق، وشاهدنا بيوت المدينة التي تبدو غير جميلة وغير منتظمة من خلال أزقة ضيقة، اذ لم يبقى من المدينة القديمة إلا آثاراً من الطين وسوراً مهملاً)).

---

(١) لسنا نعلم من أين أتى لوفتس بهذا الكلام ومن أي مصدر نقل بل المروي في التأريخ خلاف ذلك مطلقاً.

(٢) ربما كان هناك سور محيط بالكوفة في وقت دخوله إليها ولم يبق منه سوى جدار.

(٣) موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي ج٦، النجف الأشرف / القسم الأول ص٢٣٣ المقال لجعفر الخياك بعنوان (النجف في المراجع الغربية).



صورة تمثل أحد خدمة المسجد

وهو يقوم بقراءة زيارة مقام النبي صلى الله عليه وآله للزوار الأجانب

جون بيترز

عالم آثار ورحالة أمريكي ولد في نيورك ستي سنة ١٢٦٨ هجرية/ ١٨٥٢م وتوفي في مسقط رأسه سنة ١٣٣٩ هجرية/ ١٩٢١ م تولى التنقيب عن الآثار في منطقة نفر القريبة من بابل(الحلة) وسط العراق، وهي إطلال مدينة نيبورالقديمة التي كانت العاصمة الدينية في عه السومريين والبابلين ويذكر أنها سميت بنفر لأن كنعان بن نمرو نفرت به الجبال حين هبطت عليها النسور.

زارالأستاذ الأمريكي جون يترز سنة ١٨٩٠ النجف الأشرف بصفته رئيس بعثة بنسلفانيا للتنقيب عن الآثار القديمة في نفر (منطقة عفج).



صورة جون يترز (الواقف)
مع مدير المتحف الامبراطورية العثمانية
حمدي بك (الجالس)

وزار الكوفة فقال عنها: إن الرحالة الذين جاءوا إليها في بداية القرن التاسع عشر يشيرون

إلى وجود الكثير من آثار البلدة العربية القديمة فيها لكنها لم يبق منها حينما زارها ما هو سوى بعض التلول والأساسيات لأن طابوقها قد نقل كله للاستفادة منه في بناء أبنية النجف نفسها.

ويذكر في كتابه أن هناك في غربي الكوفة نهراً مندرساً كبيراً يسمى (كري سعدة)، ويروي الرأفة التي تروى عن تسميته بهذا الإسم، وهي أن تاجراً غنياً من تجار البصرة كان قد أحب امراءة جميلة اسمها (سعدة) من أهالي المنطقة الكائنة ما بين هيت وعانة في شمال البلاد، وكانت هذه المراة تهوى ضفاف الأنهر المظللة، فاشترطت عليه حينما خطبها من أهلها إن تنقل من البصرة في طريق النهر الذي يمر بالأماكن التي يجللها الظل، فما كان إلا أن يحفر لها هذا النهر ويغرس الأشجار على ضفافه.

ويعتقد بيترز أن (كري سعدة) هو الجدول الكبير الذي حفره (نبوخذ نصر) فمده من موقع يقرب من هيت إلى الخليج ليحي به مساحات شاسعة من الأرض الموات.[1]



مشهد الشهيد مسلم بن عقيل بن ابى طالب (رض) خلف سور مسجد الكوفة

(١) موسوعة العتبات المقدسة ج٦ النجف القسم الأول ص ٢٤٣.

يوسف هرمز

كاتب صحفي من أبناء الموصل وهو صاحب ورئيس جريدة صوت الشعب اليومية السياسية التي صدرت في بغداد في منتصف الثلاثينات من القرن العشرين طاف في المدن العراقية ومنها النجف الأشرف والكوفة وكتب رحلته هذه ونشرت على شكل حلقات في جريدة صوت الشعب البغدادية بدءاً بالعدد ٣٦٦ الصادر في ٣ شهر رمضان / ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٥ م.

قال: وقبل أن استوفي الكلام عن مدينة النجف أحب أن أذكر شيئاً عن الكوفة لأن عند وصولي إلى النجف زرت وكيل قائمقام القضاء وكان الوقت عصراً فاخذني معه إلى الكوفة لابيت هناك ثم ارجع إلى النجف.

والمسافة بين الكوفة والنجف (٧) كيلو مترات فالكوفة على نهر الفرات والنجف في الصحراء بعيدة عن الماء لايحيط بها غير الرمال.

وبين الكوفة والنجف سكة حديد تسير عليها العربات تسحبها الخيل وطريق آخر للسيارات يستغرق من الوقت ربع ساعة.[(١)]

وقبل أن يصل السائر إلى الكوفة من جهة البر يصل إلى الجامع الشهير، جامع الكوفة القديم فهو أعظم جامع رأيته بسع من المصلين أكثر من ثلاثين ألفا، وهو الجامع الذي صلّى

---

(١) أنشات هذه السكة سنة ١٣٢٦ هجرية وارخ ذلك المشروع السيد مهدي أبو الطابو في أبيات منها:

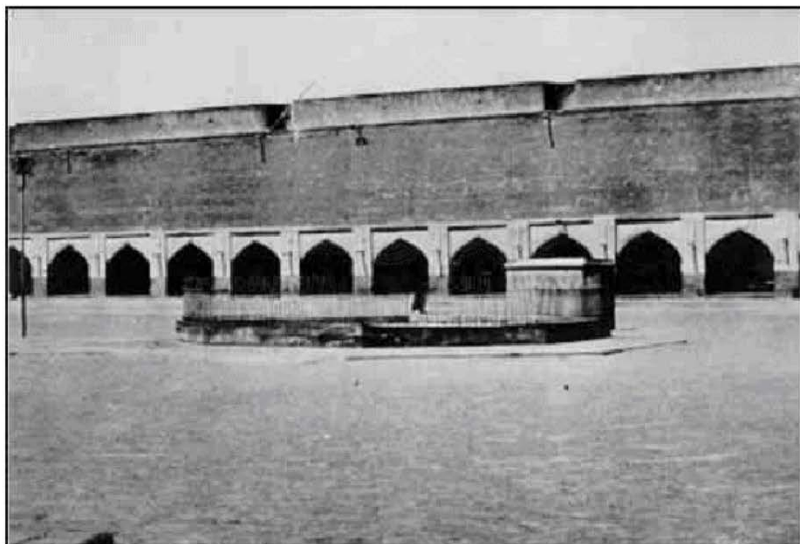
خليفة الله فينا	سلمت عبد الحميد
سعيت أفضل سعي	قربت كل بعيد
لكوفة الجند سيرت	محجة من حديد
باربع رخوها:	في خير عصر حميد

شعراء الغري ٢٩/١٢، تأريخ النجف ٩٥/٣.

فيه مسلم بن عقيل حينما طلبوا إلى الحسين عليه السلام ليقدم إلى العراق ويتولى الخلافة، ثم نكثوا البيعة معه ووقعت فيه الحوادث المشهورة كما سجلها التأريخ.

ألا إن بناء الجامع لا يظهر عليه القدم وقد يكون رمم في أزمان مختلفة، فكأنه الآن حديث العهد ولكن سوية الأرض فيه اخفض من الأرض التي حوله، وهو محاط بجدار عالي ومن جميع الأطراف غرف كانها صوامع الرهبان تبلغ المنات.

وفي وسط صحن الجامع يوجد غرف تحت الأرض ينزل إليها بسلالم وفي أرض هذه الطبقة بئر يدعى التنور يقال أنه فار من الأرض وخرج الماء منه فصار الطوفان المشهور الذي أغرق جميع الأحياء وسلم من بينهم أبونا نوح عليه السلام.[١]



صور لمسجد الكوفة يظهر فيها موضع السفينة

(١) مجلة الموسم الهولندية ع ٥ سنة ١٩٩٠ م ص ٣١٣، مجلة آفاق نجفية ع ٢ سنة ٢٠٠٦ م.

لويس ماسنيون[1]

وضع لويس ماسنيون خريطة لمدينة الكوفة التاريخية في أول تأسيسها وكلفه ذلك (أن يجوب أطلال الكوفة القديمة بنفسه وأن يدرس ويحقق ما تحت تلك الأكمات بما أفادته به

---

(١) ولد في نوجان على المارن،إحدى ضواحي باريس عام ١٨٨٣م لاب فنان كان يوقع تماثيله باسم بيير روش فتعرف بفضله على هويسمان، والاب دي فوكو، وحصل على التوجيه من ليه لوي لجران عام ١٩٠١م فقام برحلة إلى الجزائر وحصل على ليسانس الآداب عام ١٩٠٣م ودبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب بعد زيارته لها عام ١٩٠٤م واشترك في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر عام ١٩٠٥م حيث تعرف إلى كوزيهر، وآستي بلا ثيوس فاصبح مع سليفن ليفي وسنوك – هرجو نجه ولي شا نيليه، أحب أساتيذه إليه في الإستشراق، ولما نال من المدرسة الوطنية للغات بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة فعنى بالآثار الإسلامية، وقصد بغداد فوصلها في ١٩ كانون الأول ١٩٠٧ م واتصل بالألسرة الآلوسية، وتعرف على العلامة السيد محمود شكري الآلوسي، ونزل بدار أحمد آغا في محلة الحيدر خانة القريبة من العاقولية، واكتشف قصر الاخيضر عام ١٩٠٨ م، ثم غادر بغداد عائداً إلى القاهرة في ٨ حزيران ١٩٠٨م واسمع إلى دروس الأزهر بالزي الأزهري، واندبه الجامعة المصرية أستاذاً لتأريخ الفلسفة عام ١٩١٢-١٩١٣م، ثم رحل إلى الجزائر عام ١٩١٤م واشترك في حملة الدرنديل عام ١٩١٥-١٩١٦م وطوف في الحجاز والقاهرة والقدس عام ١٩١٧- ١٩١٩م وأقام في القدس وحلب ودمشق والآستانه، ثم رجع إلى باريس فعين معيداً في كرسي الإجتماع الإسلامي في معهد فرنسا عام ١٩١٩م- ١٩٢٤ م وأستاذ كرسي عام ١٩٢٦-١٩٥٤م ومديراً للدراسات العلمية حتى تقاعد عام ١٩٥٤م وكان قد حصل على الدكتوراه برسالة ماساة الحلاج من السربون عام ١٩٢٢م وتولى تحرير مجاة العالم الإسلامي عام ١٩١٩، توفي عام ١٩٦٢ م صدرت عنه عدة دراسات منها (ذكرى ما سنيون) القاهرة عام ١٩٦٣(منوعات ما سنيون) دمشق عام ١٩٥٦م(خطط الكوفة المقدمة ص٩، نجيب العقيقي، المستشرقون، نشر دار المعارف بمصر ج١ ص ٢٨٧ – ٢٩١، عبد الحميد العلوجي: من تراثنا العلمي ١٩٦٦،ص ٢٧- ٢٩.

المصادر التاريخية ثم رسم خارطة للكوفة مطابقة للقرنين الأولين من الهجرة)[١] فكان لابد له من الرحلة إلى العراق والتجول في مواقع و آثار الكوفة ليتسنى له التثبت ميدانيا من المواضع التي سوف يحددها حسب المعطيات التأريخية المدونة وبالفعل قام بذلك وضع تلك الخريطة ونشر بحثه تحت عنوان (شرح خريطة الكوفة) في مجلة بحوث المعهد الفرنسي العدد ٦٨ - دار نشر البحوث - الطبعة الثالثة ص ٣٣٦ قام الأستاذ تقي المصعبي وباجازة من المؤلف بترجمته وطبع عام ١٩٤٦ م بمطبعة العرفان بصيدا بثلاث واربعين صفحة ثم قام الدكتور كامل سلمان الجبوري بتحقيق النص المترجم و التعليق عليه وطبع عام١٩٧٩ م واخيراً قامت دار الوراق بنطبع النص المترجم من غير تحقيق، ولكون المستشرق ما سنيون قد قام برحلة ميدانية في الكوفة ادرجنا ضمن الرحالة واقتصرنا من حديثه على ما كان يتعلق بتلد الجولة مرجئين حديثه الآخر إلى القسم الثاني من هذا البحث.[٢]

قال ما سنيون:....لقد زرت أطلال الكوفه مرتين في فترة ربع قرن، ففي زيارتي الأولى سنة ١٩٠٨ (من ١٤ ـ ١٧ آذار) لم أتمكن من نقل شيء سوى بعض الصور الفوتوغرافيه، ولكن زيارتي الآخرى سنة ١٩٣٤ (١٠ آذار) خرجت بالسياره وليس على ظهر الفرس (كالمره الأولى) ومعي دليل قد هيأه لي أصدقاني الشيعه بالنجف هو مارد بن الشيخ عطيه فزرت أولاً الأنقاض القانمه بالبقعه التي هي اليوم صحراء جرداء والتي كانت فيما مضى مدينه عربيه عظيمه وقطباً للمسلمين ثم زرت الأماكن المجاوره للمسجد وباب الفيل وكذلك قبر هاني بن عروه، ومسلم بن عقيل - (أي في الجهه الشرقيه) ـ وفي هذه المرة أستطعت الدخول إلى الصحن الداخلي، بينما في سنة ١٩٠٨ لما كنت مع رفقاني السنه

---

(١) خطط الكوفة ورسم خريطتها، تاليف المسيو لويس ما سينيون، ترجمة: تقي محمد المصعبي، تحقيق: د.كامل سلمان الجبوري ط ١ ١٣٩٩/ ١٩٧٩م مطبعة الغري الحديثة ـ النجف الأشرف ص٧ من مقدمة المحقق.

(٢) هذا البحث مكون من قسمين الأول يتعلق بالرحالة والثاني بالمستشرقين وبين يدي القارى الكريم القسم الأول منه.

تمكنت بالكاد أن ألتقط صورتين فوتوغرافيتين وذلك من بعد ـ ومن ثم ذهبت إلى الأكمات الكائنه في الجهة الجنوبيه التي يسمونها قصر الأماره، وبيت علي وقبر ميثم والسبيلخانه.



منظر جوي لمرقد الشهيد كميل بن زياد النخعي، الحنانة «الثوية» قديماً
(جانب من موضع مقبرة وجوه أهل الكوفة وأعيانهم) وممن دفن فيها الصحابي خباب بن الأرت
سنة ٣٧هـ والأحنف بن قيس سنة ٦٧ هـ وعبيد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين وغيرهم

وهنا أنحدرت نحو أقصى الجنوب باحثاً عن قبر إبراهيم الطاطباني جد السيد كاظم، ومن المحتمل أن يكون هذا القبر في أعلى قبر قديم ـ قبر كميل ـ وبعد ذلك شاهدت النقطتين ـ وأحدهما مشيده قبل الأنكليز اللتين تقعان على سكة تراماواي (النجف ـ الشريعه) الذي يشبه تراماواي (بغداد ـ الكاظميه)، ثم زرت مسجد الحنانه وهو الموضع الذي وضع فيه جثمان علي، وبعده توجهت نحو أعراف كري سعده، الذي يدل تمركزه واتجاهه بأن لم يكن قنالاً موازياً للشط بل خندقاً حفر في زمن المنصور، وبعده عطفنا نحو الضاحيه والتي قد توسعت كثيراً عما كانت عليه في سنة ١٩٠٨، وهي واقعه بين شريعة الفرات والمسجد، ثم انحرفت في مسيري إلى جهة الشمال الغربي حتى زاوية الخندق المحيط بمسجد السهله ومقامي صعصعه وأخيه زيد وبئر قد حفره حديثاً، ثم عدت إلى أن وصلت إلى مرسى السفن، ولاحظت في طريقي خاناً معداً لزوار البهره ـ الطائفه الداوديه الإسماعيليه ـ من أهالي الهند، حتى وصلت نبي يونس.



صورة لشط الكوفة في عشرينات القرن الماضي

فالكوفه تقع أمام الحيره حيث يوجد لسان من الرمل الذي يقترب عمودياً إلى الفرات بين سهل مسقى من الجهه الشرقيه وبطن من الجهه الغر بيه، وهنا على حافة الباديه كانت توجد مسلحة لحراسة جسر الزوارق المنصوب على الفرات. والذي كان يؤدي للجاده المنتهية إلى طيسفون. كما أنها اليوم تصل إلى بغداد،وقبل تأسيس الكوفه كانت الكوفه عاصمة اللخميين، محمية الفرس طيلة ثلاثة قرون ومع ذلك لم تكن سوى ثغر من ثغور الباديه city-caravan) ومحل لتبادل البضائع بين عمال الأيرانيين ومأموريهم من جهه وكبار أصحاب الأبل - البدو - من الجهه الأخرى بصوره مستمرة، كما أنها كانت تجمع بين أهل المدن والقرى الآراميين الشديدي التنصر، وبين العشائر الصغيرة الأليفه من رعاة الغنم التي أعتادت على التردد هناك.

فالكوفه متقدمة نحو الشط أكثر من الحيرة، وكانت تسيطر على الجسر الذي كان ينبغي أن يظل منصوباً على الدوام لأجل العبور إلى الطريق التجاري الكبير الذي كان يربط أعالي آسيا بأقصى اليمن.

أما أسماء هذه البقعة قبل الإسلام فقد كانت على أساس تشبيك الجداول والأراضي الممسوحه منذ الأزمنة القديمة جداً. كما أن التسميات الإيرانية للتقسيمات الأدارية الساسانية، وكذلك الأسماء العربية لمحطات القوافل كانت تتخلل مراكزتجمع السكان الآراميين ومنازلهم، وأني قد وضعت جدولاً لتلك الآسماء في سنة ١٩١٠ وأذكر هناك فقط الخورنق الذي أخذت لأسه عدة تصاوير (l. oc. cit. pl. xxxvii) والسدير الذي أعتقد بأنه الأخيضر ذاته وصنين الذي أكتشفتها سنة ١٩٠٨ (l. oc. cit. I. ٢٩) أنظر الخارطة رقم ٣. وكانت أراضي الكوفه ((سواد الكوفة)) عند الفتح الإسلامي تطابق لثلاثة مناطق (طسوج) ماليه ساسانية:

١ - للمنطقتين الأولى والثانية من الأستان - الكورة أو الولاية رقم (١٢) المسمى بهقباذ الأسفل.

فالمنطقة الأولى هي السليحين وتشمل الخورنق والطيزناباه ونهر بورسوف والمنطقة الثانية هي فرات بادقلي.

٢ - للمنطقة الأولى من الأستان رقم (١١) المسمى بهقباذ الأوسط وتشمل الجبة ونهر البداة وترينا الخريطة بأنها الأراضي الواقعة شرقي الكوفة بل وحتى أنها شرقي الفرات.

وأصبحت الكوفة في القرن الرابع الهجري حاضرة لأحدى الكور - الولايات - العراقية الست تتبعها الأعمال التالية: بابل وعين التمر - المنطقة ١ - و ٢ و ٥ - ٦ في الأستان رقم (١٠) -- سورا والنيل -المنطقتان رقم ٢ و ٤ من الأستان رقم (١١).

وفي العهد العثماني نزلت درجتها ناحية بسيطة من قضاء النجف التابع لسنجغ كربلاء، وظلت كذلك في الإدارة العراقية الحالية، غير أن سنجغ كربلاء صار يدعى لواء كربلاء.[١]

---

(١) خطط الكوفة ورسم خريطتها ص١٦.



صورة لازقة الكوفة في زمان مقارب لدخول ماسينيون لها

فرايا ستارك[1]

في سنة ١٩٣٧ زارت النجف الكاتبة الأنكليزية القديرة والموظفة في الأستخبارات البريطانية المس (فرايا ستارك) وبقيت فيها أسبوعا ضيفاً على القائم مقام الذي أنزلها في جناح الضيافة الموجودة في نادي الموضفين قد كتبت فصلاً خاصاً عن النجف ضمنته

(١) السائحة الصحفية المؤرخة سجلت حياة عراق الثلاثينات سجلت الكَفة البغدادية ومشحوف الهور والكلك المصلاوي تركت في رحلاتها في الشرق الأوسط ٦ آلاف فوتوغرافية السائحة الصحفية المؤرخة الأنكليزية فريا ستارك واحدة من بين أشهر الرحالات الغربيات اللاتي جبن الشرق العربي خلال الربع الأول من القرن العشرين، عراق الثلاثينات في العهد الملكي، عهد الخير والعطاء والتآخي. كانت سائحة صحفية مؤرخة بالصور خاصة، زارت العراق وولعت به، كانت تتعاون مع الإدارة البريطانية، وتمكنت من خلال عملها في جمعية أنكليزية التعاون مع أوساط الشرقيين، كانت هواية فريا ستارك التجول في العراق بعد أن زارت عمان ودمشق، وإقامة علاقات طيبة مع العراقيين وإحداث تغيير في الشعور الجماهيري لدى العراقيين. كان من الضروري التقرب إلى طبقات المجتمع ولهذا تقول فريا ستارك (شكلنا جهازاً سياسياً استشارياً بهدف محاربة إعلام العدو وخلق صداقة مع القادة وبصورة عامة لإبقاء النفوذ البريطاني في العراق). استطاع الضباط البريطانيون الموجودون في العراق أن يعملوا إلى جانب موظفي العلاقات العامة وقدموا الدعاية لمصلحة بريطانيا. كانت منظمة (أخوان الحريةBrothers of Freedom) التي اسستها فريا ستارك قد ساعدت في خلق علاقات مع الناس ليس في بغداد فقط بل في الألوية الأخرى. تمكنت فريا ستارك بشكل سريع من توثيق صلاتها بالمجتمع، لكنها عندما انتهت حاجة بريطانيا إلى خدماتها في المؤسسة التي أنشأتها حلتها. لعل من بين مقومات استحداث هذه المنظمات كان الدعم الكبير الذي حظيت به من الساسة العراقيين الذين تولوا الحكم في العراق كنوري السعيد وغرهم. غادرت فريا ستارك العراق لكنها استمرت على علاقاتها مع بعض القادة العراقيين ومنهم الأمير عبدالإله الذي التقاها مرة أو أكثر في أوروبا. الواقع ان (منظمة أخوان الحرية) تحولت إلى (منظمة الماسونيين السرية) الأنكليزية التي كان الكثير من الوزراء والنواب في البرلمان العراقي أعضاء فيها ثم انتهت بعد زوال الملكية.

ملاحظاتها عنها في كتابها الموسوم (صور بغدادية).[١]

وتبدأ ملا حضاتها بما شاهدته عن الكوفة فهي تستهل الفصل بوصف جلسة مسائية على شاطىء الفرات، مع رئيس البلدية وسبعة من(الأفندية)، وكان ذلك في أوائل ربيع الأول بعد ان انتهى صفر، الشهر الثاني من شهري الحزن المعتادين في كل سنة.[٢]

ولذلك تقول أنها شاهدت وهي جالسة من بعيد شعلات من النار طافية في النهر، وقد كانت تنساب منحدرة مع تياره حتى تختفي،وترمى هذه في النهر في نهاية موسم العزاء (نهاية شهر صفر) لتأخذ معها أحزان السنة وتفرج الكربة عن الناس، وهذه على ما تقول عادة قديمة ترجع بقدمها إلى تاريخ هذه البلاد العريق القدم،ثم تشير بالمناسبة إلى إن (الأفندية) الذين شاهدوا معها النار الطافية لمحوا هلال الشهر الجديد(هلال ربيع الأول) وأخذ كل منهم يتمنى الخير والموفقية لصاحبه، من دون ان يشعروا بان ما فعلوه يعتبر من قبيل عبادة القمر أو التبرك به، وليس من المستغرب ان يحصل مثل هذا فتبقى هذه الوثنية في بلاد لاتبعد كثيراً عن قبر (الكفل) و(برج بابل) اللذين يدلان على ذلك العالم الغابر.

ولكن المرء حينما يعبر جسر الكوفة المستند على الزوارق ينتقل من العالم البابلي إلى عالم الإسلام على حد تعبيرها.

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ج٦ النجف القسم الأول ص ٣٢١.

(٢) يعني أيام عاشوراء في شهري محرم وصفر وهما يكرسان للعزاء الحسني المتعلق بقتل الحسين عليه السلام في كربلاء سنة ٦١ للهجرة.



صورة جسر الكوفة القديم وهو قريب من موقع الجسر الحديدي الحالي

وهي ترى إن الحيرة توجد مدفونة تحت الرمال ما بين النجف والكوفة، وان التلال الرملية المحيطة بالكوفة تحوي في باطنها خرانب كوفة العرب الفاتحين الأولى.

وبعد أن تشير (فرايا ستارك) إلى جامع الكوفة الكبير وغيره من معالم البلد تقول:

إن قصر الإمارة هدمه عبد الملك بن مروان الأموي، لأنه كان جالساً فيه ذات يوم سمع عجوزاً من الأعراب يقول (ستكون الخامس)، وحينما سأل عما كان يقوله هذا أجابه يقول (عندما جنت لأول مرة إلى الكوفة رأيت رأس الحسين عليه السلام بين يدي قاتله عبيدالله هنا، فذهبت وعدت ثانية إليها بعد مدة فشاهدت رأس عبيد الله في نفس المكان بين يدي المختار بن يوسف الذي قتله، وبعد أن خرجت منها وعدت مرة أخرى ألقيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير، ثم ذهبت فعدت هذه المرة، وها أنا أرى إلا بين يديك رأس مصعب، ولذلك خرج عبد الملك من الكوفة و أمر بهدم قصر الإمارة الذي تشاهد خرائبه

الآن بجنب دار الإمام عليه السلام.[١]

وقد كان الإمام علي هنا يعمل للخير ويتمسك بالأمور المثلى (على حد تعبيرها) فـافنى نفسه وهو مريض الفؤاد ما بين أهل الكوفة المتلونين.



---

(١) أصل الخبر أن عبد الملك بعد قتل مصعب بن الزبير دعي أهل العراق إلى البيعة وبايعوه ثم جاء عبد الملك حتى دخل الكوفة وجلس في قصر الأمارة وبين يديه رأس مصعب، وعن مسلم النخعي قال: كنت جالساً فرأى عبد الملك مني اضطراباً فسألني فقلت: يا أمير المؤمنين دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين بين يدي ابن زياد في هذا الموضع، ثم دخلت بعد ذلك فرأيت رأس ابن زياد بيدي يدي المختار ثم دخلت فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب، ودخلت وهذا رأس مصعب بين يديك فوقاك الله يا أمير المؤمنين فأمر عبد الملك بهدم الطاق وتخريب القصر(ينظر: مجمع الزوائد الهيثمي ج ٩ ص ١٩٦،المعجم الكبير الطبراني ج ٣ ص،١٢٥،نظم درر السمطين الزرندي الحنفي ص ٢١٩،ابن كثير في البداية والنهاية ٨ ص ٣٢٢).

الليدي درور

هي رحالة تجولت في ربوع الراق من الشمال إلى الجنوب ودونت رحلتها هذه في كتاب عنوانه على ضفاف دجلة والفرات دخلت إلى الكوفة وتجولت في مناطقها وقالت عنها:

أسست الكوفة أيام نهضة الإسلام، ولكن أهلها قديما دأبوا على التقلب فكانوا مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك.. فسرعان ما كانوا يمالئون هذا، وسرعان ما ينقضون عليه ! ومن يقدم كربلاء أو النجف لزيارة عتباتها المقدسة لابد وأن يعرج على الكوفة ويزور المسجد الكبير الذي أستشهد فيه الإمام علي.

أن أهل الكوفة هم الذين أغروا (الحسين بن علي) على التوجه مع أفراد أسرته عبر الصحراء وإلى مدينتهم، لكنهم سرعان ما أشفقوا على أرواحهم فخذلوه ولم يلبوا طلبه في الوقوف موقف المؤيد لقضيته.

وذكرهم الحسين بالبيعة التي أخذوها على أنفسهم واليمين التي أقسموها على نصرته، وكان أن حز رأس الحسين وأهل الكوفة ينظرون!

وفي الكوفة خذل (زيد) حفيد الحسين أيضا، أغراه أهلها سرا على الثورة في وجه الخليفة الأموي، وأخذوا عهداً على أنفسهم عهداً بأن يكفروا عن سينات آبائهم الأقدمين ويزيلوا الوصمة التي ألحقوها بمدينتهم بخذلان جده.وأراد زيداً ورفعت راياته في الكوفة قبل هجوم جيوش الخليفة عليها، ولم يقف في صفه من أهلها سوى ٢٠٠ وسرعان ما تفرق هؤلاء أيضا فرقا وأشفاقا.وغلق باب المسجد على زيد أشد الناس تظاهراً في نصرته، وخاطبهم زيد عساهم يتذكروا عهدهم ويخجلوا من نقضه،وذهبت الصيحة بلا صدى، وقتل زيد مع من بقي على نصرته منهم، وهم جد قليل، أما الكثرة الكاثرة منهم فبقوا متخفين يخشون أسداء المعونة له أو نجدته.

والكوفة اليوم، على الرغم من نباهة شأنها في تاريخ الإسلام، قصبة صغيرة وهي ترتبط بالنجف بخط تراموي طوله ٧ أميال وتجره الخيول عبر الصحراء، وتتراءى القصبة على شيء

من ألتفه بسبب قربتها من مدينة النجف العظمى.

زرت الكوفة مرتين، مرة من الحلة، ومرة أخرى من النجف، ولم تراودني نفسي على زيارتها مرة ثالثة، ويخترق طريق النجف ـ الكوفة صحراء مسطحة نظيفة تزينها أحيانا أحداق زهيرات برية زرقاء، وتتراءى من بعيد قبة النجف الذهبية وهي تتلألأ وتتألق فتسر الناظرين.

وقد يعبر المسافر بين الفينة والفينة جدولاً من تلك الجداول المندرسة، وتروى بصدد أحدى هذه الجداول أسطورة عربية قديمة:

قالوا أن فتاة وضينة كانت تسكن عمان، وخطبها الكثيرون ولكنها فضلت من بينهم رجلاً بصرياً، ولكنها غالت في صداقتها ولم ترض به بعلاً إلا بشرط: هو أن يقوم بحفر جدول تستطيع أن تنقل بواسطته في قارب يحملها من عمان إلى البصرة. وشمر خطيبها عن ساعد الجد، وأستغرق حفر الجدول ٨٠ سنة وعندما جاء الخطيب بخطيبته أثر ذلك إلى بيت الزوجية كانت الفتاة الوضينة قد بلغت الكبر عتيا، وخلفت (زهرة العمر) ظهريا: والظاهر أن مغزى الأسطورة هذه يخالف مغازي أساطير الجان وما فيها من شرط تشترطه الأميرة على خطيبها !

وجامع الكوفة الكبير على بعد أكثر من ميل من القصبة الحالية.

أنه قائم في الصحراء، يحيط به جدار يجعله أشبه ما يكون بحصن، وفي الجدار أعمدة شبه دائرية، وهي فيه على مسافات وفي داخل الجدار ساحة كبيرة وفي وسطها المزار المشبك حيث أستشهد علي، وقيّم المزار شيخ وديع يضع في أصبعه خاتماً بابليا ويزهو به كثيراً، ولم يكن ليغلب على هذا القيّم التعصب شأن غيره فلقد سمح لي بأن أقف على الباب الرئيس لأصور منها ما أشاء !.

وسألته أهو قديم ؟ فأجاب، وعليه سيماء الجد:

أجل، أنه قديم قدم آدم ![1]

---

(١) يستند هذا الشيخ الذي رأته درور إلى نصوص في كلمات أئمة الشيعه في شان هذا الأمر منها:

←

وفي الحق أن ما هو قديم فيه لايعدوا منارة الجامع، أما الجدران التي تحيط بـه وتـتراءى وكأنها من مخلفات القرون الوسطى فلم تبن إلا حديثاً.

وهنا عين وحولها أسطورة: قيل أن مياه الطوفان التي غمرت الـدنيا كلهـا فـي عهـد نـوح تدفقت من هذا العين بالذات وبأمر من الله وليهلك الناس جميعاً.

وعلى مقربة من الجامع الكبير، وفي الصحراء أيضاً يقوم بيت ينسب إلى الخليفة القتيـل وقبران ينسبان مسلم بن عقيل وهـاني بـن عـروة، وهمـا ممـن يجلهـم الشـيعة، والظـاهر أن الجامع كان على النهر بدّل مجراه فأخذ أهل الكوفـة يبنـون بيـوتهم أمـام الجـامع وتقـدمت القصبة.

والكوفة ميناء نهري تقع علـى نهـر الفـرات السلسـال وتكتنفهـا خمائـل النخـل العـامرة والبساتين المتضوعة، ولها جسر جيد البناء، وتجري أمـام المدينـة سـفائن كسـفن الفـايكنغ والقوارب النهرية، والمراكب وهي تحمل البضائع مـن كـل نـوع والمدينـة مفتوحـة وتلعـب الرياح في جوانبها، وكان لها سوق جميل قبل ثورة ١٩٢٠ وقصف فبنوا سـوقاً جديـداً محلـه. أنه سوق بارد يتخلله الهواء ويتألف من دكاكين متينة البناء، وبين الحلة والكوفة أجهز الثـوار على وحدة الـ (مانجسترز) وأفنوا أفرادها عن بكرة أبيهم ومازالت جثث القتلى ورمم الخيـول ومخلفات المعركة باقية شاهدة على ذلك.



عن زيد بن علي عن أبيه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أول بقعة عبدالله عليها لظهر الكوفة لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا على ظهر الكوفة وإنه ليحشر من هذا الظهر سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب(فضل الكوفة وفضل أهلها ص٤٥).

قال النبي (صلى الله عليه وآله): لما أسري بي مررت بموضع مسجد الكوفة وأنا على البراق ومعي جبرئيل فقال: يا محمد هذه كوفان وهذا مسجدها، أنزل فصل في هذا المكان. قال: فنزل فصليت، فقلت: يا جبرئيل أي شيء هذا الموضع ؟ قال: يا محمد هذه كوفان وهذا مسجدها، أما إني فقد رأيتها عشرين مرة خراباً وعشرين مرة عمراناً ما بين كل مرتين خمسمائة عام (من لا يحضره الفقيه ٢٣١/١).

ولعلها كانت تعني بالقدم البناء والشيخ يقصد المكان والتاسيس.



صور تمثل وسائل النقل القديمة لعبور شط الكوفة

وشربت الشاي مع (المدير) في منظرته المطلة على النهر، ولعله حاذر من أن يضيفني وأنا أمرأة وحيدة داخل الدار لئلا يثير القيل والقال، ولعلي مخطئة في هذا الظن أيضا.

وتبدوا على وجه (المدير) الشاب أمارات الحزن وهو لايعرف عن العالم الخارجي إلا لماما، أنه قريب للقائم مقام ورجل عرف بنزعته العدائية للأنكليز سبق أن أنزل العلم البريطاني أبان الثورة وداس عليه بقدميه ولقد نحوه أخيراً عن منصبه لا بسبب هذه النزعة ولكن لعدم كفائته بوجه عام!.[(١)]

(١) على ضفاف الفرات ـ الرحالة الليدي درور، ترجمة فؤاد جميل ـ نشر دار الوراق ص١٨ـ ٨٤ .

مصطفى الشهابي[1]

قام الأمير مصطفى الشهابي برحلة إلى العراق في خريف سنة ١٩٤٠ ومرّ بالكوفة ووصف جامعها بما يلي:

اما مسجد الكوفة فلم يبق منه الا صحنه العظيم تحيط به جدرانه الشاهقة وأمامها اروقة

---

(١) هو مصطفى بن محمد سعيد بن جهجاه الشهابي (١٣١١ - ١٣٨٨ هـ = ١٨٩٣ - ١٩٦٨ م)، الأمير: أديب لغوي، عالم بالمصطلحات الزراعية، من أمراء الأسرة الشهابية. ترأس المجمع العلمي العربي في دمشق نحو ٩ سنوات. ولد في حاصبيا (وكانت تابعة لسورية) وبدأ دراسته فيها ثم في بعلبك ودمشق، حيث كان أبوه يتنقل. وسافر مع أخيه عارف إلى الأستانة (١٩٠٧) فأقام سنتين في مدرسة فرنسية، وعاد إلى دمشق، فمكث سنة في الثانوية السلطانية (مكتب عنبر) وتبرع بعض الأثرياء بإرساله إلى فرنسة فدخل مدرسة غرينيون Grignon الزراعية، وحصل منها على شهادة مهندس زراعي (١٩١٤) ودخلت الحرب، فكان من ضباط الإحتياط في الجيش العثماني، وعين (١٩١٦) قائداً لسريتين زراعيتين في مرج ابن عامر فبيسان فمجدل طبرية. وبعد الحرب تنقل في خدمات زراعية واقتصادية. ثم كان في العهد الفرنسي وزيراً للمعارف (١٩٣٦) فمحافظاً لحلب (٣٧ - ٣٩) فوزيراً للمالية، فمحافظاً اللاذقية (١٩٤٣) في العهد الوطني، فمحافظاً لحلب (٤٦) فوزيراً للعدل (٤٩) فوزيراً مفوضاً في مصر (٥١ - ٥٤) وكان من أعضاء المجامع العلمية العربية الثلاثة، في دمشق، والقاهرة، وبغداد. وانتخب رئيساً للمجمع في دمشق (١٩٥٩) إلى آخر حياته. أبرز أعماله العلمية ما وضعه من المصطلحات الزراعية والنباتية، وله فيها (معجم الألفاظ الزراعية - ط) و (المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث - ط) ومن كتبه المطبوعة أيضا (الأشجار والأنجم المثمرة) و (الزراعة العلمية الحديثة) و (البقول) و (معجم الألفاظ الزراعية) و (أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية) و (الشذرات) و (الإستعمار) جزآن، و (القومية العربية) جزآن. توفي ودفن بدمشق. ولعدنان الخطيب، كتاب (الأمير مصطفى الشهابي - ط) في سيرته. قلت: وسمعته مرة يدعو بأن يموت قبل إنتهاء طبع الأعلام ! (الأعلام ج ٧ ص ٢٤٥، مجلة المجمع العلمي العربي ٢٠: ١٩٠، الأعلام الشرقية ٣: ٨١).

بسيطة حديثة وفي أحد الأروقة عند المحراب قاشاني حديث يستوقف النظر, وهذا المكان هو الذي طعن فيه الإمام علي بيد ابن ملجم، وفي أحد جوانب المسجد أقيم مصلى جديد صغير رأينا الناس يتبركون به ويصلون،ولا شك أنه مسجد الكوفة على سعة صحنه وبساطة ما تبقى فيه مثير في نفس المسلم ذكريات تاريخة مشجية، وعندما يبلغ الزائر هذا المسجد قبيل الغروب وهي الساعة التي بلغناه فيها ويدخل صحنه العظيم الذي كان يتسع لآلاف المصلين يشعر بخشوع زائد أمام روعه هذه البقعة المقدسة،ولاسيما إذا كان ملماً بتأريخ صدر الإسلام.[١]

(١) محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ج٣ص٣٥١ سنة ١٣٧٤هجرية - ١٩٥٤ص٣٥١.

السيد محسن الأمين[1]

كانت للسيد محسن الأمين رحلات عديدة في البلدان الشيعية منها ما كان في العراق قال في رحلاته المطبوعة:

وبعد انقضاء شهر رمضان المبارك ذهبنا لزيارة مسجد الكوفة ومسجد السهلة والصلاة فيهما، وفي سائر المساجد التي بالكوفة، وزيارة ضريح مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وغيرهما.

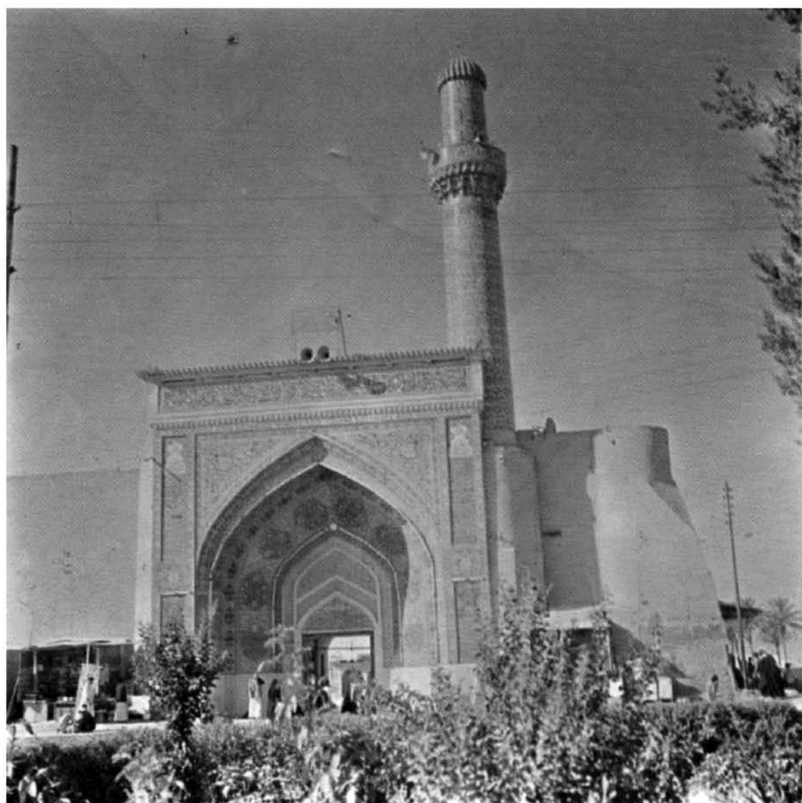
والمسافة بين النجف ومسجد الكوفة نحو فرسخ، كانت تقطع في السابق على الدواب والأقدام، ثم صارت تقطع اليوم في عربات تجرها الخيل على خط من الحديد لشركة بغدادية نجفية.

وبين النجف والكوفة قبر عليه قبة منسوب إلى كميل بن زياد النخعي صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام). يقال: إنه أستخرجه السيد مهدي القزويني ببعض الأمارات، وقبر آخر عليه قبة وصندوق لإبراهيم من ولد الحسن (عليه السلام). فدخلنا مسجد الكوفة المبارك من باب الفيل ولم يبق من أبوابه اليوم إلا باب الفيل من الجهة الشمالية وباب كندة

---

(١) هو السيد محسن ابن السيد عبد الكريم العاملي ينتهي نسبه إلى الحسين بن ذي الدمعة ابن زيد الشهيد نزيل دمشق الشام،ولد بقرية شقرا في حدود سنة ١٢٨٢هـ.هاجر إلى النجف الأشرف فبقي هناك خمس سنين ثم خروج منها في أواخر جمادي الثانية من سنة ١٣١٩ هـ قرأ في الفقه والأصول على يد:الشيخ محمد طه نجف. الشيخ ملا كاظم الخراساني توفي في دمشق سنة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م. له عدد من التأليفات المهمة منها: أعيان الشيعة. الرحيق المختوم. ديوان شعره. الحصون المنيعة (رسالة في الرد على صاحب المنار). تحفة الأحباب في آداب الطعام والشراب. كشف الإرتياب. معادن الجواهر. المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية. لواعج الأشجان. مقتل الحسين ومراثيه. الدر الثمين. مفتاح الجنان. خطط جبل عامل (ينظر في ترجمته: الأعلام ج٦ / ١٧٤، أعيان الشيعة ج٤٠، الرحيق المختوم / ٣٣٩, معجم شعراء الشيعة ج٢٦ / ٢٢٣).

من الجهة الشرقية، وهو من المساجد الشريفة المندوب إلى الصلاة فيها.



مسجد الكوفة

ويروون(١) أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) شد الرحال من المدينة المنورة إلى

---

(١) عن أبي حمزة الثمالي قال: بينا أنا قاعد يوماً في المسجد عند السابعة إذا برجل مما يلي أبواب كندة قد دخل فنظرت إلى أحسن الناس وجهاً و أطيبهم ريحاً و أنظفهم ثوباً معمم بلا طيلسان و لا إزار، عليه قميص و دراعة و عمامة و في رجليه نعلان عربيان فخلع نعليه ثم قام عند السابعة و رفع مسبحتيه حتى بلغا شحمتي أذنيه ثم أرسلهما بالتكبير فلم تبق في بدني شعرة إلا قامت ثم صلى أربع ركعات أحسن ركوعهن و سجودهن و قال إلهي إن كنت قد عصيتك فقد أطعتك في أحب الأشياء إليك الإيمان بك منا منك به علي لا منا مني به عليك لم أتخذ لك ولداً و لم أدع لك شريكاً و قد عصيتك على غير وجه المكابرة و لا الخروج عن ←

الكوفة للصلاة فيه، وهومسجد الكوفة الجامع الذي لم يزل معموراً بعد خراب كوفة اليوم.



واجهة المحراب الذي قتل فية الامام علي (ع) من قبل الخارجي عبد الرحمن بن ملجم

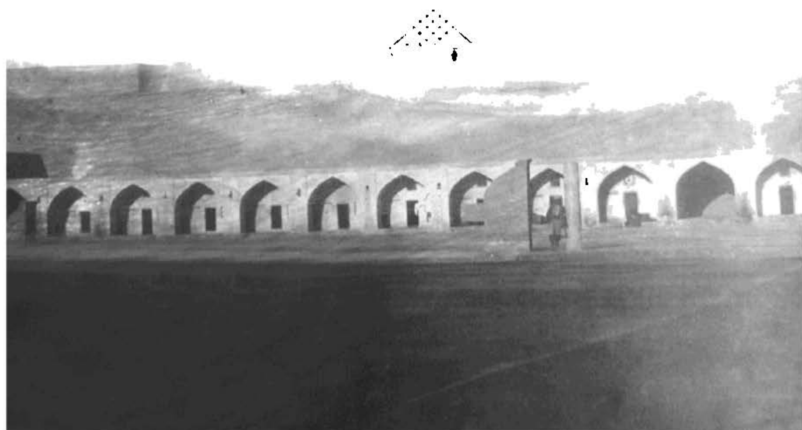
وكلما تهدم منه شئ بادر إلى اصلاحه أهل الخير من المؤمنين وهو متساوي الفناء يحيط به سور عال، وقد سقف قسم منه من الجهة الجنوبية عند المحراب والمنبر، وبني في باقي



عبوديتك و لا الجحود لربوبيتك و لكن اتبعت هواي و أزلني الشيطان بعد الحجة علي و البيان فإن تعذبني فبذنوبي غير ظالم لي و إن تعف عني فبجودك و كرمك يا كريم ثم خرّ ساجداً يقولها حتى انقطع نفسه و قال أيضاً في سجوده: يا من يقدر على قضاء حوائج السائلين يا من يعلم ضمير الصامتين يا من لا يحتاج إلى تفسير يا من يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور يا من أنزل العذاب على قوم يونس و هو يريد أن يعذبهم فدعوه و تضرعوا إليه فكشف عنهم العذاب و متعهم إلى حين قد ترى مكاني و تسمع كلامي و تعلم حاجتي فاكفني ما أهمني من أمر ديني و دنياي و آخرتي يا سيدي يا سيدي سبعين مرة ثم رفع رأسه فتأملته فإذا هو مولاي زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام فانكببت على يديه أقبلهما فنزع يده مني و أومأ إلي بالسكوت فقلت يا مولاي أنا من عرفته في ولائكم فما الذي أقدمك إلى هاهنا قال هو ما رأيت. (المزار الكبير ٢١٢، بحار الأنوار: ٩٧ / ٣٨٨ ح ١٢، فضل الكوفة: ٧٧ أمالي الصدوق: ٣٨٩ ح ١٢، بحار الأنوار: ٨٣ / ١٩٥ ح ٢ و ٩٧ / ٣٩٠ ح ١٥).

جوانبه حجر وأواوين يأوي إليها الزائرون والمعتكفون.

وله مأذنة عالية في وسطه عمود من رخام، الظاهر أنه كان شاخصاً لمعرفة الزوال وأوقات الصلاة، وللعوام فيه خرافات كعادتهم في أمثال ذلك منها: أن من لم يقدر أن يحيطه بباعة بحيث تصل إحدى يديه إلى الأخرى فهو ليس لأبيه فالويل لمن كان باعه قصيراً، وهذا كما كان في بيت المقدس عمدان يزعم العوام أن من لم يستطع أن يخرج من بينهما فهو ليس لأبيه، فالويل لمن كانت جثته كبيرة وبطنه عظيمة، ثم وضع بينهما حديد لمنع ذلك.



صورة قديمة تظهر فيها مزولة الصلاة التي ذكرها السيد في حديثه

وفيه مكان يقال: إن منه فار التنور، وأن منزل نوح عليه السلام كان هناك فجاء أحد العوام على حسب العادة يرشدنا إلى الأماكن التي فيها صلوات وأدعية مخصوصة، حسب ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وبعد الفراغ من ذلك جئنا إلى محراب أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يصلي فيه والذي ضربه فيه شقيق عاقر الناقة عبد الرحمن بن ملجم، وصلينا فيه ودعونا الله تعالى.

ثم خرجنا من باب كندة لزيارة قبر مسلم بن عقيل، ومشهده ملاصق للمسجد في

الجنوب الغربي، وأمامه فسحة واسعة يحيط بها سور متصل بسور المسجد.

ويقابله في هذه الفسحة من الجهة الشمالية قبر هاني بن عروة المستشهد في حب أهل البيت عليهم السلام وعليه قبة، وفي خارج المسجد من الجهة الشمالية قبة يقال: إنه مشهد لبعض بنات الحسن عليه السلام.

ثم خرجنا من مسجد الكوفة وزرنا بيت أمير المؤمنين عليه السلام وتبركنا بآثاره الشريفة وهو في غربي المسجد.

ثم توجهنا إلى مسجد السهلة وبينهما نحو عشر دقائق، ومسجد السهلة في الشمال من مسجد الكوفة، وبينهما آثار خرائب الكوفة وأنقاضها.

وهناك مكان يقال: إنه سوقا للصاغة، ولا يزال يوجد فيه بعض قطع الذهب والفضة، فصلينا ودعونا الله تعالى على الصفة التي جاءت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وهنا كان ما دفعناه للقوام رسماً مقطوعاً من طلب الزيادة، بخلاف ما كان في مسجد الكوفة فأن صاحبنا لم يستطع التخلص من الخدم إلا بجهد وأضعاف ما دفعه في مسجد السهلة، وهؤلاء الخدم للمساجد والمشاهد أكرامهم من أكرام صاحب المشهد والمسجد.

ثم خرجنا من مسجد السهلة وصلينا في مسجدين منسوبين لصعصة وزيد أبني صوحان العبدي.

ومسجد الكوفة اليوم كمسجد السهلة في فضاء من الأرض ليس حوله عمران.

وبلدة الكوفة اليوم قائمة بجنب الشط فيها دور جيدة وعمارات على الشط ومتنزهات ومتاجر وحمامات، وكانت السفن الكبيرة تأتي اليها من البصرة بأنواع التجارات ولكن بعد مد الخط الحديدي من البصرة إلى بغداد إلى كربلاء ضعفت تجارتها.

وفيها جسر يعبر عليه الناس من الشرق إلى الغر ب وبالعكس، وفيها كثير من البساتين للنخيل وغيره من المزارع ـ وهواؤها جيد جداً وتربتها نامية يخصب فيها الزرع.

مصرها في الإسلام سعد بن أبي وقاص الصحابي بعد فتح العراق، وكانت قبل مصيفا لجند كسرى لطيب هوائها ولذلك كانت تسمى كوفة الجند، قال الشاعر:

أن التي ضربت بيتا مهاجرة ... بكوفة الجند غالت ودها غول

وفيها مشهد للنبي يونس عليه السلام، وفيها مسجد الحمراء وهو من المساجد المباركة المرغوب في الصلاة فيها،وبعدما توطنها أمير المؤمنين علي عليه السلام كثرت فيها شيعته، وأستمروا في كثرة حتى صارت من أشهر بلاد الشيعة.

وكان فيها من رواة حديث أنمةاهل البيت وعلمانهم على تطاول الأزمان عدد لا يحصى.

وسكنها بعد الفتح الإسلامي كثير من الصحابة والتابعين والعلماء في سائر الفنون.

ونحاة الكوفة كنحاة البصرة مشهورون، وبلغت الغاية في العمران: وهي أحد العراقين: (البصرة والكوفة).

ولما ظهرت الدولة العباسية ظهر أول خليفة منها في الكوفة، ثم سكن المنصور الهاشمية بقرب الكوفة ثم تركها إرادة للبعد عن أهل الكوفة المعروفين بالميل إلى آل أبي طالب[١]،

---

(١) قال السيد محسن الأمين في الأعيان عن مدينة الكوقة:
الكوفة وشهرتها تغني عن وصفها وهي معدن الشيعة ومحبي أهل البيت إشتهرت بذلك قديماً وحديثاً حتى قال أبو تمام:

وكوفني ديني على أن منصبي ‏ ‏ ‏ شام ونجري آية ذكر النجر

وتكلم رجل على الصادق جعفر بن محمد(ع) فقال له آخر: لو تكلمت بهذا في الكوفة لأخذتك النعال من كل جانب.
ولما ظهرت دولة بني العباس بالكوفة بنى السفاح الهاشمية ثم انتقل عنها المنصور لقربها من الكوفة لكون هوى أهلها هوى أهل البيت.
وفي معجم البلدان عند ذكر خراسان أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس لما أرسل دعاته نهاهم عن بلدان منها الكوفة وقال أن هناك شيعة علي وولده وأمرهم بقصد خراسان.
وعن أمير المؤمنين(ع) هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا.
وفي نهج البلاغة عند ذكر الكوفة وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءاً إلا ابتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل.
قال قطب الدين محمد بن الحسين الكيدري في شرح النهج: فمن الجبابرة الذين ابتلاهم بشاغل زياد وقد جمع الناس في المسجد ليلعن علياً(ع) فخرج الحاجب وقال: انصرفوا فإن الأمير مشغول وقد أصابه الفلج في هذه الساعة.
وابنه عبيد الله أصابه الجذام.

←

وبني بغداد وسكنها الناس فتراجع أمر الكوفة شيناً فشيناً إلى أن خرجت بعد مدة طويلة من كثرة الحروب والفتن، وانتقل أهلها إلى بغداد وغيرها من البلدان.

وفي سنة ورودنا إلى العراق لطلب العلم وهي سنة ١٣٠٨هـ لم يكن فيها بناء وأنما كان فيها عدة أكواخ من القصب وسوق صغير ثم عمرت تدريجياً حتى صار فيها اليوم القصور والمتاجر والمتنزهات على جانب الشط، وهي متنزه أهل النجف فيها الحدائق والبساتين.

مسجد ملا[1] ظفيرة:

بنت الملا يوسف خازن الحضرة الشريفة العلوية قبل آل الرفيعي، وهو من ذرية ملا عبدالله صاحب الحاشية في المنطق.



والحجاج تولدت الحيات في بطنه حتى هلك.

وعمر بن هبيرة وابنه يوسف أصابهما البرص.

وخالد القسري حبس فطولب حتى مات جوعاً.

وأما الذين رماهم الله بقاتل فعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير وأبو السرايا وغيرهم قتلوا جميعاً.

ويزيد بن المهلب قتل على أسوأ حاله.

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: في الكوفة تربة تحبنا ونحبها.

وعنه عليه السلام اللهم ارم من رماها وعاد من عاداها.

وعنه عليه السلام أما أنه ليس من بلد من البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة.

وعن ابن كثير أنه قال في بيان أحوال جعفر بن فطير وزير العراق: وكان ينسب إلى التشيع وهذا كثير في أهل تلك البلاد.

وقال المؤرخون: إنه لما ولي زياد العراق وتتبع الشيعة لم يكن أشد بلاء من أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة.

ثم أن الكوفة ضعفت بعد انتقال الخلافة إلى بغداد ثم خربت واليوم فيها كثير من العمران وجميع أهلها شيعة. (أعيان الشيعة ج ١ ص ٢٠٧)

(١) أصله (مولى) وهو لقب يطلق على علماء الدين والوعاظ وخطباء المنبر الحسيني، ومع أنه لغة خاصة بالرجال ألا أنه صار يطلق على كل من يمارس الوعظ والخطابة رجل كان أو أمرأة.

وكانت داره في محل المدرسة التي في المشرق بجانب دار آل الطباطباني، وابنته ملا ظفيرة هذه بنت مسجدا في الكوفة أيام كنا نطلب العلم في النجف[1]، عرف بأسمها وكان في آخر العمران أما اليوم فأصبح في وسط العمران.

نهر سعد:

وبين النجف والكوفة موضع نهر يسميه العامة كري سعدي، وأنما هو نهر أشتقه لها سعد بن أبي وقاص، والكري في لسان أهل العراق شق النهر وأخراج التراب والرمل منه، وهم ينطقونه بالجيم الفارسية. أما اليوم فالنهر الذي فيها ينشق من نهر الهندية وفي أرضها مزرع يسمى التاجية فيه بساتين النخل والفواكه والخضر والمزارع المتنوعة، وهي منسوبة إلى من اسمه تاج الدين وقريب منها: الحيرة: منازل ملوك الحيرة من المناذرة وغيرهم، وكانوا ملوك العرب من قبل الأكاسر.

وفيها آثار قصر الخورنق باقية فيه إلى اليوم، ومن قصورها السدير.

ويقال: إنه إسم نهر وله وللخورنق شهرة في التاريخ وذكر في الأسعار، وفيهما يقول

---

(١) أن أرض الجامع الأصلية كانت مسناة وضفة لنهر الكوفة وشريعة لوقوف المراكب التجارية – وهي مليئة بالبردي والقصب، ثم دثرت بالتراب عام ١٢٧٧ هج (١٨٥٧ م) وشقت له الأسس، وشيد على نفقة (الملا ظفيرة) بنت الملا محمود بن الملا يوسف – أخت الملا شاكرين الملا محمود – وقد بناه الأسطة رحيم العجمي والأسطة محمد المعمار وتم الفراغ من بنائه عام ١٢٧٨، وكتب تاريخه على صخرة من المرمر لا تزال موجودة في المسجد:

ظفيرة أم عفاف سمعت	بنت الملا أجراً علت شاناً
عقيلة المجد بنت مسجداً	فاق لسفح الجسر كيواناً
شيد بامر الرب مذ ارخوا	(على تقى قد تم بنياناً)

وفي عام ١٣٧٣ سعى المرحوم الحاج محمد حسين العطار والحاج ارزوقي محمد بيك، والسيد حيدر السيد مشكور بتهديمه وتشييده على طراز حديث احسن، وجمعوا له التبرعات من أبناء البلد. وهو أقدم مسجد في الكوفة الحديثة، ويقع في شارع الإمام الحسين عليه السلام بمحلة السراي.(تاريخ الكوفة الحديث ج٢ ص ٣٦٦).

الشاعر:

فإذا انتشبت فأنني رب الخورنق والسدير

وإذا صحوت فأنني رب الشويهة والبعير

وتسمى الحيرة اليوم (الجعارة) وهي بقرب النجف.

وبعدما فرغنا من زيارة المشاهد والمساجد المباركة، عدنا إلى النجف الأشرف وبقينا فيها من ١٣ شهر رمضان إلى أوائل ذي القعدة الحرام سنة ١٣٥٢.[١]

وقال السيد محسن الأمين العاملي في أعيان الشيعة: ذهبت مرة إلى الكوفة لترويح النفس أياماً[٢] ومعي رجل من أفاضل العامليين فلما وصلنا المسجد.

قلت له: أنت اعط المكاري أجرته لأذهب أنا وأهئ حجرة نبيت فيها فذهبت وهيأت الحجرة فوجدت المكاري وصاحبي واقفين فقلت لم تعطه أجرته ليذهب فقال المكاري يا أغاتي هذا السيد يحشي أي يحكي بالنحوي وانا بالنحوي ما افهم. وانما الأجرة أربعة متاليك.

السيد محسن الأمين في السهلة

في بساتين السهلة

(١) رحلات السيد محسن الأمين العاملي، محسن الأمين العاملي - الغدير للدراسات والنشر ط١ ١-٢ ص ١١٤.

(٢) وفي ذلك قال الشيخ محمد علي اليعقوبي يصف ليلة سمر قضاها مع جماعة الأدباء على شاطىء الفرات شمالي مدينة الكوفة بحضرة السيد محسن الأمين العاملي سنة ١٣٥٢

لم انس بالكوفة الغراء مجلسنا ليلا وقد جمعتنا ساحة الشاطي

يوحي الأمين إلينا من فوائده نثرا يحكي الدر منظوما باسماط

نشنف السمع بالأشعار ننشدها كما تشنف اسماع باقراط

شفت احاديثة داء القلوب وكم صعب من الداء اعاطيب بقراط

لو ان كسرى راها لانثنى طربا وعاف ايوانه الزاهي بساباط

ديوان اليعقوبي ج٢ ص ١٠٧.

وفي بعض السنين مرضت العيال مرضاً عجز عن مداواته الأطباء وكان ابنها الكبير رضيعاً واستمر بها المرض وصار العزم أن نذهب بها إلى خارج النجف لتغيير الهواء فذهبنا إلى بعض بساتين السهلة وهو لرجل اسمه عبود وزوجته اسمها سكينة وهي صديقة عيالنا المخلصة فرحمك الله يا سكينة ورضي عنك ورحمك الله يا عبود وجزاكما الله عنّا خيراً وذلك في فصل الصيف وأنا لا يمكنني ترك الدرس ولا ترك العيال وكيف الجمع بينهما فتركت عندها بعض بني عمنا في النهار ليأتي بلوازمها من الكوفة وعندها أيضا سكينة ونساء صاحب البستان وكنت أصلي الفجر ثم اذهب راجلاً إلى النجف لأنه لا يوجد في ذلك الوقت دواب فاصل النجف عند طلوع الشمس والمسافة تزيد عن ساعة ونصف فاحضر الدرس الذي هو في ذلك الوقت عند الشيخ آقا رضا الهمداني في صلاة الجماعة ثم يقرأ عندي تلاميذي دروسهم وإذا كان لي حاجة في البيت أو السوق أتيت بها وعدت عند العصر راكباً لأن الدواب في ذلك الوقت موجودة وبقيت على هذه الحال أياما عديدة وجئت يوماً إلى المسجد لحضور الدرس وعلي آثار التعب فسألني الشيخ فأخبرته إنني كل يوم أحضر صباحاً من بساتين السهلة إلى هنا فقال لكل شئ آفة ولطلب العلم آفات.

في مسجد السهلة

وذهبنا إلى مسجد السهلة ونحن جماعة في فصل الشتاء للترويح عن النفس أياماً فوصلنا عند المغرب ولم نجد حجرة خالية وعلمنا انه يوجد حجرة أقفلها خادم أعجمي وهي خالية فسأله السيد علي ابن عمنا السيد محمود عنها فأنكر فهدده وتناوله بالضرب ففتحها ودخلناها ودخل معنا فأكل وشرب الشاي ومما قاله لي تلك الليلة إن العربي والعجمي لو طبخا في قدر واحدة لم يختلط دهن أحدهما بدهن الآخر فعجبت من تغلل العداوة إلى هذا الحد. وكنا نجلس ليلاً نتسامر فاقرأ لهم بعض الأشعار التي أوردها صاحب أمل الآمل في كتابه مثل قول بعضهم في رثاء عالم: وبالرغم مني قدس الله روحه فيضحكون ويأنسون.

وجئنا يوماً بسمن من الكوفة على ورقة مطبوعة باللاتيني فامتنع بعض الرفاق من الأكل مما طبخ بذلك السمن فقلت له كيف تأكل السكر ولا تأكل هذا فقال ذلك لم تره عيني

وهذا رأيته ثم اخرج من القدر شينا من اللحم وغسله وأكله وهكذا يكون الجمود. الزاعم إنه لا حاجة إلى علم الأصول.

وكنا يوماً في مسجد السهلة وفيه بعض العامليين ممن يدعي الفقاهة وهو بعيد عنها فبال صبي في المسجد فأخذ ذلك الرجل ماء وصبه فوق البول فقلت له زدت في نجاسة المسجد فقال في بعض الروايات إن النبي فعل هكذا فقلت له هذه رواية شاذة لا عامل بها ودعوت من أخذ ذلك فطهره في الحوض وأعاده إلى المسجد. وهذا الرجل كان يزعم أنه لا حاجة إلى علم الأصول ويكفي مراجعة الأخبار لأن الأخبار عربية ونحن عرب. وأراني مرة تأليفاً له في الفقه وقال مثل هذا القول فقلت له إذا وصلت إلى خبر فيه صيغة افعل وقد اختلف فيها الأصوليون على أقوال وأنت لم تحققها في الأصول فعلى أي شئ تحملها فقال أحققها حين وصولي إليها فعلمت إنه يهرف بما لا يعرف وإنه لما فاته تحقيق علم الأصول أراد أن يتملص من عيب ذلك فادعى عدم الحاجة إليه وهكذا يفعل الجهل بأهله.

ونظير هذا الرجل عاملي آخر هو رفيقه وعلى مشربه كان يقول أيضا بعدم الحاجة إلى علم الأصول فرآني يوماً أريد ان اشتري حاشية ميرزا موسى على الرسائل فجعل يقلب يديه متعجباً ويعقد وجهه ويقول أي حاجة لهذا فقلت له لكل امرئ رأيه ثم غبرت سنون فجاءني يوماً يريد أن يستعير مني حاشية ميرزا موسى فقلت له: ما تصنع بها قال احتجتها فذكرته ما جرى له معي يوم أردت شراءها فقال: دعنا من هذا فقلت: أخبرني ما هي حاجتك منها فامتنع فقلت: لا بد من أخباري فقال جاءني رجل شروقي يريد أن يقرأ عندي في الرسائل.

فقلت لا أعيرها لك بعد الذي صدر منك ثم أعطيته إياها وكان صديقي.[١]

---

(١) أعيان الشيعة ج ١٠ ص ٣٥٨.

السيد حسن الأمين

تابع السيد حسن الأمين سيرة والدة في التجوال في البلدان الشيعية وحقق في ذلك أهم هدفين في حياته وهما إكمال كتاب والده أعيان الشيعة وإنجاز دائرة المعارف الإسلامية الشيعية فحقق بذلك حلماً كبيراً يراود الكثير من مؤرخي الإمامية قال في رحلته من بلد إلى بلد:

تركنا بابل وراءنا وانحدرنا من التلال نمشي على الأقدام إلى ظلال نخيل يحيط بها حتى أدركنا قرية (كويرش) فسرنا في أزقتها وأبصرنا القرويين متجمهرين في مهاها ثم خرجنا من القرية وسرنا بين النخيل مرافقين لجموع القرويين الذاهبين لتمضية العيد في عمران وكان الشط يلمع من بين النخيل إلى يميننا ثم انقضى النخيل واستقبلتنا الشمس بحرها اللاذع حتى وصلنا إلى سفح تلال طويلة صعدنا فيها فانكشف أمامنا في رأس التل مقام (عمران) بقبتيه المكسوتين بالكاشي الأخضر ثم ظهرت الجماهير الحاشدة في الرحبات حول المقام ترقص رقصة (الدبكة) أو (الجوبي) كما يسمونها هناك فاذكرنا هذا المنظر بأحتشادات القرويين عندنا في مواسمهم في مقامات الأنبياء وتجمهرهم أيام الأعياد في أماكن خاصة يهزجون ويرقصون فكان المشهد واحداً هنا وهناك.

ثم أنحدرنا من (عمران) قاصدين الشط فأبصرناه مزدحما بالزوارق الكثيرة التي تقل جماعات القرويين وقد رأينا أن نعود إلى الحلة نهراً فأخذنا زورقاً مشى يشق بنا عباب الماء وكانت الضفاف حوالينا خضراء زاهية وجماهير القرويين نساء ورجالاً تملأ الطرق الظليلة هازجة شادية، وما لبثنا أن كان في الحلة بعد مسير ساعة ونصف الساعة على ظهر الماء.

وعند الأصيل تركنا الحلة في السيارة متجهين إلى الكوفة فكنا نبصر الناس محتشدين في طرق الحلة لاسيما في (باب المشهد) مجتمع البلد في الأعياد والمواسم وما أن خرجنا من الحلة حتى أخذنا في طريق جرداء قاحلة كان يلوح فيها من بعيد النخيل الأخضر ثم أبصرنا إلى يميننا قبة محاطة بالنخيل قيل لنا أنها مقام (النبي أيوب) وبعد سير بدأ لنا سواد غطى

وجه الأفق عرفنا فيه نخيل (الكفل) ثم بدت لنا منارته الشاهقة ولم نبصر من البلدة شينا لأنها كانت مغمورة بالنخيل بل أبصرنا مضارب شعرية منتشرة حولها ثم كنا بين النخيل نسير في ظلاله. والكفل مقدسة عند اليهود يقصدونها في مواسم خاصة ويحتشدون فيها من كل صوب.

وبعد حين أطل نخيل منتشر في عرض السهل هو نخيل قرية ((العباسية)) ثم رأينا قرية العباسية إلى يميننا ووصلنا الفرات فعبرنا الجسر الحديدي الجديد المسمى (الجسر العباسي) وكنا نرى النخيل يلوح أمامنا على مسافات شاسعة كما كنا نبصر في طريقنا بعض القرى المبنة بالطين أو القصب.



صورة تمثل جسر مدينة الكوفة القديم والجمال تعبر عليه

وبعد أمد دخلنا في قلب النخل المتكاثف وسرنا في أفيانه الوارفة فإذا بعمارات (الكوفة) تطلع لنا فجأة من وراء النخل وتطل من خلف الظلال، فأي رهبة تعترينا الآن ونحن نطأ الثرى الذي طالما وطأه أبوالحسن ونتطلع إلى الأفق الذي طالما تطلع اليه، فها هنا كان علي يعسكر، وها هنا كان يخطب، وها هنا كان يعلم ويهذب.وها هي قلوبنا تخفق روعة ورؤوسنا

تنحني إجلالاً أن كنا في بلده ومقر أمرته.

أيتها الكوفة: مهما قيل فيك فأنك حبيبة إلى القلب عزيزة على النفس.[١]

ولئن كنت بلد شبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن، وعمرو بن الحجاج، فبحسبك

---

(١) قال السيد حسن الأمين من قصيدة له يصف الكوفة:

هذا العراق وما رأيت كمجده ... أبقى على مرّ الزمان وأخلدا

سل في البيان العبقري أمثلة ... من رتل الآيات فيه وجودا

والكوفة الخضراء المح وجهها ... عبر الزمان نظارة وتوردا

في كل زاوية تريك حضارة ... وبكل ركن ثم تبصر معهدا

رعت البيان فضيلة ومحبة ... وحوته حين حوته في الدنيا هدى

يا كوفة الجند استطالت عزة ... وشات طريفاً في الحياة ومتلدا

جددت سالفة المنابر شاعراً ... فذ القريض وناثرا متفردا

من قبتيك ومن منارات العلى ... شعت على الكون الهداية فاهتدى

حييت أرضك مهطعاً لجلالها ... ولثمت تربك خاشعاً متعبدا

متخيلاً نور (الإمام) ووجهه ... جلى بمشرقه الضلال وبددا

أعلى ميادين الكفاح بطولة ... وانار داجية الظلام تهجدا

ارنوا إلى الاطلال عل بها سنا ... من نور غرته وعل بها صدى

اني لاستوحي الطلول فخارها ... شرف الكتاب ومجده والسؤددا

والالمعيون استفاض حديثهم ... بحراً تدفق بالمعارف مزبدا

متحلقين على الحقيقة ما رأوا ... في دهرهم إلا الحقيقة مقصدا

ذكرى (علي) في رحابك غضة ... وسبيل نهجك لا يزال موطدا

لا تتركي القصد القديم فربما ... كان القديم تقدماً وتجددا

أنك عاصمة علي وبلد الأشتر النخعي وحجر بن عدي الكندي وحبيب بن مظاهر الأسدي وسليمان بن صرد الخزاعي وأخدانهم من كل أبي أنوف وكمي شريف.

وصلنا إلى الفرات، وعبرت السيارة عليه جسراً وصلت بعده إلى الجانب الآخر من الكوفة ثم أنعطفت إلى اليمين في جادة معبدة مزدحمة بالناس ثم مالت إلى اليسار في سوق مسقف مظلم خرجت منه إلى جادة عريضة رأينا فيها إلى يميننا مدرسة الكوفة الإبتدائية وأبصرنا مظاهر العيد من أراجيح منصوبة وناس محتشدين ثم كنا أمام مسجد الكوفة الجامع، ويقوم على بابه مقهى وبضعة دكاكين وتقع المنارة فوق الباب.

وصلنا المسجد الخالد فإذا هو ساحة رحبة تقوم في فناءها عدة محاريب تنسب إلى بعض الأنبياء ويحوط الساحة سور ضخم وتقع في وسطها فجوة محاطة بجدران أربعة وفيها غرفة وأشكال أواوين. وعلى طول جدران المسجد أواوين وغرف يأوي إليها الزائرون والمعتكفون وفي صدر الجدارالقبلي يقع محراب المسجد الذي ضرب فيه الإمام وهو مزخرف بالكاشي وفي وسطه مشبك نحاسي، ويوحي المحراب إلى النفس الروعة حينما يذكر الزائر أن فيه كان يقف علي يناجي ربّه ثم ينثني فيلقي خطبه الرائعات وحينما يذكر أن فيه هوى الإمام مضرجاً بدمه.

ويقع في الجهة الشرقية من المسجد قبراً مسلم بن عقيل وهاني بن عروة اللذين قال فيهما الشاعر:

لئن كنت لاتدرين ما الموت فأنظري	إلى هانئ في السوق وأبن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه	وآخر يهوي في طمار قتيل



صورة قديمة تمثل مرقد هاني بن عروة

وقبر مسلم بن عقيل في الطرف الشمالي ويقع في الزاوية الجنوبية قبر المختار الثقفي.

وقصدنا إلى قبر مسلم فدخلنا من باب أوصلنا إلى باب آخر رأينا بعده القبر محاطاً بقفص فضي تحت قبة وجدر مزينة بعض التزيين وأبصرنا هناك بعض المصلين والزائرين ثم أنتقلنا إلى قبر المختار وهو داخل حجرة بلا قفص. ومن هناك عدنا إلى قبر هانئ فدخلنا إلى حجرة أوصلتنا إلى باب آخر، ظهر بعده القبر يحوطه قفص نحاسي تحت قبة أقل زخرفة من قبة مسلم.

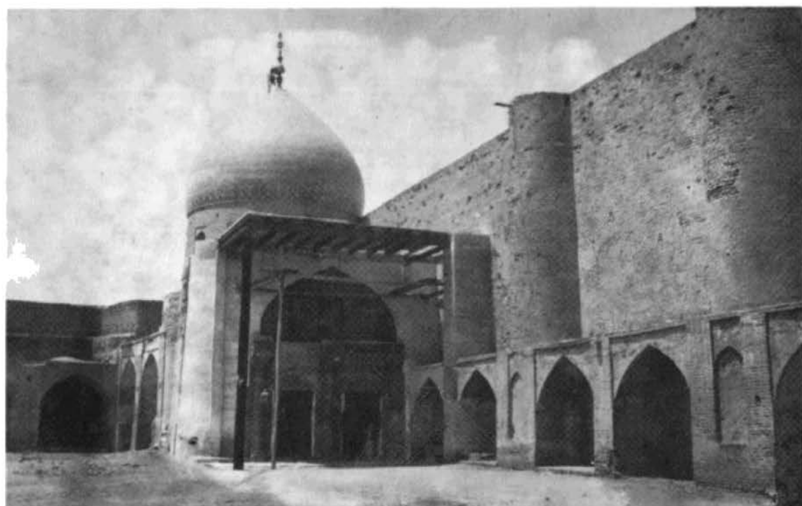
ثم خرجنا من المسجد تعتادنا شتى الأحاسيس متطلعين إلى الماضي البعيد وما كان لهذا المسجد من شأن وما وقع من أحداث أي أحداث.

ومن المسجد سرنا إلى قصر الأمارة المكتشفة آثاره حديثا وهي عبارة عن جدر مهدمة وبقايا غرف وردهات، وأبصرنا قريبا منه داراً تنسب إلى علي بن أبي طالب.

ثم مضينا نجول في الكوفة فإذا حاضرها لا يتفق في شيء مع ماضيها، فهي اليوم قرية بسيطة ولكنها جميلة المنظر طيبة الهواء.

ثم خرجنا من الكوفة نسير في أرض صحراوية وكنا نبصر عن اليمين واليسار بعض

المقامات والمساجد كمسجد السهلة ومقام الشهيد ميثم التمار حتى بدت لنا قبة النجف المذهبة ومنائرها الشاهقة تلمع في الجو وتتلألأ في الأفق.[١]



مشهد الشهيد مسلم بن عقيل بن أبي طالب (رض) خلف سور مسجد الكوفة

(١) من بلد إلى بلد ص٨٨ وقد أعاد طبعه في كتابه حل وترحال.

ناصر دين شاه القاجاري[1]

يوم الجمعة الخامس عشر: ركبت اليوم صباحاً وذهبت إلى مسجد الكوفة ومسجد السهلة، وقبر مسلم وهاني بن عروة، وأثار مدينة الكوفة، وقطعنا الصحراء التي تعلو وادي السلام، وذهبنا إلى أن وصلنا إلى نهر المرحوم وكيل الملك، الذي كان يريد أن يجلب الماء العذب من الفرات إلى النجف، ولكنهم لم يدققوا في حفر النهر منذ البداية، ولم يقايسوا ارتفاع الماء وسطح أرض النجف، وبقيت هذه المصاريف الطائلة بدون فائدة. ومن المحتمل ألا يجري الماء إلى سطح أرض النجف أيضا. وكان هناك موضعان للعبور على النهر، فعبرنا إلى تلك الجهة.

وكان تيمور ميرزا وأمين الملك، وأمين خلوت (أمين السر) وميرزا علي خان ومحمد حسن خان والبشوات وأمين السلطان ومعتمد الملك وآخرون حاضرين، وما إن قطعنا مسافة من الطريق حتى نزلت في الصحراء لتناول طعام الظهر، وبعد الطعام ركبنا العربة وسقنا. ثم وصلنا إلى نهر كبير كان مجرى للفرات قديماً من الحلة إلى الكوفة، أو هو خندق الكوفة. ركبت الجواد ودخلت داخل خرائب مدينة الكوفة وأثارها، وهي كرسوم مدينة الري وأثارها

---

(١) هو السلطان ناصر الدين شاه المقتول في حرم سيدنا عبد العظيم الحسنى عليه السلام في سنة ١٣١٣ من الهجرة والمدفون في جواره قتله الميرزا رضا الكرماني ابن محمد شاه بن عباس ميرزا ابن الخاقان الأعظم فتح علي شاه القاجار ره. كتب المؤرخين في ترجمة حياته وآثاره وخدماته كتبا مستقلة مثل ناسخ التواريخ (مجلد القاجار) و (سفرنامه ناصري) وتاريخ ناصري و (تذكرة المقابر) في أحوال المفاخر، كان محباً للحسين الشهيد عليه الصلاة والسلام وله قصائد في رثائه عليه السلام بالفارسي، في سنة ١٢٨٧ جاء إلى العراق بدعوة رسمية من الحكومة العثمانية فزار، وأمر بتجديد الأبنية في المشهد الحسيني، و تبديل صفائح الذهب، وتذهيب القبة الطاهرة السامية، واستملك دوراً فأضافها إلى الصحن الشريف من الجهة الغربية.

الدارسة، تلال من التراب والحجر، وقطع الأجر الكثيرة فوق الأرض، لم تبق خارطة ولا رسم ولا هينة عمارة من هذه المدينة القديمة المعروفة. وفي أكثر المناطق كانوا قد حفروا الأرض بحثاً عن الأشياء، واستخراج الأجر، ثم أعادوا التراب مرة ثانية. والعبور من هذه المنطقة لم يكن خاليا من الإشكال والخطر، ويجب العبور من نفس الطريق المقرر. وكان وزير الخارجية وحسام السلطنة والوالي باشا وكامل وعلي بيك قد نزلوا بباب المسجد واقفين منتظرين فنزلت، وكانت بالبداية بعض المحلات المحوطة لربط الحيوانات وبئر ماء، وخزان ماء موجودة، ثم الدخول إلى المسجد: باحة كبيرة تحيطها الغرف، وفي وسط الباحة تقع مقامات الأنبياء والأولياء، لكل مقام دكة ومحراب.

قد بني بالآجر، ويجب أداء ركعتين من الصلاة في كل مقام.

وكانت أسطوانة حجرية وبارتفاع ذراعين قائمة في مقام الإمام محمد الجواد عليه السلام، وبقطرطي اليدين شاخصاً للظهر، الذي ينصب في بعض المساجد، وبعض عوام الناس يعتبرون قطر هذه الصخرة محكاً لصحة النسب، وميزاناً لسلامة الفطرة، أي أن كل من يعتنق هذه الصخرة ولم تتصل يداه، يقال له: ابن حرام.

سمعت أن الوالي باشا كان قد أخذ جماعة للمزاح إلى ذلك المقام ومازحهم وكان المحراب الذي قتل فيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في جهة المسجد الجنوبية. وقد كتب الناس ذكرياتهم وتواريخ سفراتهم بخطوط مختلفة وعبارات غريبة على الجدران والمحاريب بحيث اسودت الجدران، وكانت هذه عادة الناس أن يكتبوا ذكريات عنهم في أكثر الأماكن المعروفة ومناطق التفرج، وهي من العادات الذميمة الركيكة جداً، لا سيما في هذه الأمكنة الشريفة، والتي تعتبر مخالفة للآداب وتجريا. ومن ضلع المسجد الشرقي باب إلى مقبرة مسلم بن عقيل رضي الله عنه، لها قبة وضريح برونزي قد شيدته والدة أغا محمد خان المحلاتي، وفيها خادم وقارئ زيارة. زرنا، وهي مقبرة بسيطة، يجب أن تجري عليها تعميرات، مثلاً يجب أن يكون أسفل الجدار من داخل القبة رخاماً، ومنه إلى أعلى القبة قاشانياً، ويجب أن يفرشوا فرشاً جديداً.

وفي مقابل مقبرة مسلم مقبرة وقبة أخرى هي قبر هاني بن عروة قرأت الفاتحة، لم يكن

لقبر هانى ضريح أو شيء أخر سوى القبر. فقلت لأمين الملك أن يجري تعميرات وينصب ضريحاً جيداً.

ومن هناك جئت إلى محراب مقام أمير المؤمنين عليه السلام، فصليت صلاة الظهر والعصر، ثم ذهبت راكباً إلى شاطئ الفرات الذي يبعد مسافة ميدان واحد عن المسجد، وكانوا قد شيدوا بعض البنايات على الشاطئ حديثاً، وقد استحدثت منذ سنتين. إن هذا الماء فرع من فروع الفرات ومن مجرى الهندية، وفي هذه الأراضي تسقى البساتين والمزارع بمشقة بواسطة النواعير وبعض التدابير فيها الأشجار والنخيل والخضروات الطرية النضرة، وزراع هذه الأراضي من أهالي إيران، بوشهري وخراساني وأصفهاني وتبريزي، ومن سائر مناطق إيران أيضا، ويوجد بعض الفلاحين العرب بندرة.

طار عدد من الدراج في البساتين، أمين خلوت (أمين السر) إصطاد باشقاً، لم يكن المكان صالحاً للصيد. اجتزنا البساتين وذهبنا إلى شاطئ الفرات، كان خضراً وعرض البساتين والعمارات قليلاً، منتهى ما يبلغه مائتي متر، أما طولها فكثير، وكانت العمارات في طرفي الماء.

مقبرة النبي يونس - عليه السلام - في هذا الجانب من الشاطئ، له قبة وصحن، لم أوفق للزيارة. كانت قد حطت بطة على الماء، ضربها مهدي قلي خان من قريب بالمسدس، فسقطت على الماء، فخلع محمد قزويني خادم أغا وجيه ملابسه وجرد فرسه من السرج وركبها واقتحم الماء، فقطع مسافة بالسباحة، ثم خرج حتى ذهب إلى تلك الجهة، وكانت البطة التي ضربها مهدي قلي خان لا زالت على الماء، فنزل محمد عن الفرس، وأخذ البطة بإحدى يديه وبالأخرى ذيل الفرس، وكان يسبح، وأوصل محمد نفسه إلى هذه الجهة وقد أدى مهارة ومغامرة.

والذين يأتون إلى النجف عن طريق الماء يخرجون في هذه المنطقة، ويستأجرون الحمير من مسجد الكوفة فيذهبون إلى المدينة.

والخلاصة، ركبنا بعد تناول الشاي واجتزنا من زقاق بستاني صغير قصير فصرنا إلى الصحراء، وذهبنا إلى مسجد السهلة. يشبه مسجد الكوفة لكنه أصغر منه، فيه بعض

المقامات والأعمال وقاعدة للإعتكاف، مكثنا قليلا ثم رجعنا، فاجتزنا مقبرة كميل بن زياد - عليه الرحمة - له ساحة صغيرة تقع قرب الطريق، قرأنا الفاتحة ورجعنا إلى المنزل.

يوم السبت السادس عشر: عندما استيقظت من النوم اليوم كان الجو رطباً ملبداً بالغيوم، والبحر قد تلاطمت أمواجه الكثيرة منذ منتصف الليل. وكان البحر متلاطماً ذا صوت ممتعاً وطرياً جداً - وبعد تناول طعام الظهر حضر السيد حسين المجتهد التركي التبريزي، وهو من أجلة العلماء، ويرجح أهل العلم والفضل، وهو لا يخلو من شبه بالمرحوم الشيخ الدربندي طبعاً وهينة، مع الحاج ميرزا جواد المجتهد أخي المرحوم الحاج ميرزا باقر المجتهد التبريزي، ومعهما مشير الدولة، وبعد ساعة من الحديث معهم نهضت قاصداً الزيارة، (ص ١٦٠): فدخلنا الصحن كالعادة، وزرت وصليت وقبلت مكان الإصبعين المقدسين، الذي كان معيناً في الضريح المقدس، وقدمت الونسام الماسي البرلياني الذي كان على رأسي هدية لعتبة مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه، وتعين مكانه في جهة الرأس لينصب على الجدار في محفظة زجاجية بحيث لا تصله اليد.

قلت: اليوم ليفتحوا خزانة المولى التي أغلقت منذ أيام الوهابين إلى ألان، ولم تفتح ما يقرب من سبعين سنة، ويسجلوا جميع ما فيها من ذهب وأحجار كريمة وأشياء أخرى ثم تختم مرة ثانية من قبل إيران والعثمانيين، حتى تحفظ من النقص والكسر والفقد. يقع باب الخزانة في الرواق في الجنوب الشرقي منه. كانوا يهدمون ليفتحوه. وكلف ميرزا زكي مستوفي وزير الحرم أن يسجل. الستارة أي الغشاء المطرز بالذهب والفضة الذي أرسله عضد الدولة الديلمي، وأهداه ليوضع فوق القبر أيام كان القبر بلا زينة وحفاظ، وكان من الجص والآجر، فمنذ ذلك العهد وضع فوق الضريح وإلى الآن لم يصبه أي عيب ما يقرب من ثمانمائة سنة. الضريح الفضي الذي كتبت عنه أنه من السلاطين الصفويين. قرأ اليوم أمين الملك خطوط قبته، كتبوها باسم منوجهر خان معتمد الدولة.

والخلاصة، خرجنا. هناك ميزاب ذهبي أيضا، نصب في سطح الرواق إلى جهة الغرب، ويقال له: ميزاب الرحمة. تجولت في الصحن قيلا. وفي المجاز الواقع خلف الصحن من جهة الرأس المقدس في الغرف الواقعة إلى جهة الشرق محل للدراويش البكتاشيين، وكان

لهم شيخ من أهالي اسطنبول، وكان رجلاً (ص ١٦١) طويل القامة ذا كريمة بيضاء، وفي وجهة شامات لحمية كثيرة، أصفر اللون، خفي المذهب من الطائفة البكتاشية.

والخلاصة، رجعنا وركبنا، وخارج باب المدينة ركبنا العربة، وسقنا نحو المنزل بسرعة. وقبل الغروب بساعة ونصف وردنا المنزل.

الحاج إبراهيم خان ابن رئيس فراشي المرحوم نائب السلطنة مجاور في النجف، وقد دخل في سلسة الفقراء (الصوفية) والناس يعتقدون به برسوخ. سمعت انه يجلس مساء مقابل إحدى خرف الصحن وعوام الناس كالأنعام يحيطون به ويقفون بين يديه بخضوع وأدب، ولم يأذن لأحد منهم بالجلوس، ولم يفكروا بهذه الجسارة، وان هذه الألاعيب والحيل دليل على الكفر وعلامة للجهل في هذا المكان المقدس، وبحضرة سيد الأولياء، أن هم أرادوا الإسلام فأي شيء هناك أوضح من الشرع المبين وشعار الدين ! ! وإذا كانوا من أتباع النفس والهوى والدنيا فليجروا أذيالهم إلى مكان أخر، ولا يجروا العار على الإسلام والمسلمين، وان هذه الحركة قبيحة جداً في رأيي.

سجلت أسماء العلماء الذين حضروا اليوم: الشيخ راضي (عربي)، والشيخ مهدي (عربي) والسيد حسين بحر العلوم، والشيخ محمد إيرواني، والشيخ منصور أخو الشيخ مرتضى أعلى الله مقامه، والحاج ميرزا صادق الأصفهاني الذي تكرر حضوره في طهران، قد جاور منذ مدة في النجف الأشرف، والحاج ميرزا أبو القاسم ابن أخت الحاج سيد أسد الله بن السيد محمد مهدي الأصفهاني حفيد المرحوم الحاج كلباسي، والشيخ محمد حسين حفيد المرحوم الشيخ محمد حسن النجفي، والشيخ محمد الكاظمي، والسيد حسين التركي كوه كمره أي والذي هو من أجلة العلماء.

والخلاصة، نمنا الليل، وأمطر كثيراً.

تفصيلات مسجد الكوفة ومسجد السهلة والمقامات وبنانها:

أن باحة مسجد الكوفة الكبيرة التي شيدت كالقلعة بالأجر، لم يعرف تاريخ بنانها، وما يقال على التحقيق أن الجدار الواقع في جهة القبلة، والذي يقع فيه محراب المولى مرجع الولاية - عليه السلام - قد بقي منذ القديم، لكنه قد أحيط من الطرفين بجدارين حفظاً

للجدار العتيق بينهما. وكذلك قواعد الصفة الأمامية أيضاً قديمية بحيث سقطاً سقفها، والسقف الموجود حاليا هو من تشيد المرحوم السيد بحر العلوم. وفي الجهة الشرقية أشاد تاجر من أهالي مسقط الغرف قبل ما يقرب من مائة وعشرين سنة. وفي الجهة الغربية شيد المرحوم ملا محمود سادن الروضة الحيدرية في النجف سبع غرف، وشيد الحاج صالح عجينة التاجر النجفي أربع غرف منها، وسائر الغرف بناها الإيرانيون بالتدريج.

وأما الطيقان الشمالية كلها من الزوار الإيرانيين، وشيد الحاج قاسم التاجر السمناني منذنة المسجد الواقعة بجانب باب الفيل في ضلع المسجد الشمالي، وإن تعمير الغرف الدائرة التي كانت كلها مهدمة ومكان سفينة نوح الواقعة في وسط المسجد، كلها قد شيدت بواسطة المرحوم عبد الحسين من الوجوه الشرعية التي جمعها.

مقامات مسجد الكوفة التي ورد في كل منها ركعتان من الصلاة هي كما يلي:

أولا: مقام إبراهيم عليه السلام.

ثانيا: النبي صلوات الله عليه وآله وسلم، والذي صلى في السماء الرابعة ليلة المعراج محاذيا لهذا المقام.

ثالثا: مقام آدم عليه السلام.

رابعا: مقام جبرائيل عليه السلام.

خامسا: مقام الإمام زين العابدين عليه السلام.

سادسا: مقام نوح عليه السلام.

سابعا: محراب أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله والذي استشهد فيه.

ثامنا: محراب آخر يبعد عنه بثلاثين قدماً واقع في الصفة الأخرى، واختلفوا إن الشهادة جرت في أيهما.

تاسعا: محراب الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

عاشرا: دكة القضاء التي كانت محلاً لقضاء مرجع الولاية صلوت الله وسلامه عليه.

حادي عشر: بيت الطشت، موضع معجزة أمير المؤمنين المعروفة حول الفتاة الحبلى.

ثاني عشر: مقام الخضر عليه السلام.

ومن المعلوم أن هذا المسجد كان مسقفاً، وهذا المقامات كانت من بعض الأسطوانات فيه. وبناء المحاريب التي شيدت في المقامات مختلف فيه، لم يعرف بانيه، وأغلبها قد شيد بواسطة المرحوم السيد بحر العلوم. وقد نصب في كل مقام رخامة نحتت فيها كتابة أعمال كل مقام بخط المرحوم ميرزا عبد علي نواب اليزدي، وهو من أجود الخطاطين المعروفين وقد أرسل هذه الرخامات علي نقي خان بن محمد تقي خان اليزدي، إلا صخرتين نصبهما رجل باسم الحاج إسماعيل.

وتقع بقعة مسلم - سلام الله عليه - في ضلع المسجد بين الشرق والجنوب، واصل بناء البقعة كان من قبل المرحوم الشيخ محمد حسن المجتهد، والتي بناها من أموال الهند. والإيوان والتعميرات وغيرها، كان المرحوم الشيخ عبد الحسين مباشر لها من قبل الشاهنشاه. وفي جهة الشرق بقعة هانئ بن عروة كما مرّ في شرح بقعة مسلم. شيد أصل البقعة الشيخ محسن حسن، والإضافات قام بها الشيخ عبد الحسين، وفي جهة الشمال مقبرة السيدة خديجة الصغرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وفي جهة القبلة مقبرة المختار متصلة ببقعة مسلم، وعلى مسافة مائة قدم تقع دار مرجع الولاية عليه السلام، والتي طليت قبتها بالقاشاني النيلي للعلامة. وباب هذه الدار أثاراها موجودة بجانب منبر أمير المؤمنين والتي هي قريبة من المقام السابع والآن نصبوا صخرة للعلامة، والدكاكين الثلاثة الموجودة خارج المسجد شيدها المرحوم الشيخ عبد الحسين مما جمعه، وتقع في جهة باب الفيل حوض من الماء المالح الواقع هنا من أثار السيد محمد تقي بحر العلوم، وحوض من الماء العذب بناه السيد إسماعيل المجتهد البهبهاني من قبل الحاج إبراهيم البهبهاني الأعمى، وهناك مسجدان صغيران قرب مسجد السهلة، أحدهما مسجد صعصعة، والآخر مسجد الحنانة، وفي كل منها ورد آداب إعتكاف وصلاة مستحبة.



صورة قديمة لشط الكوفة

سلطان تابنده شاه[1]

قال في رحلته: وفي صباح اليوم التالي انطلقنا صوب الكوفة، وهي مدينة تاريخية كانت من أهم المدن الإسلامية في القرنين الأول والثاني بناها سعد بن أبي وقاص في عصر الخليفة الثاني معسكراً للجيش الإسلامي لكي يكون قريباً من بلاد ايران. وأخذت بالاتساع شيئاً فشيئاً وازدادت سعة وعظمة حتى بلغت أوجها في عصر أمير المومنين علي عليه السلام.

قيل في وجه تسميتها بالكوفة إنها كانت مستديرة الشكل تقريبا، دورها متراصة مضمون بعضها إلى البعض الآخر. وقد ذكروا إن سعد بن أبي وقاص حين أراد بناءها قال لمن كان معه من العسكر تكوفوا في هذا الموضع أي اجتمعوا فيه فسميت بالكوفة وقيل إنهم يسمون الرمل الأحمر بالكوفة وإذ كانت فيها كثيراً فقد سموها بهذا الإسم.

بلغت مدينة الكوفة أوج إعمارها في عهد الإمام علي عليه السلام وكانت واسعة مترامية الأطراف حتى ان حسانا البراقي كتب في تاريخ الكوفة يقول: كان طولها ستة عشر ميلاً وثلث الميل وكل ثلاثة أميال فرسخ. جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ان في الكوفة خمسين ألف دار لربيعة ومضر واربعة وعشرين ألفا لسائر قبائل العرب وستة آلاف دار لعرب اليمن.

كانت الكوفة منذ ظهورها على يد سعد إلى زمان زياد بن أبيه تشتمل على سبع محال تعرف كل واحدة منها باسم القبائل التي يسكنها وكانت تتألف من سبعة أفواج من الناس يقال لها الأسباع وقد ادغم بعضها ببعض في عهد زياد بن أبيه وقسمت على أربعة أقسام سموها أرباع وكان غالبية الدور فيها من الخيام ثم بنيت جدرانها من اللبن أيام حكم المغيرة

---

(١) سلطان حسين تابنده الملقب ب (رضا علي شاه) بن محمد حسن الملقب ب (صالح علي شاه) وهو من أقطاب المتصوفة في ايران وقد ترجمه من الفارسية الأستاذ أبو محمد المعدل بعنوان (مذكرات رحلة إلى البلدان العربية).

بن شعبة ثم استعمل الطابوق في عهد زياد. وكان يحكمها قبل استقرار علي عليه السلام فيها طبقات العرب العالية وهي عدة من القبائل كانت تتوهم ان لها تفوقا في العنصر على سائر الناس والقبائل الأخرى. وأولى الطبقات وارفعها نسباً قبيلة كنانة وبعدها بنو حرث وبنو هون وبنو المصطلق.

تتألف قبيلة كنانة من ثلاث قبائل هي قريش وبنو ليث وبنو عامر، تليها قبيلة جديلة ثم قبائل قضاعة وبجلية وغسان وقبائل أخرى منها مذحج وحمير وهمدان وتميم ورباب وغيرها. وكانت جميعاً تقطن الكوفة في زمن خلافة الإمام علي عليه السلام وكان فيها عند قدومه إليها ما يقرب من أربعة آلاف من الجند الإيرانيين كانوا قبل الإمام علي عليه السلام ضعفاء أذلاء ومن الطبقة الدانية الثامنة فلما قدمها أمير المؤمنين عليه السلام عاملهم بكل لطف ومحبة وأوكل إلى بعضهم مهام خطيرة وجعلهم في مصاف الطبقات العالية لكن زياد بن أبيه الذي ولي الكوفة بعد ذلك أبعدهم وشردهم واخلى الكوفة منهم ونقلهم إلى مدن أخرى.

وكانت الكوفة مدينة عامرة ومن أهم مدن العراق حينئذ كما كانت مهمة من الناحية العسكرية أيضاً لانها تتوسط الطريق بين الحجاز والشام وإيران، فيمكن للجيش المستقر فيها أن يراقب جميع خطوط هذه البلدان من هناك لكن أهميتها تضاءلت بعد ان أحدثت مدن أخرى في أطرافها كبغداد وكربلاء والنجف.

وفي الكوفة كان استقرار الكثير من أجلة صحابة الأئمة عليهم السلام وفقهائهم وفيها ظهر الكثير من حواريي علي عليه السلام والأئمة الأطهار كمالك وميثم التمار وربيع بن خثيم (٣) وأصبغ بن نباتة وأبي حمزة الثمالي ومحمد بن مسلم وزرارة بن أعين ومحمد بن علي المعروف بمؤمن الطاق وحماد بن عيسى وصفوان بن مهران وغيرهم وفيها المسجد الذي كان علي عليه السلام يصلي فيه والذي يدعى اليوم بمسجد الكوفة، وهو من المساجد الإسلامية المقدسة التي يعتقد الشيعة إن المسافر إليه مخير فيه بين الصلاة تماماً أو قصراً كما يفعل في مسجد الحرام والمدينة المنورة والحائر الحسيني، لكن علماء الدين غير راضين عن أهلها لأنهم لا يعملون بالولاية وبالعهد الذي يقطعونه على أنفسهم حتى إشتهر

بينهم إن الكوفي لا يوفي واشتهر القبائل المتواجدة اليوم في الكوفة عشيرة بني حسن العظيمة عدداً ونفوذاً.

وفي طريق إلى الكوفة عرجنا عل مسجد الحنانة، قيل في تسميتها انه سنع منها صوت حزين وحنين عندما كانت جنازة أمير المؤمنين تمر من هناك. وذكر بعض العلماء أن رأس حضرة سيد الشهداء عليه السلام مدفون هناك وقيل إنهم بيتوا الرأس ليلة في ذلك الموضع وهم يحملونه إلى الكوفة، ثم زرنا قبر كميل بن زياد النخعي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الخاصين وكان كاملاً في توحيده وموضع سرّ الأمير عليه السلام.

وحديث الحقيقة المروي وسؤاله وجواب الإمام عليه السلام فيه خير دليل على عمق بصيرته وكماله. كما أنه كان في غاية الزهد والفقر إلى الله والعبودية له ودعاء كميل المعروف باسمه الذي سمعه من لسان علي عليه السلام وقد أمره بقراءته شاهد حال على فقره إلى الله وعبوديته.

إنتهت إليه إحدى سلاسل الزهد وتعرف هذه السلسلة بالكميلية.

سقي هذا الرجل العظيم كأس الشهادة في العام ٨٣ من الهجرة الشريفة بجرم حبه لعلي عليه السلام وذلك بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي ألد الأعداء لبيت النبوة والرسالة وأشقى سفاك على وجه الأرض ولسان حاله يقول:

يقتلوني بذنب حبك وضجة تحيط بي.

وأنت أيضاً على حافة السطح تنظر فما أجمل المنظر.

وكان عمره حين قتل تسعين سنة وقد دفن إلى جواره (وفقاً لما نقله البعض في كتبهم) رشيد الهجري والأحنف بن قيس وهما من أصحاب امير المؤمنين عليه السلام أيضاً.

ثم انطلقنا إلى مسجد السهلة وقمنا ببعض الآداب والأعمال الخاصة به، يضم مسجد السهلة سبعة مقامات يصلى في كل مقام ركعتان ويدعى بدعاء مستحب وترتيبها كالآتي:

المقام الأول مقام إبراهيم.

المقام الثاني مقام إدريس .

المقام الثالث مقام الخضر.

المقام الرابع مقام الصالحين.

المقام الخامس مقام حضرة الإمام السجاد عليه السلام.

المقام السادس مقام حضرة الإمام الصادق عليه السلام.

المقام السابع مقام حضرة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ويقع قريباً منه مسجد صعصعة ومسجد زيد وهما من المساجد المقدسة.

مسجد الكوفة:

ثم غادرنا المكان باتجاه مسجد الكوفة وهناك قمنا ببعض الأعمال الخاصة به - يوجد في مسجد الكوفة اثنا عشر مقاماً، يصلى في أغلب المقامات ركعتان وفي بعضها أربع ركعات صلاة مستحبة ثم يقرأ في كل مقام بالدعاء المخصوص به، وترتيب مقاماته كالآتي:

المقام الأول مقام إبراهيم.

والثاني مقام الخضر.

والثالث مقام حضرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

والرابع مقام آدم عليه السلام.

والخامس مقام جبرائيل عليه السلام.

والسادس مقام السجاد عليه السلام.

والسابع مقام نوح عليه السلام.

والثامن المحراب الذي ضرب فيه أمير المؤمنين عليه السلام.

والتاسع مقام علي عليه السلام وهو موضع كان به باب تتصل بداره عليه السلام أو هو الطريق إلى داره الذي منه يأتي إلى المسجد.

والعاشر مقام الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

والحادي عشر دكة القضاء وهي موضع مرتفع عن الأرض كان الإمام علي عليه السلام يجلس عليها للقضاء بين الناس في الدعاوي والخصوصات.

الثاني عشر هو بيت الطست حيث جرت إحدى المحاكمات العجيبة لأمير المؤمنين عليه السلام ويعدونها من معجزاته وخلاصتها ان فتاة باكراً كانت قد دخلت في ماء تغتسل

فعلقت بها دودة العلق ودخلت جوفها وصارت تمتص دمها ويكبر حجمها فارتفعت بطن الفتاة وكبرت بكبرها فظن اخوتها إن اختهم حامل من طريق غير مشروع ولم ينفع انكارها وعزمرا على قتلها فبلغ خبرها الأمير صلوات الله عليه فأمر بإحضارها فحضرت عنده وهناك حيث الموضع المعروف ببيت الطست أمر عليه السلام بان يسدل دون الفتاة ستار وأن تعاينها إحدى القوابل ففعل بها ذلك وبعد المعاينة أخبر بأنها حامل لكن الفتات انكرت الأمر تماماً فأمر أن يؤتى بطست مملوء بماء مخلوط بطين من النهر وأمر الفتاة لتجلس فيه فلما شمت دودة العلق رائحة الطين خرجت من جوفها وذهب عنها انتفاخ البطن وزالت الشبهة - فلقضانه واعجازه ذاك ولدفعه الضرر عن تلك الفتاة استحب للزائر أن يصلي هناك ركعتين قربة لله تعالى.

ثم زرنا قبر مسلم بن عقيل الواقع في الجنوب الشرقي من المسجد غير منفصل عنه ثم قبر هاني بن عروة وهو رجل من الشيعة استضاف مسلماً (حين قدم إلى الكوفة موفداً من قبل أبي عبد الله الحسين عليه السلام) قتله ابن زياد ويقع قبره في الصحن الذي فيه مسلم، كما زرنا قبر المختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي ثار للإمام الحسين عليه السلام وانتقم من قتلته الواقع في مزار مسلم.

ثم تشرفنا من هناك بزيارة دار علي عليه السلام وتقع في طرف القبلة جوار المسجد وتشتمل على مقطعين المقطع الأول توجد فيه غرفة واحدة تشبه الدهليز قيل إنها كانت مقام الحسنين ومكان غسل فيه الإمام علي عليه السلام وموضع صغير يتصل به فيه كفن عله السلام وكانت هذه الأماكن مثاراً للحزن والألم وقد صلينا في كل موضع منها ركعتين.

والمقطع الثاني وهو ما يعرف اليوم بالمقطع الداخلي أصغر فسحة ويشتمل على غرفة صغيرة جداً. ويوجد إلى جواره داره عليه السلام منطقة واسعة وعميقة فيها بعض الآثار من بقايا بناء قديم قيل إنه قصر عبيد الله بن زياد.

ثم زرنا قبر ميثم التمار وكان من خواص أصحاب الإمام علي قتله ابن زياد لحبه وولانه لأمير المؤمنين عليه السلام.

يحيط بالقبر صحن صغير مع ضريح وقبة صغيرة مصنوعة من الكاشي (البلاط) ولكنه

مع ذلك ذو روحية عالية وصفاء معنوي كبير يكشف عما للمدفون فيه من روح زكية وقلب مملوء بالوله والمحبة الخالصة.

بعد ذلك دخلنا المدينة فتناولنا طعام الغداء في مقهى عند ضفاف النهر وتجولنا مدة هناك ثم ذهبنا لزيارة مسجد يونس قيل إن النبي يونس عليه السلام مدفون فيه ثم عدنا إلى النجف لكن الذي يبدو لي بعد كون النبي يونس مدفوناً هناك فانه كان يسكن نينوى قرب مدينة الموصل الحالية والتي وصلت بها فيما بعد. وهناك كان ينفذ واجبه في هداية الناس ومرقده معروف هناك ويحتمل ان هذا الواقع في الكوفة جوار النهر مقام له ومحل عبد الله فيه.

الدكتور محمد التيجاني[1]

السفر إلى النجف

قال الدكتور التيجاني في أحد كتبه:

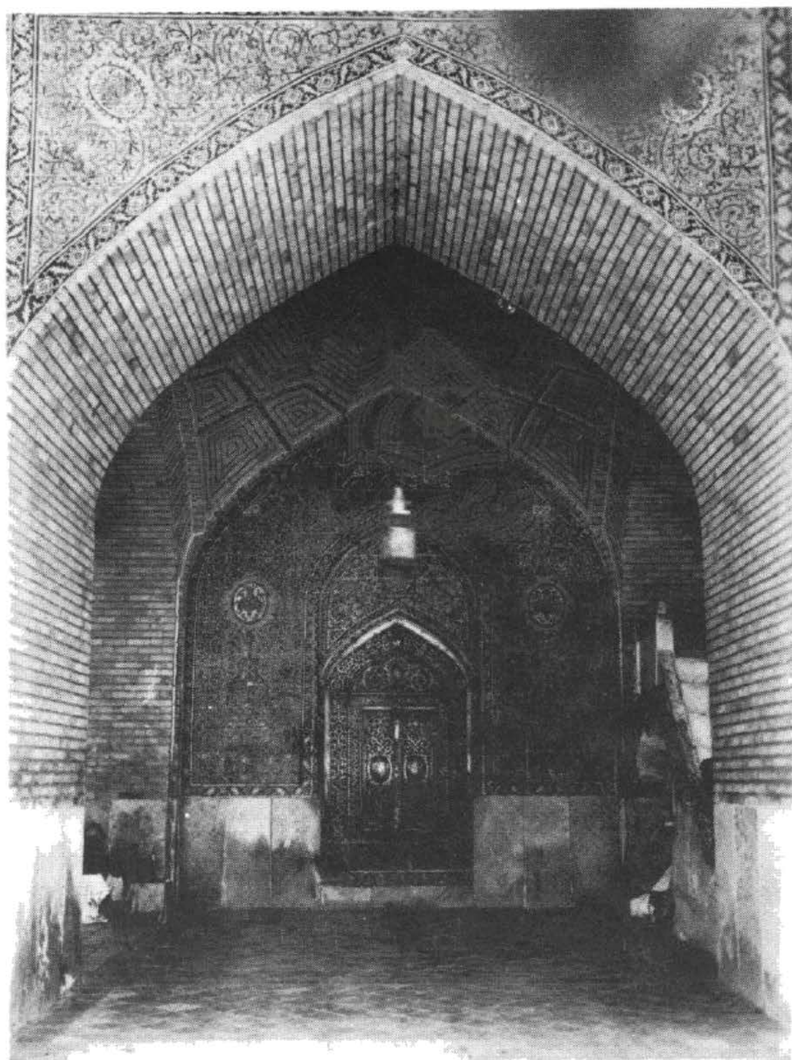
أعلمني صديقي السيد عبد المنعم ذات ليلة بأننا سنسافر غداً إن شاء الله إلى النجف، وسألته وما النجف ؟

قال: إنها مدينة علمية فيه مرقد الإمام علي بن أبي طالب، فتعجبت كيف يكون للإمام علي قبر معروف لأن شيوخنا يقولون: إنه لا وجود لقبر معروف لسيدنا علي، وسافرنا في سيارة عمومية حتى وصلنا إلى الكوفة وهناك نزلنا لزيارة جامع الكوفة وهو من الآثار الإسلامية الخالدة، وكان صديقي يريني الأماكن الأثرية ويزورني جامع مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ويحكي لي بإيجاز كيف استشهدا، كما أدخلني المحراب الذي استشهد فيه الإمام علي، وبعدها زرنا البيت الذي كان يسكنه الإمام مع ابنيه سيدنا الحسن وسيدنا الحسين، وفي البيت البئر التي كانوا يشربون منها ويتوضؤون بمائها، وعشت لحظات روحية نسيت خلالها الدنيا وما فيها لأسبح في زهد الإمام وبساطة عيشه وهو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين. ولا يفوتني أن أذكر الحفاوة والتواضع اللذين شاهدتهما هناك في الكوفة، فما مررنا بمجموعة إلا وقاموا إلينا وسلموا علينا، وكان صديقي يعرف الكثير منهم ودعانا أحدهم وهو مدير المعهد بالكوفة إلى بيته حيث التقينا بأولاده وبتنا عندهم ليلة سعيدة، وشعرت وكأني بين أهلي وعشيرتي، وكانوا إذا تكلموا عن أهل السنة والجماعة يقولون:

---

(١) محمد التيجاني السماوي التونسي عالم محقق متكلم ولد في قفصة في تونس سنة ١٣٦٢ ونشأ بها وتخرج في جامعة الزيتونه وعمل أستاذاً طيلة ١٧ سنة كان يبحث كل هذه المدة في المذاهب الإسلامية ثم تحول إلى المذهب الجعفري الإثنا عشري ورحل إلى النجف وإيران له عدة مؤلفات منها: ثم اهتديت، لنكونن مع الصادقين، كل الحلول عند آل الرسول، فاسألوا أهل الذكر، الشيعة هم أهل السنة، إتقوا الله وغيرها كثير(المنتخب ص ٤٢٦)

(إخواننا من السنة) فأنست بحديثهم وسألتهم بعض الأسئلة الإختبارية لأتيقن من صدق كلامهم.



المحراب الذي قتل فيه الامام علي (ع) كما يظهر من الداخل وقد ازيلت هذه العمارة

تحولنا إلى النجف وهي تبعد عن الكوفة حوالي عشرة كيلو مترات وما أن وصلنا حتى

تذكرت مسجد الكاظمية في بغداد فبدت المآذن الذهبية تحيط بقبة من الذهب الخالص ودخلنا إلى حرم الإمام بعد قراءة الإذن بالدخول كما هي عادة الزوار من الشيعة، ورأيت هنا أعجب مما رأيت هناك في جامع موسى الكاظم، وكالعادة وقفت أقرأ الفاتحة وأنا أشك في أن هذا القبر يحوي جثمان الإمام علي، وكأني اقتنعت ببساطة ذلك البيت الذي كان يسكنه في الكوفة وقلت في نفسي حاشى للإمام علي أن يرضى بهذه الزخرفة من الذهب والفضة بينما يموت المسلمون جوعاً في شتى بقاع الدنيا، وخصوصاً لما رأيت فقراء في الطريق يمدون أيديهم للمارة طلباً للصدقة فكان لسان حالي يقول: أيها الشيعة أنتم مخطئون، اعترفوا على الأقل بهذا الخطأ فالإمام علي هو الذي بعثه رسول الله لتسوية القبور، فيما لهذه القبور المشيدة بالذهب والفضة إنها وإن لم تكن شركاً بالله فهي على الأقل خطأ فادح لا يغفره الإسلام.

وسألني صديقي وهو يمد إلي قطعة من الطين اليابس هل أريد أن أصلي، وأجبته في حدة: نحن لا نصلي حول القبور ! قال: إذا انتظرني قليلاً حتى أصلي ركعتين، وفي انتظاره كنت أقرأ اللوحة المعلقة على الضريح وأنظر إلى داخله من خلال القضبان الذهبية المنقوشة وإذا به مليء بالأوراق النقدية من كل الألوان من الدرهم والريال إلى الدينار والليرة وكلها يلقيها الزوار تبركاً للمساهمة في المشاريع الخيرية التابعة للمقام وظننت لكثرتها أن لها شهورا، ولكن صديقي أعلمني في ما بعد أن المسؤولين عن تنظيف المقام يأخذون كل ذلك في كل ليلة بعد صلاة العشاء.

خرجت وراءه مدهوشاً وكأنني تمنيت أن يعطوني منها نصيباً أو يوزعوها على الفقراء والمساكين وما أكثرهم هناك كنت ألتفت في كل اتجاه داخل السور الكبير المحيط بالمقام حيث يصلي جماعات من الناس هنا وهناك وينصت آخرون إلى بعض الخطباء الذين اعتلوا منبراً وكأني سمعت نواح بعضهم في صوت متهدج.

ورأيت جموعاً من الناس يبكون ويلطمون على صدورهم وأردت أن أسال صديقي، ما بال هؤلاء يبكون ويلطمون ومرت بقربنا جنازة وشاهدت بعضهم يرفع الرخام في وسط الصحن وينزل الميت هناك، فظننت أن بكاء هؤلاء لأجل الميت العزيز عليهم.

لقاء العلماء

أدخلني صديقي إلى مسجد في جانب الحرم مفروش كله بالسجاد وفي محرابه آيات قرآنية منقوشة بخط جميل، ولفت انتباهي مجموعة من الصبيان المعممين جالسين قرب المحراب يتدارسون وكل واحد في يده كتاب، فأعجبت لهذا المنظر الجميل ولم يسبق لي أن رأيت شيوخاً بهذا السن أعمارهم تتراوح ما بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة وقد زادهم جمالاً ذلك الزي فأصبحوا كالأقمار، سألهم صديقي عن (السيد) فأخبروه بأنه يصلي بالناس جماعة، ولم أفهم من هو (السيد) الذي سألهم عنه غير أنني توقعت أنه أحد العلماء وعرفت فيما بعد أنه السيد الخوئي زعيم الحوزة العلمية للطائفة الشيعية مع العلم بأن لقب (السيد) عند الشيعة هو لقب لكل منحدر من سلالة النبي صلى الله عليه وآله، ويرتدي (السيد) العالم أو طالب العلوم الدينية عمامة سوداء، وأما العلماء الآخرون فيرتدون عمامة بيضاء ويلقبون بـ(الشيخ) وهناك نوع من الأشراف الذين ليسوا بعلماء فلهم عمامة خضراء. طلب إليهم صديقي أن أجلس معهم ريثما يذهب للقاء (السيد) ورحبوا بي وأحاطوني بنصف دائرة وأنا أنظر في وجوههم وأستشعر براءتهم ونقاوة سريرتهم وأستحضر في ذهني حديث النبي صلى الله عليه وآله حيث قال: (يولد المرء على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) وقلت في نفسي: أو يشيعانه.

سألوني من أي البلاد أنا.

قلت: من تونس.

قالوا: هل يوجد عندكم حوزات علمية ؟

أجبتهم: عندنا جامعات ومدارس، وانهالت علي الأسئلة من كل جانب، وكلها أسئلة مركزة ومحرجة، فماذا أقول لهؤلاء الأبرياء الذين يعتقدون أن في العالم الإسلامي كله حوزات علمية تدرس الفقه وأصول الدين والشريعة والتفسير، وما يدرون أن في عالمنا الإسلامي وفي بلداننا التي تقدمت وتطورت، أبدلنا المدارس القرآنية بروضات للأطفال يشرف عليها راهبات نصرانيات فهل أقول لهم إنهم ما زالوا (متخلفين) بالنسبة إلينا ؟

وسألني أحدهم: ما هو المذهب المتبع في تونس ؟

: المذهب المالكي.

قال: ألا تعرفون المذهب الجعفري ؟

فقلت: خير إن شاء الله، ما هذا الإسم الجديد ؟ لا، نحن لا نعرف غير المذاهب الأربعة وما عداها فليس من الإسلام في شيء.

وابتسم قائلا: عفواً، أن المذهب الجعفري هو محض الإسلام، ألم تعرف بأن الإمام أبا حنيفة تتلمذ على يد الإمام جعفر الصادق ؟ وفي ذلك يقول أبو حنيفة: (لولا السنتان لهلك النعمان)، سكت ولم أبد جواباً، فقد أدخل علي اسماً جديداً ما سمعت به قبل ذلك اليوم ولكني حمدت الله أنه - أي إمامهم جعفر الصادق - لم يكن أستاذا للإمام مالك وقلت نحن مالكية ولسنا أحنافاً.

فقال: أن المذاهب الأربعة أخذ بعضهم عن بعض فأحمد بن حنبل أخذ عن الشافعي والشافعي أخذ عن مالك وأخذ مالك عن أبي حنيفة وأبو حنيفة أخذ عن جعفر الصادق وعلى هذا فكلهم تلاميذ لجعفر بن محمد، وهو أول من فتح جامعة إسلامية في مسجد جده رسول الله وقد تتلمذ على يديه أكثر من أربعة آلاف محدث وفقيه.

وعجبت لهذا الصبي الذكي الذي يحفظ ما يقول مثل ما يحفظ أحدنا سورة من القرآن، وقد أدهشني أكثر عندما كان يسرد علي بعض المصادر التاريخية التي يحفظ عدد أجزائها وأبوابها، وقد استرسل معي في الحديث وكأنه أستاذ يعلم تلميذه، وشعرت بالضعف أمامه، وتمنيت لو أني خرجت مع صديقي ولم أبق مع الصبيان، فما سألني أحدهم عن شيء يخص الفقه أو التاريخ إلا وعجزت عن الجواب؛ سألني من أقلد من الأئمة ؟

قلت: الإمام مالك ! قال: كيف تقلد ميتاً بينك وبينه أربعة عشر قرناً، فإذا أردت أن تسأله الآن عن مسألة مستحدثة فهل يجيبك ؟

فكرت قليلاً وقلت: وأنت جعفرك مات أيضاً منذ أربعة عشر قرناً فمن تقلد ؟

أجاب بسرعة هو والباقون من الصبية: نحن نقلد السيد الخوني فهو إمامنا. ولم أفهم أكان الخوني أعلم أم جعفر الصادق، وبقيت معهم أحاول تغيير الموضوع فكنت أسألهم عن أي شيء يلهيهم عن مسألتي فسألتهم عن عدد سكان النجف وكم تبعد النجف عن بغداد وهل

يعرفون بلداناً أخرى غير العراق، وكلما أجابوا أعددت لهم سؤالاً غيره حتى أشغلهم عن سؤالي لأني عجزت وشعرت بالقصور، ولكن هيهات أن اعترف لهم وإن كنت في داخلي معترفاً إذ أن ذلك المجد والعز والعلم الذي ركبني في مصر تبخر هنا وذاب، خصوصاً بعد لقاء هؤلاء الصبيان عرفت الحكمة القائلة:

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة * عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

وتصورت أن عقول هؤلاء الصبيان أكبر من عقول أولئك المشايخ الذين قابلتهم في الأزهر وأكبر من عقول علمائنا الذين عرفتهم في تونس.

ودخل السيد الخوني ومعه كوكبة من العلماء عليهم هيبة ووقار، وقام الصبيان وقمت معهم، وتقدموا من (السيد) يقبلون يده، وبقيت مسمراً في مكاني، ما إن جلس (السيد) حتى جلس الجميع وبدأ يحييهم بقوله: (مساكم الله بالخير) يقولها لكل واحد منهم فيجيبه بالمثل حتى وصل دوري فأجبت كما سمعت، بعدها أشار علي صديقي الذي تكلم مع (السيد) همساً، بأن أدنو من (السيد) وأجلسني على يمينه وبعد التحية قال لي صديقي: أحك للسيد ماذا تسمعون عن الشيعة في تونس.

فقلت يا أخي كفاناً من الحكايات التي نسمعها من هنا وهناك، والمهم هو أن أعرف بنفسي ماذا يقول الشيعة، وعندي بعض الأسئلة أريد الجواب عنها بصراحة.

فألح علي صديقي وأصر على أن أروي (للسيد) ما هو اعتقادنا في الشيعة، قلت: الشيعة عندنا هم أشد على الإسلام من اليهود والنصارى لأن هؤلاء يعبدون الله ويؤمنون برسالة موسى (ع)، بينما نسمع عن الشيعة أنهم يعبدون علياً ويقدسونه، ومنهم فرقة يعبدون الله ولكنهم ينزلون علياً بمنزلة رسول الله ورويت قصة جبريل كيف أنه خان الأمانة حسب ما يقولون وبدلاً من أداء الرسالة إلى علي أداها إلى محمد صلى الله عليه وآله.

أطرق (السيد) رأسه هنيهة ثم نظر إليّ وقال: نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وما علي إلا عبد من عبيد الله والتفت إلى بقية الجالسين قائلا ومشيراً إليّ: أنظروا إلى هؤلاء الأبرياء كيف تغلطهم الإشاعات الكاذبة، وهذا ليس بغريب فقد سمعت أكثر من ذلك من أشخاص آخرين، فلا

حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم التفت إليّ وقال:

هل قرأت القرآن ؟

قلت: حفظت نصفه ولم أتخط العاشرة من عمري.

قال: هل تعرف أن كل الفرق الإسلامية على اختلاف مذاهبها متفقة على القرآن الكريم، فالقرآن الموجود عندنا هو نفسه موجود عندكم.

قلت نعم هذا أعرفه.

قال: إذا ألم تقرأ قول الله سبحانه وتعالى: (وما محمد إلا رسول، قد خلت من قبله الرسل). وقوله أيضاً: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار). وقوله: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)

قلت: بلى أعرف هذه الآيات قال: فأين هو علي ؟

إذا كان قرآننا يقول بأن محمداً هو رسول الله فمن أين جاءت هذه الفرية ؟ سكت ولم أجد جواباً، وأضاف يقول:

وأما خيانة جبريل (حاشاه) فهذه أقبح من الأولى، لأن محمد كان عمره أربعين سنة عندما أرسل الله سبحانه إليه جبريل (ع)، ولم يكن علي إلا صبياً صغيراً عمره ست أو سبع سنوات، فكيف يا ترى يخطئ جبريل ولا يفرق بين محمد الرجل وعلي الصبي ؟.

ثم سكت طويلاً بينما بقيت أفكر في أقواله وأنا مطرق أحلل وأتذوق هذا الحديث المنطقي الذي نفذ إلى أعماقي وأزال غشاوة عن بصري وتساءلت في داخلي كيف لم نحلل نحن بهذا المنطق.

أضاف (السيد الخوني) يقول: وأزيدك بأن الشيعة هي الفرقة الوحيدة من بين كل الفرق الإسلامية الأخرى التي تقول بعصمة الأنبياء والأئمة، فإذا كان أئمتنا سلام الله عليهم معصومين عن الخطأ وهم بشر مثلنا، فكيف بجبريل وهو ملك مقرب سماه رب العزة بـ (الروح الأمين).

قلت: فمن أين جاءت هذه الدعايات ؟

قال: من أعداء الإسلام الذين يريدون تفريق المسلمين وتمزيقهم وضرب بعضهم ببعض

وإلا فالمسلمون إخوة سواء كانوا شيعة أم سنة فهم يعبدون الله وحده لا يشركون به شينا، وقرآنهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة، ولا يختلف الشيعة عن السنة إلا في الأمور الفقهية كما يختلف أئمة المذاهب السنية أنفسهم في ما بينهم فمالك يخالف أبا حنيفة، وهذا يخالف الشافعي وهكذا.

قلت: إذا كل ما يحكى عنكم هو محض افتراء.

قال: أنت بحمد الله عاقل وتفهم الأمور وقد رأيت بلاد الشيعة وتجولت في أوساطهم فهل رأيت أو سمعت شيئاً من تلك الأكاذيب ؟

قلت: لا لم أسمع ولم أر إلا الخير وإني أحمد الله سبحانه أن عرفني بالأستاذ منعم في الباخرة، فهو السبب في مجيني إلى العراق وقد عرفت أشياء كثيرة كنت أجهلها.

فضحك صديقي منعم قائلاً: ومنها وجود قبر للإمام علي، فغمزته واستدركت قائلا: بل تعلمت أشياء جديدة حتى من هؤلاء الصبيان وتمنيت لو أتيحت لي الفرصة وتعلمت مثلهم في الحوزة العلمية هنا.

قال (السيد:) أهلاً وسهلاً، إن كنت تريد طلب العلم فالحوزة على ذمتك، ونحن في خدمتك، ورحب الحاضرون بهذا الإقتراح وخصوصاً صديقي منعم الذي تهلل وجهه.

قلت: أنا متزوج وعندي ولدان.

قال: نحن نتكفل بكل مستلزماتكم من سكن ومعاش وكل ما تحتاجون إليه والمهم هو طلب العلم، فكرت قليلاً وقلت في نفسي ليس من المعقول أن أصبح تلميذاً بعد ما قضيت خمس سنوات وأنا أستاذ أمارس التعليم وتربية النشء؛ وليس من السهولة أن اتخذ قراراً بمثل هذه السرعة.

شكرت السيد الخوني على هذا العرض وقلت: سوف أفكر في الموضوع بجد بعد رجوعي من العمرة بحول الله ولكني في حاجة إلى بعض الكتب.

فقال السيد: أعطوه الكتب.

ونهض جمع من العلماء وفتحوا عدة خزانات وما هي إلا لحظات حتى وجدت أمامي أكثر من سبعين مجلداً فكل واحد جاءني بدورة من الكتب وقال: هذه هديتي، ورأيت أنه لا

يمكنني حمل هذا العدد الكبير معي خصوصاً وأني متوجه إلى السعودية الذين يمنعون دخول أي كتاب إلى بلادهم خوفاً من تفشي بعض العقائد التي تخالف مذهبهم ولكني ما أردت التفريط بهذه الكتب التي لم تر عيني مثلها في سابق حياتي.

فقلت لصديقي وللحاضرين بأن طريقي طويل يمر بدمشق والأردن إلى السعودية وفي العودة سيكون أطول فسامر بمصر وليبيا حتى الوصول إلى تونس، وزيادة على ثقل الحمل فإن أغلب الدول تمنع دخول الكتب، فقال (السيد) أترك لنا عنوانك ونحن نتكفل بإرسالها إليك، واستحسنت هذا الرأي وأعطيته بطاقة شخصية بها عنواني في تونس، وشكرت فضله، ولما ودعته ونهضت للخروج، نهض معي قائلا: أسأل الله لك السلامة وإذا وقفت على قبر جدي رسول الله فبلغه مني السلام وتأثر الحاضرون وتأثرت كثيراً وأنا أنظر إلى عينيه تدمعان، وقلت في نفسي حاشى لله أن يكون هذا من المخطئين حاشى لله أن يكون هذا من الكاذبين، إن هيبته وعظمته وتواضعه تنبئ حقاً أنه من سلالة الشرف، فما كان مني إلا أن أخذت يده وقبلتها رغم ممانعته. وقام الجميع لقيامي وسلموا علي، وتبعني بعض الصبية من الذين كانوا يجادلونني وطلبوا مني عنواني للمراسلة فأعطيتهم إياه.

التيجاني في الكوفة

اتجهنا من جديد إلى الكوفة بدعوة أحد الذين كانوا في مجلس السيد الخوني وهو صديق منعم اسمه أبو شبر، نزلنا في بيته وسهرنا ليلة كاملة مع مجموعة من الشبان المثقفين وكان من بينهم بعض طلبة السيد محمد باقر الصدر فأشاروا علي بمقابلته وتعهدوا بأنهم سيرتبون لقاني مع حضرته في اليوم التالي، واستحسن صديقي منعم هذا الإقتراح ولكنه تأسف لعدم إمكانية حضوره لأن له شغلاً في بغداد يستلزم حضوره، واتفقنا على أن أبقى في بيت السيد أبو شبر ثلاثة أيام أو أربعة ريثما يعود منعم، الذي غادرنا بعد صلاة الفجر وقمنا نحن للنوم وقد استفدت كثيراً من طلبة العلوم الذين سهرت معهم وتعجبت من تنوع العلوم التي يتلقونها في الحوزة فهم زيادة على العلوم الإسلامية من فقه وشريعة وتوحيد يدرسون العلوم الإقتصادية والعلوم الإجتماعية والسياسية، والتاريخ واللغات وعلوم الفلك وغير ذلك

لقاء مع السيد محمد باقر الصدر

اتجهت بصحبة السيد أبو شبر إلى بيت السيد محمد باقر الصدر وفي الطريق كان يلاطفني ويعطيني بسطة عن العلماء المشهورين وعن التقليد وغير ذلك، ودخلنا على السيد محمد باقر الصدر في بيته وكان مليناً بطلبة العلوم وأغلبهم من الشبان المعممين وقام السيد يسلم علينا، وقدموني إليه فرحب بي كثيراً وأجلسني بجانبه وأخذ يسألني عن تونس والجزائر وعن بعض العلماء المشهورين أمثال الخضر حسين والطاهر بن عاشور وغيرهم، وأنست بحديثه ورغم الهيبة التي تعلوه والإحترام الذي يحوطه به جلساوه، وجدت نفسي غير محرج وكأني أعرفه من قبل واستفدت من تلك الجلسة إذ كنت أسمع أسئلة الطلبة وأجوبة السيد عليها، وعرفت وقتها قيمة تقليد العلماء الأحياء الذين يجيبون عن كل الإشكالات مباشرة وبكل وضوح، وتيقنت أيضاً من أن الشيعة مسلمون يعبدون الله وحده ويؤمنون برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ كان بعض الشك يراودني والشيطان يوسوس لي بأن ما شاهدته قبل هو تمثيل، وربما يكون ما يسمونه بالتقية، أي أنهم يظهرون ما لا يعتقدون، ولكن سرعان ما يزول الشك وتضمحل تلك الوساوس إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتفق كل من رأيتهم وسمعتهم وهم مئات على هذا التمثيل ثم لماذا هذا التمثيل ؟ ومن هو أنا، وما يهمّهم من أمري حتى يستعملوا معي هذه التقية ثم هذه كتبهم القديمة التي كتبت منذ قرون والحديثة التي طبعت منذ شهور وكلها توحد الله وتثني على رسوله محمد كما قرأت ذلك في مقدماتها.

وها أنا الآن في بيت السيد محمد باقر الصدر المرجع المشهور في العراق وفي خارج العراق وكلما ذكر اسم محمد صاح الجميع في صوت واحد: (اللهم صل على محمد وآل محمد).

وجاء وقت الصلاة وخرجنا إلى المسجد وكان بجوار البيت وصلى بنا السيد محمد باقر الصدر صلاة الظهر والعصر، وأحسست بأني أعيش وسط الصحابة الكرام فقد تخلل الصلاتين دعا رهيب من أحد المصلين، وكان له صوت شجي ساحر وبعدما أنهى الدعاء صاح الجميع (اللهم صل على محمد وآل محمد) وكان الدعاء كله ثناء وتمجيداً على الله جل جلاله ثم على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وجلس السيد في المحراب بعد الصلاة. وأخذ بعضهم يسلمون عليه ويسألونه سراً وعلانية وكان يجيب سراً عن بعض الأسئلة التي فهمت أنها تتطلب الكتمان لأنها تتعلق بشؤون خاصة، وكان السائل إذا حصل على الجواب يقبل يده وينصرف، هنيئاً لهم بهذا العالم الجليل الذي يحل مشاكلهم ويعيش همومهم.

رجعنا بصحبة السيد الذي أولاني من الرعاية والعناية وحسن الضيافة ما أنساني أهلي وعشيرتي وأحسست بأني لو بقيت معه شهراً واحداً لتشيعت لحسن أخلاقه وتواضعه وكرم معاملته، فلم أنظر إليه إلا وابتسم في وجهي وابتدرني بالكلام، وسألني هل ينقصني شئ، فكنت لا أغادره طيلة الأيام الأربعة إلا للنوم، رغم كثرة زواره والعلماء الوافدين عليه من كل الأقطار، فقد رأيت السعوديين هناك ولم أكن أتصور بأن في الحجاز شيعة، وكذلك علماء من البحرين ومن قطر ومن الإمارات ومن لبنان وسوريا وإيران وأفغانستان ومن تركيا ومن إفريقيا السوداء وكان السيد يتكلم معهم ويقضي حوائجهم ولا يخرجون من عنده إلا وهم فرحون مسرورون.

ولا يفوتني أن أذكر هنا قضية حضرتها وأعجبت في كيفية فصلها، وأذكرها للتاريخ لما لها من أهمية بالغة حتى يعرف المسلمون ماذا خسروا بتركهم حكم الله. جاء إلى السيد محمد باقر الصدر أربعة رجال أظنهم عراقيين عرفت ذلك من لهجتهم، كان أحدهم ورث مسكناً من جده الذي توفي منذ سنوات وباع ذلك المسكن إلى شخص ثان كان هو الآخر حاضراً، وبعد سنة من تاريخ البيع جاء أخوان، وأثبتا أنهما وارثان شرعيان للميت، وجلس أربعتهم أمام السيد وأخرج كل واحد منهم أوراقه وما عنده من حجج وبعد ما قرأ السيد كل أوراقهم وتحدث معهم بضع دقائق حكم بينهم بالعدل، فأعطى الشاري حقه في التصرف بالمسكن وطلب من البائع أن يدفع للأخوين نصيبهما من الثمن المقبوض، وقام الجميع يقبلون يده، ويتعانقون، ودهشت لهذا ولم أصدق، وسألت أبا شبر، هل انتهت القضية ؟

قال: (خلاص كل أخذ حقه).

سبحان الله ! بهذه السهولة، وبهذا الوقت الوجيز، بضع دقائق فقط كافية لحسم النزاع ؟ إن مثل هذه القضية في بلادنا تستغرق عشر سنوات على أقل تقدير ويموت بعضهم،

ويواصل أولاده بعده تتبع القضية ويصرفون رسوم المحكمة والمحامين ما يكلفهم في أغلب الأحيان ثمن المسكن نفسه، ومن المحكمة الإبتدائية إلى محكمة الإستئناف ثم إلى التعقيب وفي النهاية يكون الجميع غير راضين بعد ما يكونون قد أنهكوا بالتعب والمصاريف والرشوة، والعداوة والبغضاء بين عشائرهم وذويهم.

أجابني أبو شبر، وعندنا أيضاً نفس الشيء أو أكثر فقلت: كيف ؟

قال: إذا رفع الناس شكواهم إلى المحاكم الحكومية، فيكون مثل ما حكيت أما إذا كانوا يقلدون المرجع الديني ويلتزمون بالأحكام الإسلامية، فلا يرفعون قضاياهم إلا إليه فيفصلها في بضع دقائق كما رأيت، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يعقلون ؟

والسيد الصدر لم يأخذ منهم فلساً واحداً، ولو ذهبوا إلى المحاكم الرسمية لتعرت رؤوسهم. ضحكت لهذا التعبير الذي هو مجاز عندنا أيضاً وقلت: سبحان الله ! أنا لا زلت مكذباً ما رأيت، ولولا ما شاهدته بعيني ما كنت لأصدق أبداً.

فقال أبو شبر: لا تكذب يا أخي فهذه بسيطة بالنسبة إلى غيرها من القضايا التي هي أشد تعقيداً وفيها دماء، ومع ذلك يحكم فيها المراجع ويفصلونها في سويعات.

فقلت متعجباً: إذا عندكم في العراق حكومتان، حكومة الدولة وحكومة رجال الدين.

فقال: كلاً عندنا حكومة الدولة فقط، ولكن المسلمين من الشيعة الذين يقلدون مراجع الدين، لا علاقة لهم بالحكومة، لأنها ليست حكومة إسلامية فهم خاضعون لها بحكم المواطنية والضرائب والحقوق المدنية والأحوال الشخصية، فلو تخاصم مسلم ملتزم مع أحد المسلمين غير الملتزمين فسوف يضطر حتماً لرفع قضيته إلى محاكم الدولة، لأن هذا الأخير لا يرضى بتحكيم رجال الدين - أما إذا كان المتخاصمان متلزمين فلا إشكال هناك، وما يحكم به المرجع الديني نافذ على الجميع. وعلى هذا الأساس تحل القضايا التي يحكم فيها المرجع في يومها بينما تظل القضايا الأخرى شهوراً بل أعواماً.

إنها حادثة حركت في نفسي شعور الرضى بأحكام الله سبحانه وتعالى وفهمت معنى قوله تعالى في كتابه المجيد: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون،. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم

الفاسقون..) صدق الله العظيم. كما حركت في نفسي شعور النقمة والثورة على هؤلاء الظلمة الذين يبدلون أحكام الله العادلة بأحكام وضعية بشرية جائرة، ولا يكفيهم كل ذلك بل ينتقدون بكل وقاحة وسخرية الأحكام الآلهية، ويقولون بأنها بربرية ووحشية لأنها تقيم الحدود فتقطع يد السارق وترجم الزاني، وتقتل القاتل، فمن أين جاءتنا هذه النظريات الغريبة عنا وعن تراثنا، لا شك إنها من الغرب ومن أعداء الإسلام الذين يدركون أن تطبيق أحكام الله يعني القضاء عليهم نهائياً، لأنهم سراق، خونة، زناة، مجرمون وقتلة. ولو طبقت أحكام الله عليهم لاسترحنا من هؤلاء جميعاً.

وقد دارت بيني وبين السيد محمد باقر الصدر في تلك الأيام حوارات عديدة وكنت أسأله عن كل صغيرة وكبيرة من خلال ما عرفته من الأصدقاء الذين حدثوني عن كثير من عقائدهم وما يقولونه في الصحابة رضي الله عنهم وما يعتقدونه في الأئمة الأثني عشر علي وبنيه، وغير ذلك من الأشياء التي نخالفهم فيها.

سألت السيد الصدر عن الإمام علي، ولماذا يشهدون له في الآذان بأنه ولي الله ؟

أجاب قائلاً: إن أمير المؤمنين علياً سلام الله عليه وهو عبد من عبيد الله الذين اصطفاهم الله وشرفهم ليواصلوا حمل أعباء الرسالة بعد أنبيائه وهؤلاء هم أوصياء الأنبياء، فلكل نبي وصي وعلي بن أبي طالب هو وصي محمد، ونحن نفضله على سائر الصحابة بما فضله الله ورسوله ولنا في ذلك أدلة عقلية ونقلية من القرآن والسنة وهذه الأدلة لا يمكن أن يتطرق إليها الشك لأنها متواترة وصحيحة من طرقنا وحتى من طرق أهل السنة والجماعة، وقد ألف في ذلك علماؤنا العديد من الكتب، ولما كان الحكم الأموي يقوم على طمس هذه الحقيقة ومحاربة أمير المؤمنين علي وأبنائه وقتلهم، ووصل بهم الأمر إلى سبه ولعنه على منابر المسلمين وحمل الناس على ذلك بالقهر والقوة، فكان شيعته وأتباعه رضي الله عنهم يشهدون أنه ولي الله، ولا يمكن للمسلم أن يسب ولي الله، وذلك تحدياً منهم للسلطة الغاشمة حتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وحتى تكون حافزاً تاريخياً لكل المسلمين عبر الأجيال فيعرفون حقيقة علي وباطل أعدائه. ودأب فقهاؤنا على الشهادة لعلي بالولاية في الأذان والإقامة استحباباً، لا بنية أنها جزء من الآذان أو الإقامة فإذا نوى المؤذن أو

المقيم أنها جزء بطل أذانه وإقامته. والمستحبات في العبادات والمعاملات لا تحصى لكثرتها والمسلم يثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها، وقد ورد على سبيل المثال أنه يذكر استحباباً بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، بأن يقول المسلم، وأشهد أن الجنة حق والنار حق وأن الله يبعث من في القبور.

قلت: إن علماءنا علّمونا: أن أفضل الخلفاء على التحقيق سيدنا أبو بكر الصديق، ثم سيدنا عمر الفاروق ثم سيدنا عثمان ثم سيدنا علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ؟

سكت السيد قليلاً، ثم أجابني: لهم أن يقولوا ما يشاؤون، ولكن هيهات أن يثبتوا ذلك بالأدلة الشرعية، ثم إن هذا القول يخالف صريح ما ورد في كتبهم الصحيحة المعتبرة، فقد جاء فيها: أن أفضل الناس أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا وجود لعلي بل جعلوه من سوقة الناس وإنما ذكره المتأخرون استحباباً لذكر الخلفاء الراشدين.

سألته بعد ذلك عن التربة التي يسجدون عليها والتي يسمونها (بالتربة الحسينية)

أجاب قائلاً: يجب أن يعرف قبل كل شئ أننا نسجد على التراب، ولا نسجد للتراب، كما يتوهم البعض الذين يشهرون بالشيعة، فالسجود هو لله سبحانه وتعالى وحده، والثابت عندنا وعند أهل السنة أيضاً أن أفضل السجود على الأرض أو ما أنبتت الأرض من غير المأكول، ولا يصح السجود على غير ذلك، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفترش التراب وقد اتخذ له خمرة من التراب والقش يسجد عليها، وعلم أصحابه رضوان الله عليهم فكانوا يسجدون على الأرض، وعلى الحصى، ونهاهم أن يسجد أحدهم على طرف ثوبه، وهذا من المعلومات بالضرورة عندنا. وقد اتخذ الإمام زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين (عليهما السلام) تربة من قبر أبيه أبي عبد الله باعتبارها تربة زكية طاهرة سالت عليها دماء سيد الشهداء، واستمر على ذلك شيعته إلى يوم الناس هذا، فنحن لا نقول بأن السجود لا يصح إلا عليها، بل نقول بأن السجود يصح على أي تربة أو حجرة طاهرة كما يصح على الحصير والسجاد المصنوع من سعف النخيل وما شابه ذلك.

قلت - على ذكر سيدنا الحسين رضي الله عنه - لماذا يبكي الشيعة ويلطمون ويضربون أنفسهم حتى تسيل الدماء وهذا محرم في الإسلام، فقد قال صلى الله عليه وآله: (ليس منا

من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية).

أجاب السيد قائلاً: الحديث صحيح لا شك فيه ولكنه لا ينطبق على مأتم أبي عبد الله، فالذي ينادي بثار الحسين ويمشي على درب الحسين دعوته ليست دعوى جاهلية، ثم إن الشيعة بشر فيهم العالم وفيهم الجاهل ولديهم عواطف، فإذا كانت عواطفهم تطغى عليهم في ذكرى استشهاد أبي عبد الله وما جرى عليه وعلى أهله وأصحابه من قتل وهتك وسبي، فهم مأجورون لأن نواياهم كلها في سبيل الله، والله سبحانه وتعالى يعطي العباد على قدر نواياهم.

وقد قرأت منذ أسبوع التقارير الرسمية للحكومة المصرية بمناسبة موت جمال عبد الناصر، تقول هذه التقارير الرسمية بأنه سجل أكثر من ثماني حالات انتحارية قتل أصحابها أنفسهم عند سماع النبأ فمنهم من رمى نفسه من أعلى العمارة ومنهم من ألقى بنفسه تحت القطار وغير ذلك، وأما المجروحون والمصابون فكثيرون، وهذه أمثلة أذكرها للعواطف التي تطغى على أصحابها وإذا كان الناس وهم مسلمون بلا شك يقتلون أنفسهم من أجل موت جمال عبد الناصر وقد مات موتاً طبيعياً، فليس من حقنا - بناء على مثل هذا - أن نحكم على أهل السنة بأنهم مخطئون. وليس لإخواننا من أهل السنة أن يحكموا على إخوانهم من الشيعة بأنهم مخطئون في بكائهم على سيد الشهداء، وقد عاشوا محنة الحسين وما زالوا يعيشونها حتى اليوم، وقد بكى رسول الله نفسه على ابنه الحسين وبكى جبريل لبكائه.

- قلت: ولماذا يزخرف الشيعة قبور أوليائهم بالذهب والفضة وهو محرم في الإسلام ؟

أجاب السيد الصدر: ليس ذلك منحصراً بالشيعة، ولا هو حرام فها هي مساجد إخواننا من أهل السنة سواء في العراق أو في مصر أو في تركيا أو غيرها من البلاد الإسلامية مزخرفة بالذهب والفضة وكذلك مسجد رسول الله في المدينة المنورة وبيت الله الحرام في مكة المكرمة الذي يكسى في كل عام بحلة ذهبية جديدة يصرف فيها الملايين، فليس ذلك منحصراً بالشيعة.

قلت: إن علماء السعودية يقولون: إن التمسح بالقبور ودعوة الصالحين والتبرك بهم، شرك بالله، فما هو رأيكم ؟

أجاب السيد محمد باقر الصدر: إذا كان التمسح بالقبور ودعوة أصحابها بنية أنهم يضرون وينفعون، فهذا شرك، لا شك فيه: وإنما المسلمون موحدون ويعلمون أن الله وحده هو الضار والنافع وإنما يدعون الأولياء والأئمة (عليهم السلام) ليكونوا وسيلتهم إليه سبحانه وهذا ليس بشرك، والمسلمون سنة وشيعة متفقون على ذلك من زمن الرسول إلى هذا اليوم، عدا الوهابية وهم علماء السعودية الذين ذكرت والذين خالفوا إجماع المسلمين بمذهبهم الجديد الذي ظهر في هذا القرن، وقد فتنوا المسلمين بهذا الإعتقاد وكفروهم وأباحوا دماءهم، فهم يضربون الشيوخ من حجاج بيت الله الحرام لمجرد قول أحدهم: السلام عليك يا رسول الله، ولا يتركون أحداً يتمسح على ضريحه الطاهر، وقد كان لهم مع علمائنا مناظرات، ولكنهم أصروا على العناد واستكبروا استكباراً. فإن السيد شرف الدين من علماء الشيعة لما حج بيت الله الحرام في زمن عبد العزيز آل سعود، كان من جملة العلماء المدعوين إلى قصر الملك لتهنئته بعيد الأضحى كما جرت العادة هناك ولما وصل الدور إليه وصافح الملك قدم إليه هدية وكانت مصحفاً ملفوفاً في جلد، فأخذه الملك وقبله ووضعه على جبهته تعظيماً له وتشريفاً، فقال له السيد شرف الدين عندئذ: أيها الملك لماذا تقبل الجلد وتعظمه وهو جلد ماعز ؟ أجاب الملك، أنا قصدت القرآن الكريم الذي بداخله ولم أقصد تعظيم الجلد ! فقال السيد شرف الدين عند ذلك: أحسنت أيها الملك، فكذلك نفعل نحن عندما نقبل شباك الحجرة النبوية أو بابها فنحن نعلم أنه حديد لا يضر ولا ينفع، ولكننا نقصد ما وراء الحديد وما وراء الأخشاب نحن نقصد بذلك تعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله، كما قصدت أنت القرآن بتقبيلك جلد الماعز الذي يغلفه. فكبر الحاضرون إعجاباً له وقالوا: صدقت، واضطر الملك وقتها إلى السماح للحجاج أن يتبركوا بآثار الرسول حتى جاء الذي بعده فعاد إلى القرار الأول - فالقضية ليست خوفهم أن يشرك الناس بالله، بقدر ما هي قضية سياسية قامت على مخالفة المسلمين وقتلهم لتدعيم ملكهم وسلطتهم على المسلمين والتاريخ أكبر شاهد على ما فعلوه في أمة محمد.

وسألته عن الطرق الصوفية.

فأجابني بإيجاز: بأن فيها ما هو إيجابي وفيها ما هو سلبي، فالإيجابي منها تربية النفس

وحملها على شظف العيش والزهد في ملذات الدنيا الفانية، والسموّ بهـا إلـى عـالم الأرواح الزكية، أما السلبي منها، فهو الإنزواء والهروب من واقع الحياة وحصر ذكر اللـه فـي الأعـداد اللفظية وغير ذلك، والإسلام - كما هو معلوم - يقر الإيجابيات ويطرح السلبيات ويحق لنـا أن نقول بأن مبادئ الإسلام وتعاليمه كلها إيجابية.

عبد المحسن شلاش[1]

كتب هذا البحث بعد أن قام برحلة ميدانية في الكوفة وضواحيها مستكشفاً آثارها لـذلك ادرجناه لأهميته ولكونـه لـم ينشـر منـذ أن نشـرته مجلـة الإعتـدال فـي سـنتها الثانيـة عـام ١٩٣٤على حلقات في اعدادها الخامس والسادس والسابع والثامن.

الكوفة في التاريخ

قال ابن حوقل: مدينة الكوفة قريبة من البصرة في الكبر هواءها أصح وماؤها أعذب وهـي على الفرات وبناءها كبناء البصرة وهي خطط لقبائل العرب إلا أنها خـراب بخـلاف البصـرة

(١) عبد المحسن شلاش ابن الحاج عبود بن الحاج مهدي من الشخصيات الأدبية ورجال الثورة المشهورين، والوجهاء المرموقين، ولد في النجف ومات فيها، تولى منصب وزارة الإقتصاد غير مرة في العراق، وحاز على لقب الرئيس من الحكومة الإيرانية، وعلى وسام المجيدي من الدولة العثمانية،أنظم إلى حزب النجف السري وكانت تعقد في داره بعض الإجتماعات التمهيدية للثورة العراقية ١٩٢٠ م ومن ثم انتدبه الثوار ممثلاً عنهم للمطالبة بالإستقلال كما تولى مسؤلية إعاشة الأسرى البريطانيين المحتجزين في خان الشيلان في النجف أبان الثورة، وصدرت في ١٧/ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٢٢ إرادة ملكية بتعينه وزيراً للمعارف في وزارة عبد الرحمن النقيب الثالثة، إلا أنه اعتذر عن قبول الوزارة، كذلك حاول عبد المحسن السعدون اسناد وزارة الاشغال والمواصلات إليه في أول وزارة يشكلها السعدون عام ١٩٢٢ لكنه قبل وزارة المالية في وزارة جعفر العسكري في ٢٢/ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٢٣م إلى ٢/ اب م اغسطس/ ١٩٢٤م، ثم وزارة الإشغال والمواصلات في وزارة عبد المحسن السعدون في ١٤/ كانون الثاني/ يناير ١٩٢٨م إلى ٢٠/ كانون الثاني ١٩٢٩م، واستمر في منصبه نفسه في وزارة توفيق السويدي التالية لوزارة السعدون، ثم وزارة الإقتصاد في وزارة نوري السعيد السابعة في ٨/ تشرين الثاني/ أكتوبر ١٩٤٢م توفي في ٢٨/ كانون الثاني، واشاد ماثر قيمة في النجف الأشرف، ومات سنة ١٣٦٧م وخلفه عبود ورؤوف له: ابار النجف ١٩٤١(موسوعة الأحزاب العراقية ص ٤٢٦ الدكتور حسن لطيف الزبيدي ط١ ٢٠٠٧ م مؤسسة العارف للمطبوعات – بيروت لبنان).

لأن ضياع الكوفة قديمة وضياع البصرة احياء موات في الإسلام.

وفي معجم البلدان:

الكوفة بالضم المصر المشهور بأرض بابل من سواد بلاد ما بين النهرين وسميت الكوفة لاستدارتها.

آخذاً من قول العرب، رأيت كوفان (بضم الكاف وفتحها)للرملة المستديرة.

وقيل: لاجتماع الناس بها.

إلى غير ذلك من الأسباب والعلل.

وقال الكلبي:

سميت لجبل كان في وسطها يقال له كوفان قلت قد تسمى بهذا الإسم الخ.

وفي المحيط للفيروز آبادي:

الكوفة مدينَةُ العِراقِ الكُبْرَى، وقُبَّةُ الإسلامِ، ودارُ هِجْرَةِ المُسْلِمينَ، مَصَّرَها سَعْدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، وكانت قَبلاً مَنْزِلَ نوحٍ، عَلَيهِ السَّلامُ، وبَنَى مَسْجِدَها المعظم، سُمِّيت بذلكَ لاسْتدارَتِها واجْتِماعِ الناسِ بها، ويقالُ لها: كُوفانُ، وكُوفَةُ الجُنْدِ، لأنَّهُ اخْتُطَّتْ فيها خِطَطُ العَرَبِ أيَّامَ عُثمانَ، خَطَّطَها السائِبُ بنُ الأَقْرَعِ الثَّقَفِيُّ.

هذا ملخص ما قيل في التاريخ عن الكوفة وكوفان.

وقد سماها الإمام علي عليه السلام (بسنام العرب).

قلت: إذا كانت الأقوال المنقولة بأن الكوفة إنما سميت بالكوفة لاستدارتها أو للرميلة المستديرة أو لوقوع جبل كان في وسطها الخ.

هي الوجوه الوحيدة لهذه التسمية فإن ما قد تبين لنا من نتيجة الفحص والتتبع في هذا الباب حيث وجدنا هذه البقعة الرملية الواقعة على جانب الفرات الغربي كأنها جبل متكوف من الرمال المرتفعة بخلاف الأراضي المحيطة به حيث ترتفع ارتفاعاً بينا بالتدرج يبلغ إلى ستة وثلاثين متراً تقريباً مما يلي النجف عن شاطىء الفرات وهو الذي تحده من الجنوب بحيرة النجف المنخفضة ومن الشرق منخفضات أراضي المشخاب والشامية التي تقطنها اليوم قبائل آل فتلة وآل إبراهيم وآل زياد.

ومن الشمال مقاطعات زراعية منخفضة تقطنها قبائل بني حسن (أراضي الهندية).

ومن الغرب منخفضات طف كربلاء.

نعم، قلت: لا ريب من أن اسم كوفان كان يشتمل هذه البقعة المرتفعة الرملية المستديرة بحدودها المارة، التي تقدر مسافتها طولاً مائة وخمسين كيلوا متراً تقريباً تبدأ من المرتفعات الرملية الواقعة في حصة الخزاعل ومنتهى نهر شلال الذي هو من منازل آل فتلة في المشخاب والمعروفة اليوم بعرفهم الحاضر (حصوة شلال) أو (أم خشم) التي تاتي متسلسلة بارتفاعاتها الرملية إلى قضاء أبي صخير، ثم إلى الخورنق والنجف على الخط الغربي حتى تصل طف كربلاء.

وأما متوسط عرضها اليوم فيقدر ب(٢٥) كيلوا متراً.

ولا نعتقد بأن هذا هو القدر الحقيقي نظراً لما تبين من التغيرات في مجاري الفرات من وقت لآخر حيث صارت بمرور العصور تتقرب إلى الجبال وترتفع على ضواحيها وتجعلها صالحة للزراعة، كما شاهدنا أمثال ذلك في عصرنا الحاضر في حصوة شلال المارة الذكر وبعض أراضي الهندية.

ولنا من الأدلة الشرعية ما يؤيد حدود كوفان نظراً لما ورد في الجزء العاشر من البحار عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال لولده الحسين عليه السلام:

بأبي المقتول على ظهر كوفان.

والمفروض إن المقتل في أكناف طف كربلاء، وهذا ما يحملنا أيضاً على الإعتقاد بأن ظهر كوفان كان يمتد إلى غربي طف كربلاء حيث ان هذا السنام المرتفع من الرمال المتحجرة كان يرافق أراضي الطفوف الواقعة غربي طف كربلاء، كطف هور.

(أبو دبس) وما يجاوره غير إن الذي يشتهر على الألسن وكان عليه بعض أئمة التاريخ إن اسم الكوفة يرجع إلى بدء الفتح الإسلامي سميت به اشارة إلى تكوف الجنود العربية فيها، وإلى هذا المعنى وغيره أشار في القاموس بقوله (سميت بذلك لاستدارتها واجتماع الناس فيها).

قلت: وربما لوقوعها على أرض كوفان المارة الذكر.

أذن إن التاريخ حدث عن موقع مدينة الحيرة قبل الإسلام على ظهر الكوفة، مما يدلنا على اتساع رقعتها وانبساط هذا الإسم على بقعة من أرض كوفان تشمل حدودها موقع الكوفة الحادث بعد الإسلام، ويؤيد قول المؤرخين ما تنطق به الآثار الباقية التي كنا قد عنينا بها للفحص والتتبعات الاثربة عناية دقيقة لهذا الموضوع.

لقد تبين لنا ان مدينة الحيرة السابقة والكوفة اللاحقة أسماء لمدينة واحدة تتقلب في أدوار التاريخ بين هذه المواضع التي أطلقت عليها هذه الأسماء اليوم والتي تجتمع كلها على اسم حيرة العرب فترى من ذلك إن هذا الإسم العربي القديم إنما يشار به إلى بقعة تاريخية مقدسة واسعة الأطراف في عهد المناذرة وغيرهم قبل الإسلام ومطمح أنظار العرب بكل أدوار التاريخ وكوفة الجند للإسلام.

وأما النجف فهو جزء من حيرة العرب، وقد أضحى في الصدر الأول للإسلام مرقداً للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بواديها (الغري).

آثار الحيرة والكوفة

ولعل قرب ما يكون دلالة على سعة أطراف الحيرة في العهد القديم وانبساط حدودها على آثار الكوفة الحاضرة، هذه الآثار بين الأنقاض المندرسة الواقعة شرقي النجف في مسافة أربعة آلاف متراً تقديراً بطريق أبي صخير والمسماة بأرضي ((كنيدرة))[1] بعرف العوام اليوم، كما يظهر ذلك في معجم البلدان إذ يقدر المسافة بين النجف وآثار الحيرة بثلاثة أميال.

نعم قد شاهدت هذه الآثار شرقي النجف تبتدئ من محلها الواقع على ضفة الطف المنخفض متجهة نحو الشمال حتى تتصل بآثار كوفة الجند، وتمتزج بها، ومنها جامع الكوفة الكبير الذي يبعد عن النجف بمقدار (٨٥٠٠)متراً تقريباً، ثم تتوجه على الشرق إلى القرب من نهر السدير المعروف اليوم بـ(كري سعدة) وتتوجه نحو الغرب بخط مستقيم تقديره ستة كيلومترات إلى القرب من مقبرة الحيرة القديمة (تل الثوية) الذي فيه مرقد كميل

(١) وقد سميت بهذا الإسم لأن قبائل كندة كانت تقطنها(الكلبي).

بن زياد الذي يبعد عن النجف بمسافة قدرها ثلاثة كيلومترات شمالاً.

ومما يزيد بوضوح الدلالة على ما تقدم هو وجود آثار المناذرة التأريخية من القصور والمباني وترعهم،وأفنيتهم الأرضية القديمة المنصبة في البحيرة بالقرب من هذه الآثار كنهر(السدير) و(قصر النعمان)، الذي يبعد عن بدء آثار الكوفة الحادثة على عهد الإسلام بمسافة تقديرها ستة كيلو مترات وعن بدء آثار مدينة الحيرة بمسافة قدرها أربعة كيلو مترات وعن النجف(١٢) كيلو متراً تقريباً.

أن مطلق الأرقام المارة التي قدرناها لآثار الحيرة القديمة بما فيها المقابر والساحات الخالية بين القصور الكبيرة لا نعتقد كثيراً بأنها من الجهة الشمالية هي مساحتها الحقيقية لاتصالها بآثار الكوفة المستحدثة على عهد الإسلام، بل أن هنالك ما يحملنا على الظن القوي بأن آثار المدينة القديمة قبل الإسلام هي ذات مساحة أوسع مما قد بيناه بالتقدير فأنها تمتد من جهة الشمال إلى حد لايمكننا نعرفه بالضبط. إذ قلنا بأن الكوفة بنيت على جانب مهم من آثار الحيرة القديمة مؤيدين هذا القول بالتتبعات الأثرية.

ومما حدثنا به بعض المنقبين للأحجار القديمة في آثار الكوفة من أنهم كانوا يعثرون أثناء التنقيب على آثار يظهر عليها القدم المادي بحيث أنهم صاروا يسمونها (الكوفة القديمة) بعرفهم الحاضر وذلك لعدم علمهم في تأريخ الحيرة.

وليس معنى هذا إلا أن الحيرة كانت ذات سلطان على هذه الأرض وأنشنت عليها جميع مقتضيات العمران وأزدهرت فيها الحياة ثم أندثرت على ممر العصور بسبب الحروب التأريخية والوقائع التي كان من شأنها فساد النظام في الري.

كما تكرر ذلك بعد خراب مدينة الكوفة التي تمصرت في عهد الإسلام وأصبحت كما نرى آثارها اليوم إذ ليس فيها سوى ما يدل على عظمتها من آثارها الخالدة في جوامعها الخطيرة وقصور أماراتها الفخمة وغير ذلك.. الخ.

فآثار الكوفة التي رأيناها بالتتبع هي شاسعة الأطراف مترامية النواحي، تبدأ من الغر ب

من شمال جامع سهيل الكبير[١] الواقع بالقرب من ضفة نهر سعد, وتتمشى نحو الشرق على الضفة اليسرى للنهر المذكور من مسافة(٧) كيلومترات تقريباً وتبدأ من الجنوب الغربي على ضفتي نهر سعد مما يلي خط النجف الحديدي وتنتهي شمالاً إلى ما وراء مقاطعات التاجية وأراضي بني مواش وآلبو حداري بخط يقدر طوله ستة كيلو مترات تقريباً.

على أن هذه الحدود الشمالية كانت ولا تزال لا تخلو من الصخور والأحجار وآثار المباني المتراكمة تحت الحقول الزراعية والأنهر الحادثة مجاريها بخلاف وضع الري القديم حسبما يظهر.

وعلى كل كنت أقدر المساحة السطحية لآثار مدينة الكوفة بما لايقل عن (٥٠) كيلو مترا مربعاً تقريباً وعلى هذا القياس ربما كنت أستطيع تقدير عدد الدور والمساكن التي كانت عامرة فيها طبقاً لقواعد العمران الأعتيادية بالتقديرات التقريبية إلى مائة الف دار عدى آثار القصور الخارجة عن المدينة وبعض الأرياف والقرى المجاورة لها، ويؤيد هذا التقدير به ماورد عنها في تأريخ ابن جرير وعلى هذا لا نستنكثر إذ قلنا إن النفوس التي كانت تقطن المدينة زمن أزدهارها ربما كانت على مليون نسمة تقريباً طبقاً للقواعد التقديرية التي كنا نعللها أثناء الفحص. ولا نستكثر ذلك حيث أنها كانت حين ذلك أكبر عاصمة عربية في الشرق تحكم جزيرة العرب وبلاد فارس ومصر وغيرها من البلدان الخاضعة للإسلام.

السدير في الحيرة أو كري سعدة في الكوفة.

لقد اشتهر في تأريخ الحيرة الكوفة نهران لازالا يترددان على لسان العام والخاص، وهما(نهر السدير) الذي عرف باسم النعمان وبين بقايا آثار الحيرة،(وكري سعدة) بين آثار الكوفة.

أما آثار نهر السدير فهي ظاهرة بالقرب من خورنق النعمان، المطل على طف الحيرة جنوباً،ويقع غربي الخورنق المذكور بمسافة قدرها ٣٠٠ متر تقريباً مصبه طف الحيرة. وأما الآثار التي تنسب لكري سعد فهي تخترق آثار مباني الكوفة الحادثة على عهد الإسلام.

---

(١) يريد به جامع السهلة المعروف في الكوفة.

والذي ظهر لنا مما كنا نسمع ونرى بأنهما نهران متباينان يستقل أحدهما عن الآخر إلا أن تتبعاتنا المتوالية قد أثبتت لنا بأنهما شيء واحد، وأن هذان النهران هما نهر واحد يعرف في الحيرة المندرسة باسم (السدير للنعمان) وفي الكوفة الجند الإسلامية باسم(كري سعد).

لقد تتبعنا هذا الأثر مبتدئين من نهر السدير المار الذكر سائرين على ضفته فلم يختلف خط طريقنا بل أخذنا نشق آثار نهر السدير أولاً بالقرب من بقايا الحيرة القديمة، في مسافة لا تزيد على الـ٦ كيلومترات. حتى وصلنا بدء آثار الكوفة وإذا بنا نشق آثار كري سعد الذي يخترق مدينة الكوفة، ولم نشاهد أي اختلاف أثناء الفحص الذي قمنا بين آثاره البارزة، فكان هذا النهر نهراً واحداً يبتدئ من مصبه بعد أن يخترق آثار الحيرة والكوفة ويمتد على ظهر كوفان بخط مستقيم حتى يصل أكناف طف كربلاء بمسافة(٩٥)كيلو متراً تقريباً، وكانت العلائم والأمارات تدل على أن هذا النهر له إتصال بأراضي(الدليم) غربي كربلا ويرافق أكناف أراضي الطف الغربية من الجهات الشمالية حتى طف كربلا وطف الغري (بحر النجف) وطف الحيرة، وأن الفروع المنبعثة منه كالجداول والأبنية الأرضية القديمة المنصبة منه على جهات مدينة النجف وطف الحيرة والمشخاب والمحاجير وغيرها المتفرعة بالقرب من جامع سهيل بالكوفة. ومن بين جامع الكوفة القديم وقصر الخورنق تدل دلالة واضحة بأن هذا النهر كان جدولا رئيسيا للري على ظهر كوفان للجهات الجنوبية والشرقية من أراضي الطفوف على عهد الحكومات العربية قبل الأسلام. حيث وجدنا بين آثار مدينة الحيرة القديمة (كنيدرة) قنوات تحت الأرض تخترق آثار مباني المدينة القديمة وتصب في منخفضات طف الحيرة (بين النجف وأبو صخير) والذي كان يحملنا على الإعتقاد القوي بأن السدير وكري سعد واحد، وأنما وجد هذا الإختلاف في التسمية كان سببه اختلاف الحكومات العربية وتعاقبها على هذه المنطقة في غابر العصور.

ويمكننا التدليل على صحة هذا الظن بما هو مشاهد في العصر الحاضر حيث نرى اليوم أسماء الترع والأنهر بل وأغلب المشاريع تتبدل أسماؤها باعتبار الحكومات المتعاقبة من وقت الآخر، كنهر النجف الحالي الذي كان يسمى بالسنية نسبة للسلطان عبد الحميد، في عهد الدولة العثمانية وقد سمي اليوم بعد أحيانه (ثانيا) باسم الملك غازي عاهل البلاد،

وكذلك نهر البديرية في ناحية الحيرة فأنه سمي اليوم ((الفيصلي)) نسبة إلى المغفور له صاحب الجلالة فيصل الأول، وعلى هذه القاعدة المطردة في التأريخ ـ القديم والحديث ـ ينبغي أن يكون قد تبدل اسم السدير للنعمان على عهد فاتح هذه الديار سعد أبن أبي وقاص، فسمي بكري سعد. لأن الأرض كما نرى واحدة والنهر واحد لاغير، والتأريخ يعيد نفسه في كل الأمور.

كما كنا نرى في هذه الوقعة من الأرض آثار متصلة بعضها ببعض يسمى طرف منها آثار الحيرة، والطرف الآخر يسمى آثار الكوفة: وهي مدينة واحدة تتطور أسماؤها بحسب مقتضيات الظروف والحوادث من شتى وجوه التسمية.

وعلى كل فقد تبين لنا من التتبعات المقترنة بأستقراآتنا الفنية بالمسح الطبوغرافي الحديث الذي بين لنا وضعية أرتفاعات وأنخفاضات الأراضي في هذه الديار بأن هذا النهر هو المصدر الوحيد لأرواء هذه المدن العربية القديمة على ظهر كوفان، من طريق طف كربلاء، وكان يجري ماءه كلما تمركز نفوذ العرب على هذا السنام المرتفع بين أراضي الفرات الأوسط سواء كان ذلك في زمن حكومات بابل أو المناذرة وغيرهما في الحيرة قبل الإسلام، أو في الكوفة بعد الإسلام، ولا ريب من أن منبعة أنبار الحبانية في لواء الدليم.

نعم، أن آثاره كانت تدلنا على أنه يجري ماؤه كلما أرتفع مستوى الماء في أعالي الفرات سواء كان بواسطة الخزن في الأنبار المار الذكر، أو بالسدود الفنية، وكان يدوم مجراه كلما أستتب الأمن والسلام في هذه الديار. كما وينقطع مجراه كلما فسد نظام الري في المنبع أو أنخفض مستوى الماء في أعالي الفرات بسبب تخريب السدود والنواظم التي تخلفها الحروب والحوادث التأريخية... كحروب جنكيز وتاتار وأمثالها، أو كلما قل النفوذ الذي يحافظ ((بطبيعته)) على تلك السدود...

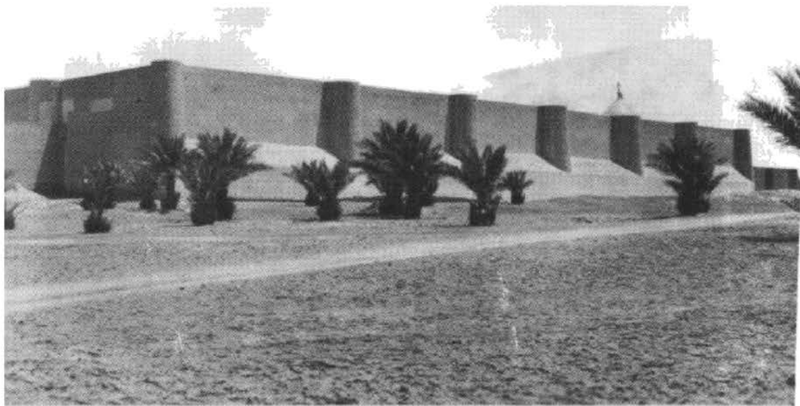
الخورنق

قصر عرف للنعمان بن المنذر، وتقع آثار هذا القصر على أرض رملية جافة مرتفعة ومتصلة بسلسلة مرتفعات طف الحيرة ويبعد عن أبي صخير ستة كيلو مترات تقريباً من جهة الغرب، كما ويبعد عن آثار مدينة الحيرة القديمة (كنيدرة) بمسافة تقدر بأربعة كيلو مترات

تقريباً، ويشرف على أرض منخفظة من أراضي الطف أنخفاظاً يقدر بعشرين متراً تقريباً من جهة الجنوب الشرقي ويطل على مناظر جميلة من الرياض الرحبة والبساتين والأنهر وإذا توجهت إليه من جهة الجنوب تراه واقع على قمة جبل مرتفع وهو يتصل من جهاته الثلاثة الأخرى بأراضي سهلة من أراضي كوفان الرملية، أما مساحة آثار هذا القصر تقدر بعشرة آلاف متر مربع تقريباً بما في ذلك آثار المباني المندرسة الملحقة به والمرافق المتصلة فيه.

قصر الأمارة في الكوفة

عرف هذا القصر للأمارة في الكوفة على عهد الإسلام ويقع في الجهة الجنوبية من جامع الكوفة بلا فاصل، ذو مرافق مهمة وجدران ضخمة لم يتبق من عماراته غير الأسس التي تراكمت عليها الأحجار والأتربة على مرور الأيام،ويتبين منها أن هذا القصر من أهم الحصون الحصينة الواسعة، إذ لايقل سمك جدرانه عن المترين وهو مربع الشكل طول كل ضلع من أضلاعه(١٧٥) متراً وتبلغ مساحته السطحية بما لا يقل عن ثلاثين ألف متراً مربعاً عدا ما كان يتصل به من آثار البيوت والمباني الملحقة به أو التابعة لهن كدار سكنى الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام الملاصقة إلى جداره الغربي والتي تجدد بناءها في القرون المتأخرة مما بذله المسلمون لتشييد هذه الآثار الإسلامية كما وشيد مرقداً محترماً لايبعد عنه كثيراً إلى ميثم التمار أعلا الله مقامه لأنه من حواري الإمام عليه السلام ولعلو منزلته الأسلامية.



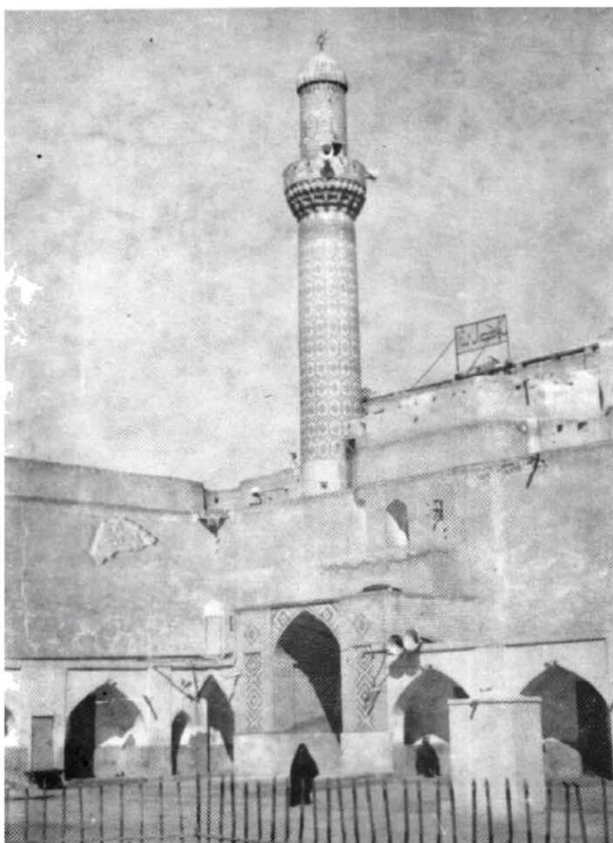
السور الجنوبي لمسجد الكوفة من الخارج قبل اجراء حفائر دار الامارة المتاخم للمسجد والذي بدا التنقيب فيه اوائل الخمسينات

جامع الكوفة

يقع هذا الجامع في منتصف آثار المدينة بالتقريب ويحتوي على ما يقارب(١-١٠٠)مروفوأسطوانة[1] فيه علائم لأبواب قديمة متعددة منها ما كان يسمى بباب كندة، أما مدخله اليوم فهو الباب المعروف قديماً (باب الثعبان)، أرضه منخفضة عن الأراضي المحيطة به من الخارج، وترتفع جدران سوره أرتفاعا لايقل عن العشرة أمتار من سطح ساحته الداخلية رباعي الشكل تبلغ مساحته السطحية(١٣)ألف متر مربع، وفي عرض ساحته مقامات قديمة تحت الأرض تدل على أن مستوى ساحته السابقة أخفض منها اليوم بكثير.

---

(١) كذا في مجلة الإعتدال ولم يتبين له الوجه منها.



منارة مسجد الكوفة كما تظهر في اعلى باب الثعبان في منتصف الزاوية بين السورين الشمالي والشرقي

وإلى جانبه الشرقي دار كبيرة أضحت اليوم مسكنا لخدام الجامع.

وتبلغ مساحته السطحية(٦) آلاف متراً مربعاً تقريباً وفي هذا البيت مرقدان محترمان معززان عند جمهور المسلمين لفضيلتهما وشهادة من فيها في مقدمة من أستشهد في حادثة طف كربلا هما: مسلم بن عقيل وهاني بن عروة.

وفي جانب جداره الغربي دار كبيرة ذت مساحة واسعة ومرافق متعددة تبلغ مساحتها(٥) آلاف متر تقريباً أحدثت في أوائل القرن الرابع عشر على نفقة المرحومين السيد علي آل كمونه من خدام الروضة الحيدرية في النجف، والمرحوم السيد علوي البحريني كملجأ لحجاج الجامع وزواره.

وإلى ركن الجامع الجنوبي الشرقي مرقد للمختار الذي نهض للمطالبة بثارات الإمام الحسين عليه السلام.

يسمى هذا الجامع العظيم باسم الكوفة الحادثة على عهد الإسلام، غير أن موقعه وآثاره الكائنة بالقرب من حيرة العرب القديمة تؤيد أقوال المؤرخين بأن الكوفة وجامعها قديمان جداً قبل الإسلام.(١)

أن لهذا الجامع هيبة خاصة وروحانية بارزة لأنه من المساجد المعظمة في جزيرة العرب، كمسجد مكة المكرمة وبيت المقدس تقصده الحجاج والزوار من كل فج لإعتباره من أهم الآثار القديمة في الفضل.

نعم أن في هذا الجامع مقامات تأريخية لأنبياء الأمم السامية قبل الإسلام كمقام آدم ونوح وإبراهيم الخليل عليه السلام أضافة إلى ما أستحدثت فيه من المقامات المقدسة في عهد الإسلام باسم النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله ومقام الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ومقام الأمام الصادق عليه السلام وغير ذلك.

فبالنظر لوجود هذه الآثار المقدسة على الأطلاق والمراقد الجليلة القدر التي لا تبعد

---

(١) ذكر المجلسي في بحار الأنوار ج ١١ص٣٣٣: عن المفضل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أرأيت قول الله: (حتى إذ جاء أمرنا وفار التنور) ما هذا التنور ؟ وأنى كان موضعه ؟ وكيف كان ؟ فقال: كان التنور حيث وصفت لك، فقلت فكان بدو خروج الماء من ذلك التنور ؟ فقال: نعم إن الله أحب أن يرى قوم نوح الآية، ثم إن الله بعد أرسل عليهم مطراً يفيض فيضاً وفاض الفرات أيضاً والعيون كلهن فيضا فأغرقهم الله وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة، فقلت له: فكم لبث نوح عليه السلام ومن معه في السفينة حتى نضب الماء وخرجوا منها ؟ فقال: لبثوا فيها سبعه أيام ولياليها، وطافت بالبيت ثم استوت على الجودي وهو فرات الكوفة، فقلت له: إن مسجد الكوفة لقديم ؟ فقال: نعم وهو مصلى الأنبياء، ولقد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث انطلق به جبرئيل على البراق، فلما انتهى به إلى دار السلام وهو ظهر الكوفة وهو يريد بيت المقدس قال له: يا محمد هذا مسجد أبيك آدم ومصلى الأبياء فأنزل فصل فيه، فنزل رسول الله فصلى ثم انطلق به إلى بيت المقدس فصلى، ثم إن جبرئيل عليه السلام عرج به إلى السماء.

كثيراً كمرقد آدم ونوح وهود وصالح عليه السلام ومرقد الإمام علي عليه السلام في الغريين في النجف وكذلك مرقد النبي ذي الكفل الذي لا يبعد عن آثار الكوفة الشمالية أكثر من ١٥ كم عدا ما نظن على ما تقدم أدلة واضحة على قدسية هذه البقعة وتأريخ هذه المدينة القديم بالمجد السؤدد وقبل الإسلام وبعدة.

الكوفة والعصر الحاضر

قلت أن مدينة الحيرة القديمة قد اندرست آثارها على ممر العصور، وأن المدينة الحادثة التي قامت على أنقاضها وأطلق عليها أسم الكوفة ــ على عهد الإسلام ــ قد لحقت بها، واندرست كذلك آثارها إلا بقايا مجيدة لاتزال تدل على عظمتها،وقد ظلت قفراً مدى عصور تتجولها وحوش الفلوات ولكن الأثر الجليل الخالد، والذخيرة العربية المقدسة، مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف الذي تقدره وتحترمه الهيئة الإسلامية العامة هو الذي سبب لها حياة جديدة في أوائل القرن الثالث عشر، لقد وصلت إلى هذه المدينة التأريخية شعبة من نهر الفرات، كخيرية من كبار المسلمين في الهند, أجريت باسم النجف تكريماً وتعظيماً لمرقد بطل الإسلام والعروبة، وجرى ماؤها عام ١٢٠٨ هـ وهي المعروفة اليوم (شط الهندية) وقد بقيت هذه الشعبة زمناً طويلاً مجراً صغيراً يجتازه كل عابر بالطفرة.

وقد سمعت ذلك من بعض الطاعنين بالسن من سادات الشرفة ممن أجتاز المجرى المذكور المقابل لشريعة الكفل (بنفسه) حوالي عام ١٢٤٠هـ ومن ذلك الوقت أخذت تتوسع هذه الشعبة حيث أتصلت في بحيرة النجف والمشخاب وبدأت تتنسم هذه المدينة (الكوفة) روح الحياة إذ هبط أرضها بعض القبائل ونزل في ضواحيها بعض المتشوقين لمجاورة الإمام عليه السلام،لأمر الذي سبب انتعاشا في النجف وسكانها، وأخذ بعض سكان النجف وغيرهم من القبائل يرضون أرض الكوفة بالزرع والغرس ولكن حالها العمرانية لم تتقدم تقدماً بيناً مدة القرن الثالث عشر ذلك لفقدان وسائل الأمن فيها وعدم أنتضام الري انتضاماً صحيحاً يكفل الغاية حيث كانت أراضي الهندية (غرب الكوفة) في ذلك الدور أهواراً بحالة طبيعية لزراعة الشلب.

أحفظ للكوفة في ذكرياتي حتى الآن صورة واضحة ترجع إلى أوائل الجيل الحاضر عام ١٣٠٥ هـ وقد كنا نرى يومئذ آثار العمران فيها ليس إلا بيوتاً من القصب والبردي تحيط بلجة ماء تطفو على شواطئها في موسم الفيضان ويعهد هذه البيوت فلاحون يفلحون أشجاراً ونخيلاً لاتزال في أوائل نشأتها، وفي وسط تلك اللجة جزيرة صغيرة فيها مقام النبي يونس عليه السلام كنا نعبر إليها بالزوارق اليدوية في ذلك العهد الذي لم يدم طويلاً إلا وصرنا ونشاهد تلك اللجة وقد أصبحت مجراً واسعاً منتظماً ينحدر إلى مقاطعات المشخاب لزراعة الشلب وعلى ظفتيه البساتين العامرة والمقاطعات الزراعية المهمة فسبب ذلك تجفيف بحيرة النجف لمصالح زراعية بعد أن كانت السفن ترسو على ساحل النجف صار ميناؤها الكوفة فبدأ بعد ذلك النجفيون يعمرون فيها الدور وينشؤون الأسواق والمخازن التجارية على الجانب الغربي من شط الفرات فيها ولم تلبث قليلاً إلا وأصبحت الكوفة تتقدم بالسكان في مختلف الجهات لقربها من النجف ولمكانتها التأريخية وموقعها الجغرافي في قلب الفرات الأوسط.

لقد بلغ عدد سكانها في أواخر عهد الدولة العثمانية ما يقارب العشرة آلاف نسمة ومساكنها إلى ١٢٠٠ مسكن بما فيها الخانات والمساجد. وصارت في التشكيلات العثمانية ناحية مهمة من نواحي العراق فيها مديرا للأدارة يتبع قضاء النجف ولكن راتب المدير كان يمتاز أمتيازاً خاصاً عن راتب بقية النواحي ذلك تكريماً لشرف تاريخ هذه المدينة، وفي عام ١٣٣٨ هـ أي قبل الثورة بلغ سكانها إلى عشرين ألف نسمة تقريباً ومساكنها إلى ١٨٠٠ مسكن بما في ذلك الأسواق والمقاهي.

وصارت في التشكيلات الأخيرة زمن الإحتلال البريطاني مركز لواء يتبعها قضاء الشامية وأبو صخير والنجف وربما كان بعض المفكرين من رجال السلطة المحتلة يفكر في جعل إدارة الكوفة إدارة واسعة أوسع من كونها مركز لواء في الفرات الأوسط (مركز ولاية) ذلك لأنها ذات مكانة تجارية واجتماعية بين البلدان الواقعة على شاطئ الفرات، حيث توفرت وسائل الأمن والمواصلات النهرية فكانت مقصداً للسفن بين البصرة وهيت ومركزاً لتجارة التصدير والتوريد لأكثر الحاصلات الزراعية للفرات وسبل البادية بل ومينـاءا مهمـاً للزوار

والمسافرين من النجف وإليها، وقد تأسس فيها خطاً حديدياً يربطها بالنجف عام ١٣٢٤هـ مسافته ٩٦٠٠ كيلو متراً وأنشأت فيها عام ١٣٣٧ هـ (قبل الثورة) مسناة مستطيلة على ظفة الفرات اليمنى مسافتها ١٠٠٠ متر تقريباً أمام البيوت والمخازن التجارية وجاء ذلك كله دليلاً على تدرج هذه المدينة التأريخية للرقي تدرجاً إلى مستقبلها المنتظر (والتأريخ يعيد نفسه).

الباخرة الحربية ((فايرأفلاي)) في الكوفة[١]

وكيف أستولى عليها الثوار بمناسبة تحطيمها وبيع أنقاضها:

الباخرة (فاير أفلاي) هي إحدى البواخر الحربية الإثنتي عشر التي بنتها الحكومة البريطانية في عبادان أثناء الحرب العظمى لتساعد على الفتح والتوغل في أحتلال المدن الواقعة على ضفاف دجلة والفرات. فاشتركت هذه البواخر في معارك ومواقع كثيرة في دجلة والفرات عند أحتلال العراق عام ١٩١٧.

وفي عام ١٩٢٠ كثرت أعمال العراقيين وأخذوا يطالبون السلطة المحتلة أن تبر بوعدها في منح العراق الإستقلال والحرية التامة في تأسيس الحكم الوطني في هذه البلاد، فاشتد اللجاج وكثرت المطالبة وعم روح الحماس الوطني جميع أنحاء العراق، وبدأت المفاوضات مع ممثلي السلطة هنا وهناك تجري بشدة فبات الأنجليز في اعتقاد حدوث الإضطرابات وأن أندلاع لهيب نار لثورة أمر لا بد منه. وأخذ ممثلوا السلطة الإستعداد الكافي للوقوف في صد تيار الوطنيين.

وفي يوم من أيام ربيع سنة ١٩٢٠م رست الباخرة (فاير أفلاي) مع باخرة حربية أخرى تدعى (كراين أفلاي) على الكوفة إرهابا لنفوس العاملين من أبناء الفرات. فبقيت الباخرتان الآنفتا الذكر راسيتين في الكوفة بضعة أسابيع وبعدها غادرت الكوفة الباخرة (كراين أفلاي)

---

(١) لمناسبة هذا الموضوع لتاريخ الكوفة وندرته ذكرناه وقد صدرته الإعتدال بقولها: أقتطعنا هذا المقال عن هذه الباخرة الحربية (فاير أفلاي) من كتاب (النهضة العراقية) التي يشتغل في تأليفه صديقنا (عبود شلاش) وهو كتاب جامع لكثير من الحوادث وفيه من المعلومات القيمة عن الثورة العراقية الشئ الكثير،(الإعتدال العدد ٥ السنة الثانية ١٩٣٤م).

إلى السماوة لقمع بعض الحوادث التي حدثت هناك قبيل نشوب الثورة العراقية.

وكانت الباخرة (فاير أفلاي) مجهزة بمدفعين كبيرين واثنتي عشر رشاشاً وفيها الكثير من الأسلحة والعتاد.

في تلك الأيام اندلعت نار الثورة وعمت أنحاء الفرات بالتعاقب وفي يوم ١٢ تموز ٩٢٠ حاصر الثوار مراكز الحكومة في (أبوصخير) وبعد مناوشات طفيفة اشتركت فيها هذه الباخرة عقدت الهدنة لأربعة أيام وتم الإتفاق على أن ينسحب جيش أبو صخير إلى الكوفة وهكذا كان، وعلى هذا جاءت هذه الباخرة (فاير أفلاي) إلى أبو صخير لتشحن الأموال التي في خزينة الحكومة والأسلحة والعتاد المخزون هناك فلم يسمح لها الثوار بذلك فرجعت إلى الكوفة وقسمت الذخيرة من هذه الأسلحة بين العشائر الثائرين.

وبعد أسبوع من هذه الحادثة نشبت نار الثورة في الكوفة أي يوم ٢٠ تموز وحاصر الثوار الجيش الأنجليزي هناك في مواقع متقاربة تقع على ضفاف الفرات فأخذت هذه الباخرة ــ فاير أفلاي ــ التي كانت راسية أمام موقع الجيش الأنجليزي المحاصر تصدعنهم الهجمات التي يقوم بها الثوار من وقت لآخر. وكانت تسير في النهر طول النهار على امتداد مدينة الكوفة تصوب رشاشاتها على كل من تراه في أسواق المدينة وشوارعها وبساتينها. فكانت هذه الباخرة حقاً الحارس الوحيد للجيش المحاصر، وقامت بأعمال مشهودة.

وهنا باتت القوتان ــ المحاصرة والمحاصرة ــ في صراع عنيف أستوعب الليل والنهار رغم طول المدة وكثرة الضحايا من الجانبين واستمر الحال حتى حدثت موقعت الرارنجية المشهورة تلك الواقعة العظيمة التي أبلى فيها الثوار بلاءاً حسناً أذ دمروا الجيش الكبير الذي جهزته السلطة المحتلة لنجدة المحاصرين في الكوفة واستولوا على عدد كبير من الرشاشات والمدافع المختلفة المقاييس والحجوم وبينها مدفع كبير من عيار ــ ١٨ سم فأرسل له عدد من خيول شركة الترامواي الوطنية في النجف لأنها مدربة على السحب فسحبته إلى جانب الكوفة الشرقي ونصبوه هناك في محل يبعد عن النهر زهاء كيلو متر واحد من مرسى الباخرة ومواقع الجيش المحاصر. ولم يكن هذا المدفع كامل العدة ذلك لأن المدفعيين الأنجليز أنزعوا منه بعض الآلات ــ وأهمها الأبرة والمطرقة ــ وأتلفوها عندما

شعروا باستيلاء الثوار عليهم، كيلا يستخدمه الثوار ضد الأنجليز ولكن هذا النقص لم يحل دون أن يستخدم الثوار هذا المدفع الذي وقع بأيديهم،فأوفدوا معتمداً خاصاً إلى بغداد ومعه مبلغ كبير من المال يستخدمه للحصول على الآلات التي تنقص هذا المدفع من معسكرات الجيش البريطاني في بغداد وفعلاً تمكن هذا المعتمد بواسطة أحد العراقيين الذين يترددون على معسكر (أم العظام) أن يحصل على أهم آلة فيه وهي الأبرة وعاد بها إلى الكوفة غانما، وكان يدير هذا المدفع جماعة من الضباط العراقيين الذين سبقت لهم الخدمة العسكرية في الجيش العثماني وبعدما حضرت الأبرة أصبح المدفع لا يعوزه إلا المطرقة فاستعيض عنها بمطرقة من مطارق الحدادين بدل مطرقته الأصلية وهكذا بات المدفع جاهزا للإستعمال.

وأول أمر فكروا فيه هو ضرب الباخرة فاير أفلاي والتخلص منها فصوبوا مدفعهم عليها وأطلقوا ثلاث طلقات أصابت أحداهما مخزن الذخيرة الذي في الباخرة فانفجر قسم كبير من العتاد وشبت فيها النيران فالتهمتها وغرقت في النهر. وفر جنودها إلى الرصيف الذي بقربهم ليلحقوا بالمحاصرين من جماعتهم إلا أن الثوار أصلوهم بنار بنادقهم فقتلوا منهم عدداً كبيراً بينهم ضابط الباخرة. وعند ذلك صوب الجيش الأنجليزي المحاصر رشاشاته على الموقع الذي أنبعثت منه الطلقات وأمطروا عليه وابلاً من الرصاص ألا أنهم لم ينالوا الثوار والضباط العرب بأذى.

وهكذا دمرت هذه الباخرة الحربية وأصبحت صفانحها وأضلاعها ظاهرة للعيان كلما هبط ماء الفرات وبذلك تظهر للملأ وتبرهن على ماقام به الثوار العراقيون من الأعمال المجيدة في نيل الحرية والإستقلال.

أما الآن وقد بيعت هذه الباخرة بأبخس الأثمان على جماعة من أهل الكوفة وأخذ هؤلاء يعملون بجد باستخراج صفانحها وأدواتها من النهر وقد عثروا لحد الآن ــ على عدد كبير من صناديق الذخيرة والعتاد المخزون فيها. وهذه الأعمال مما يسبب محو هذا الأثر الجليل[1] الذي يبعث في النفوس الروح الوطنية ويلقى دروساً بليغة في التضحية والثبات

---

(١) ويعيد التاريخ نفسه في أيامنا فقد هدم نصب ثورة العشرين في النجف والتحق بالمتحف والباخرة.

في نفوس أبناء نا لما قام بها العراقيون الأباة للحصول على حقوقهم وحريتهم المنشودة تبعث في النفوس روح الوطنية الصحيحة والإخلاص كلما وقعت عليه الأنظار خصوصا إذا علمنا أن البانعين هم فريق من أصحابها لايودون بقاء هذا الرمز الوطني بينما تعنى حكومات الأمم الراقية عناية خاصة بمثل هذه الآثار الوطنية وتشيدلها الأنصاب والذكريات كي تبقى رمزاً خالداً مرت عليها الدهور.



المنشىء البغداي[1]

أثناء تجواله في منطقة الفرات الأوسط قرر المنشىء البغدادي التوجه إلى مدينتي النجف والكوفة لتادية مراسيم زيارة العتبات المقدسة فيهما وذلك عام ١٨٢٢م فوصف الكوفة قائلاً:

إنها بلدة كبيرة ليس فيها من العمارة غير مسجد الكوفة وباقيها خراب، يمر نهر الهندية قريباً منها ثم يمضي إلى أرض عالية ومن هناك حفرت قناة فصار الماء في تلك القناة يجري منها إلى مسافة حتى يظهر إلى الخارج والماء الذي يخرج من القناة له فروع.[2]



---

(١) هو محمد بن أحمد الحسيني، زار الكاظمية المقدسة، كما زار كركوك وديالى وغيرها سنة ١٢٣٥ هجرية أيضاً وكتب مذكراته عن كل منها وله في الكاظمية عقب منهم المؤرخ المعروف الدكتور جواد علي بن محمد حسين بن قاسم (١٣٢٤ـ ١٤٠٨ هجرية) صاحب كتاب المفصل في تاريخ العرب توفي الحاج محمد بن علي المنشىء سنة ١٩٣٨ م وهو من عكيل وقد صدرت ترجمة رحلة المنشىء في بغداد سنة ١٩٤٨ وأعاد دار الوراق طباعتها سنة ٢٠٠٨ م.

(٢) رحلة المنشيء البغدادي: ص ٩٣.

وليم بيوز

هو الرحالة الانكليزي زار العراق ودخل إلى بغداد ثم زار مدينة الكوفة وقد دهش بالمناظر الجميلة التي أخفاها وجود الصفصاف الكثيف على ضفتي الفرات في الكوفة وقارنها بما راه على نهر دجلة في بغداد فتجول في المدينة وأطرافها وكتب قائلاً:

((بعد عبورنا جسر من القوارب كان يربط ضفتي النهر صادفنا سوق كبير متعرج، عرضت فيه البضائع وسلع متنوعة ثم سرنا باتجاه آخر فوجدنا سوقاً آخر يعرف بسوق البزازين يباع فيه القماش)).

وأضاف قائلاً:

((خلال تجوالنا في الكوفة وأسواقها وجدنا عدداً لاباس به من الحوانيت تقدم خدمتها للناس بينما افترش بعض الباعة الأرض)).

ثم اختتم مشاهداته بقوله:

((إن الطريقة التي شيدت بها بيوت الكوفة في نهاية من البساطة وبعضها مشيد بالطابوق، ولكن على العموم فان منظر المدينة غير مسر مقارنة بمناطق أخرى قامت على نهر الفرات كنا قد مررنا بها أثناء جولتنا هذه)).

حمد الله المستوفي

تعود رحلة ابن المستوفي إلى عام ١٣٤٠م وهي الرحلة المسمات ب نزهة القلوب وقد أشار المستوفي في رحلته إلى ماضي الكوفة وتاريخها منذ الفتح الإسلامي للعراق قال:

((تقع الكوفة على خط العرض ٣١ درجة وخط الطول ٧٩،٣٢ درجة، وهي في منطقة أكثر حرارة من بغداد، فالرياح الشمالية هي السائدة على الأغلب، وتصل المياه إلى الكوفة عن طريق قناة تتفرع من الفرات الذي يمر قريبا منها، ومن المدهش حقا، كثافة بساتين النخيل ووسعها حيث تتوزع في مساحات كبيرة، غير انه الملفت للنظر هو ووجود القصب وبكثافة في هذه المنطقة فيستخدم لأغراض شتى ومنها استعمالة كأقلام للكتابة)).[1]



مقبرة المستوفي

وفي أثناء جولته في الكوفة وصف عدة أماكن فيها فقال:

((وجود ينبوع للماء بالقرب من مسجد الكوفة في جهته الشمالية الغربية كان يرتاده الزوار لأخذ المياه منه)).

واضاف:

---

(١) نزهة القلوب: ص٣٥.

((تضم الكوفة عدداً من الأحياء السكنية، بيوتها صغيرة وبسيطة، غير ان معظم معالمها القديمة قد تهدمت أو خربت لذلك فهي تبدو مهملة في الوقت الحاضر وسكانها ناس بسطاء وبعظهم يعمل بالزراعة، أو مزاولة التجارة في السوق، وعلى عموم فأغلبهم من المزارعين الذين يعملون في مساحات واسعة من الأراضي والمقاطعات الزراعية)).[١]

وفي وصف مسجدها قال:

((هو أبرز المساجد الكبرى التي شيدها المسلمون وفق تصميم رائع وجميل وقد أحاطوه بسور عال)).[٢]

وقال عن السقخانة:

((هو مكان مخصص لتوزيع الماء مجاناً على زوار المدينة وبخاصة في مواسم الزيارات)).[٣]



(١) نزهة القلوب: ص٣٧.

(٢) نزهة القلوب: ص٣٧.

(٣) نزهة القلوب: ص٣٨.

القسم الثاني

الكوفة
في عيون المستشرقين

المستشرق لويمر في كتابه دليل الخليج العربي

الكوفة مدينة في العراق التركي، وتقع على الضفة اليمنى لشط الهندية على بعد ٦ أميال شرق مدينة النجف، وكانت الكوفة بعد تأسيسها عام ٦٣٨ ميلادية في العصور الإسلامية الأولى من بين أشهر المدن وكانت تشارك البصرة أثناء حكم بني أمية شرف كونها أحد العراقين بمعنى أنها كانت إحدى عاصمتي العراق. ولكنها أضمحلت فيما بعد وتلاشت. ولايزيد عمر المدينة الجديدة عن عشرين عاماً ويقال أن معنى اسمها هو " مدينة أكواخ البوص " وربما كان موقع مدينة الحيرة على بعد ميلين أو ثلاثة جنوبي مدينة الكوفة. ويعتقد أن موقع معركة القادسية التي أدت إلى فتح العراق عام ١٦٣٥ على بعد١٥ ميلاً إلى الغرب من الكوفة. وينبغي عدم الخلط بين القادسية هذه وبين مكان آخر يحمل نفس هذا الإسم على نهر دجلة فوق مدينة بغداد. وكان طريق الحج من بغداد أثناء العصر العباسي يمر بالكوفة.

جدول وجسر الهندية:

يبلغ عرض جدول الهندية عند الكوفة ١٥٠ ياردة وأقصى عمق له في المنطقة المجاورة لضفته اليمنى حوالي ٦ أقدام. ويمكن عبور الجدول في هذا المكان عن طريق جسر.

يتألف من ١٦ قارباً طول كل منها ٣٠ قدماً وعرضه ١٠ أقدام وعمقه ٤ أقدام. ويصل أتساع طريق المركبات على هذا الجسر إلى ثماني أقدام. وهناك حاجز يرتفع على حافتي الجسر إلى ثلاثة أقدام. والجسر في حالة سيئة الآن. وتقع إلى الشمال من الجسر وعلى بعد ٢٠٠ ياردة منه جزيرة صغيرة، كما تقع جزيرة أخرى إلى جنوبه على بعد ٣٥٠ ياردة. وتوجد الأشجار في كل منهما. ويمكن استعمال أخشابها لبناء الجسر مرة أخرى. ويبلغ أتساع الهندية إلى الشمال من الجسر بربع ميل حوالي ٣٠٠ ياردة.

المدينة والسكان:

تتألف الكوفة من ٦٠٠ منزل معظمها من الحجر والطين. وبها ١٠٠ حانوت وتمتد

واجهة المدينة قبالة النهر مسافة ٦٠٠ ياردة. وتقع المدينة كلها على الضفة الغربية، وبها خان واحد على الضفة الأخرى على بعد ٥٠٠ ياردة شمال الجسر. ويبلغ عدد سكانها ٣٠٠٠ نسمة ربعهم من الإيرانيين والبلوش من أصل إيراني والباقي من العرب الشيعة. بيد أن هذا التقدير لا يشمل سكان مدينة النجف الذين يمتلكون منازل أو مكاتب في الكوفة ويترددون عليها للنزهة أو للعمل.

مصادر الثروة:

تعتبر الكوفة ميناء مدينة النجف. وقد أصبحت الآن مركزاً تجارياً عاماً توزع منه البضائع إلى قطاعات واسعة من المناطق المجاورة، وخصوصاً تلك التي تشحن بالسفن من مدينة البصرة. ويوجد على ضفة النهر كثير من المحلات وأماكن الاعمال والمخازن التي تتكدس فيها صادرات وواردات الاحلة والنجف والأماكن الأخرى بانتظار تصريفها. وتحيط بالكوفة من جميع جوانبها مزارع النخيل الممتازة، كما أن هناك مناطق كثيرة مزروعة بالبساتين والحدائق على الضفة اليسرى للهندية ولكنها تابعة لمدينة الكوفة.

وتنتج كميات كبيرة من الفواكه والخضروات والعشب، حسب مواسمها. وترسو في ميناء المدينة متوسطة الأحجام.

الإدارة:

الكوفة هي مركز إدارة الناحية في قضاء النجف، كما أنها مقر مير الناحية، وبها حامية عسكرية صغيرة مؤلفة من ٤٠ رجلاً تحت أمرة ضابط واحد، ويقيم هنا أيضاً مدير الميناء.

القائد البريطاني الفريق سر المرهو لدين[1]

قال في فصل استرداد الكوفة:

ذكر اسم مدينة الكوفة فيما مضى غير مرة. إذ كانت فيها حامية صغيرة محاصرة فعلاً، وعلى الغم من أنها ليست من العتبات المقدسة في بلاد الرافدين فالمدينة مؤسسة منذ سنة ٦٣٨ الميلادية أي بعد ثلاث سنوات من استيلاء (المحمديين) على العراق، إلا إن أهمية البلدة الرنيسية منبثقة عن أن علياً، مؤسس الطائفة الشيعية (كذا)، وابن عم النبي محمد قتل فيها سنة ٦٦١ الميلادية. وعلى الموضع الذي قتل فيه يقوم اليوم جامع كبير، وهو على بعد ميل ونصف الميل من المدينة الحالية وعلى طريق النجف الواقعة على بعد سبعة أميال إلى الجنوب الشرقي.

إن القصة التي تروى بشأن دفن (علي) في صحراء النجف، أو بالأحرى في المكان الذي تقوم فيه مدينة النجف حالياً، تستأهل الذكر في مثل هذا المقام.

روي أن علياً خاطب من حوله وهو يوشك على الإنتقال إلى جوار ربه مردداً، أنه يرغب

---

(١) قاد الفيلق البريطاني السادس أبان الحرب العالمية الأولى في معارك دارت في ألمانيا وفرنسا.عين قائداً عاماً للقوات البريطانية في العراق في كانون الأول سنة ١٩١٩.وصل البصرة في ٢٠ آذار ١٩٢٠، ومنها أتجه إلى بغداد وولي قيادة الحركات العسكرية أبان ثورة العشرين.حضر (مؤتمر القاهرة) الذي دعا إليه سر ونستن جرجل،وزير المستعمرات البريطاني، يومذاك، لتقرير مصير بعض أقطار الشرق الأوسط، ومنها العراق، جعفر العسكري من رؤساء وزارات (العهد الملكي السابق) في العراق، وكل من سر برسي كوكس ومس جرتود بل وساسون حسقيل (أحد وزراء المالية في العهد الملكي السابق) وكان ذلك في آذار سنة ١٩٢١.ألف أغلب فصول كتابه في بغداد بين حزيران وأيلول سنة ١٩٢١ وذلك أثر حملات شديدة في بريطانيا وخارجها شنت على السياستين العسكرية والإدارية في العراق نتيجة إندلاع الثورة. فأراد من وراء وضعه تبرير سياسته العسكرية وسرد الأسباب المباشرة للثورة. (ثورة العراق ١٩٢٠، دار الرافدين ترجمة فؤاد الجميل).

على عادة العرب أن يدفن في أديم الصحراء. كما أمر أن يوضع جثته، أثر موته، على ظهر بعير، وأن تترك البعير طليقاً يرعى حيثما شاء، فإن برك بعد ذلك للراحة في موضع ما فليكن ذلك موضع قبره. إن موقع النجف الحالي في الصحراء لا يعدوا أن يكون نشزاً من حجارة رمل ضاربة إلى الحمرة، وموقعها هو المقصود في القصة السابقة. إنها كسائر المرويات الشفوية عبر العصور تفتقد الدقة، ولكن أهميتها الخاصة باقية، ثم تمضي القصة بعد ذلك فتقول إن علياً هبطت عليه رؤيا إلهية وهو يلفظ الرمق الأخير، ومفادها أن المكان الذي يبرك فيه البعير الحامل جثته هو المكان الذي دفن فيها آدم وزوجه بعينه. ولا يعرف إلا القليل من الأوربيين الجانب الأخير من قصة مقتل (علي) وكل شيعي مؤمن يعتقد أن هؤلاء الثلاثة مدفونون بالنجف، وأنه عندما يزور هذه المدينة المقدسة يكون بجوار أجداثهم الطاهرة.

ولو صح ما نسب إلى (علي) من قول قيل: أنه فاه به ساعة وفاته لتأيد أنه حقاً من أعاظم الرجال الذين عرفتهم في الدنيا حصافة رأي وبعد نظر.. ولعل الشطر الأخير من القصة يرجع إلى وضع أحد رجال الدين في النجف الأشرف، وهم يتوقون أشد التوق إلى جلب زوار إلى مزاراتهم ويتبارون في ذلك مع نظرائهم في كربلاء.

وبيوت الكوفة، في الأغلب الأعم، مبنية بالحجارة و((المونة))، وطول جبهة النهر فيها يتراوح بين خمسمائة وستمائة ياردة، وتقوم البلدة على الضفة اليمنى من (شط الكوفة)، المتشعب من (فرع الهندية) للفرات، ويتم التشعب هذا عند الكفل حيث يتفرع من الفرات شط الشامية أيضاً، ويتراوح سكان الكوفة بين ٣٠٠٠و٤٠٠٠ نسمة، وتكتنفها بساتين على الضفة اليسرى من الشط أيضاً.

وكان هدف حامية البليدة في منتصف حزيران إرعاب السكان (كذا) وصد تسول له نفسه، ممن حولها من الأعراب، أمراً. وكانت الحامية مؤلفة من سريتي وحدة المشاة (١٠٨) - ويبلغ تعدادها نحو أربعمائة وخمسين مقاتلاً، وكانت الحامية بأمرة النقيب دولنغ المنتسب إلى الوحدة نفسها. وبناء على طلب مستعجل قدمه المقدم نوربري (حاكم الشامية السياسي) أرسل نصف سرية منها إلى النجف يوم الثالث والعشرين من حزيران. وتم الحصول على القوة بسحب هذه بسحب فصيلين من فصائل أبي صخير إلى الكوفة في اليوم

العشرين من الشهر نفسه، وأبو صخير قلعة وقرية على بعد بضعة أميال جنوبي الكوفة، وهي راكبة على الشط نفسه. ولما كان الوضع على وجه العموم مضطرباً يبعث القلق، ولما كانت قوة أبي صخير قليلة جداً فلقد عززت حاميتها في الرابع من تموز بقوة أخرى مؤلفة من ١٠٦ مقاتلاً، وهي القوة التي وصلت الكوفة في اليوم السابق لهذا التأريخ. وأصبح الحاكم السياسي كرة أخرى يتربص، وعلى أحر من جمر الغضى. لذلك أرسل النقيب (دولنغ) فصيلاً إلى (أم البعرور) التي تبعد عن الكوفة بمسافة تتراوح بين ١٢-١٨ ميلاً بحساب السبيل المتخذ عادة. كما كان النقيب دولنغ يعتقد، وفي الوقت نفسه، أن قوة كهذه لا تكفي للحفاظ على النظام تماماً.

وفي الثامن من تموز توصل (الحاكم السياسي) إلى أن المفرزة الموجودة في النجف لا ضرورة لها أبداً, لذلك صدرت الأوامر إليها بالشخوص إلى الكوفة، وبوصولها شغلت (خان المستشفى) هناك. ووافق (الحاكم السياسي) في اليوم التالي على تجميع المفرزات في الكوفة، لكنه أشار، بعد ذلك، بما نم عن معارضة في سحب القوات من (أبي صخير). وإلى هذه البليدة وصلت من الفرات إلا على في ١٣ من تموز سفينة الدفاع (فاير فلاي) وهي بأمرة الملازم ستانلي.

وظهرت بوادر العداء في اليوم الرابع عشر من تموز عندما فتحت النار الحامية على قارب بخاري كان يقل بعض المجندين إلى أبي إلى أبي صخير، وعلى ظهره مواد جراية، ولو لم تتدخل السفينة (فاير فلاي) في الأمر لتم الإستيلاء عليه. وعندما عادت السفينة هذه في اليوم التالي إلى الكوفة حيث كانت الترتيبات الدفاعية قائمة على قدم وساق، فتحت عليها نيران البندقيات دونما هوادة أو إنقطاع.

وأسفر سحب حامية (أبو صخير) عن خطر ماحق، لذلك أتفق الحاكم السياسي مع أبناء العشائر على السماح لها بالمضي إلى الكوفة في الثامن عشر من الجاري دون تعويق. وبعد يومين من ذلك هوجمت القوارب التي كانت تسير في النهر صبباً، وتحمل المؤن اللازمة لحماية الإمكان الأخير، وغلب حراسها على أمرهم، لذلك، يصح القول أن الحصار فرض أعتباراً من اليوم الحادي والعشرين، إن إنقاذ هذه الحامية المحصورة هو الهدف الرئيس من

الحركات التي أوشكنا على القيام بها أنطلاقاً من الحلة صوب الجنوب منها. وقررنا أن تعقبها إجراءات تضمن إطلاق سراح المساجين الذين أسروا في اليوم الــ ٢٤ من تموز، ويعتقد أنهم موجودن في النجف، بالإضافة إلى إلقاء الرعب في قلوب الثوار والسكان القاطنين في العتبات المقدسة وما حولها (كذا).

وكنت راغباً جداً في أن نظهر بمظهر القوي الأيد في ذلك الشطر من البلاد الذي عزمنا على أجراء الحركات فيه، ما أستطعنا إلى ذلك سبيلا. وتحقيقاً لذلك نيط بفوج واحد فقط الدفاع عن (المسيب) و(سدة الهندية). والفوج هذا هو (وحدة السيك / ٤٥)، وهي، وإن رغبت في الدأب على القتال مع الرتل، لا معدى لها عن أن تستفيد من جمام قصير. ولسبب نفسه تركت وحدة (كركه - بندقيات ١٠/١) لنعني بأمر الحلة. إنها وحدة لم تعرف إلا التبريز في كل مكان قاتلت فيه. ورغبة في زيادة القوة المتيسرة، وإمدادها بقطعات جديدة، سحب من الرمادي مقر الخيالة، وسريتان من وزحدتها الخامسة. لقد أتجهت هذه القوة إلى الحلة بطريق بغداد البري. ذلك أن (المنطقة) التي رحلت منها غدت الآن هادنة ناعمة البال، وأعني بها منطقة الفرات الأعلى. وتم استبدال الحامية النظامية الموجودة في (هيت) أيضاً. ولقد سبق أن ذكرت أن هذا الموضع كان بيد عشيرة الدليم الموالية لنا، وبأمرة شيخها علي السليمان، وقد أجرى هذا الترتيب إلى أن يتسنى لنا إعادة إحتلالها.

ولسوء الحظ أضطررنا إلى أبقاء بعض القطعات في شمالي شرقي بغداد، حيث ينشط دعاة الثورة باثين الدعايات الباعثة على القلق والإضطراب (كذا)، وكانت الغاية من وراء أبقاء القطعات هذه هو الحفاظ على الأمن والنظام، والإلتزام بالشروط المعلنة.

وتحقيقاً لهذه الغاية، وباستثناء المفرزة الموجودة في دلتاوة، وضعت بإمرة (بيتي) القطعات التالية، وبضمنها ما يقتضي لحراسة خط السكة الحديد:

وحدة ((لانسرز /٣٢))(وتعوزها سريتان).

البطرية المحمولة / ١٣ (المدفعية الملكية).

البطرية المحمولة /٤٠.

الفوج الأول (رويال آيرش فيوزيلرز) - وسرية رشاش.

وحدة المشاة (رسل) ٩٤/١.

وحدة المشاة ١١٩/٢.

وحدة المشاة (ديكان)/٩٩ ومرتبات أخرى.

وأصبحت القوات المتيسرة لدي، لأول مرة، كافة للقيام بحركتين في آن واحد، وبهما نأمل انقسام جمع الثوار إلى شطرين أو أكثر.

وكانت خطة إحدى القوتين (رتل اللواء الخامس والخمسين) تنصب على استرداد الكوفة وإخلاء سبيل السجناء وإعادتهم. أما خطة القوة الأخرى (رتل اللواء الثالث والخمسين) فكانت تنصب على إحتلال طويريج الواقعة على فرع الهندية المتشعب من الفرات، وتهديد المدينة المقدسة: كربلاء الواقعة على بعد ١٣ ميلا إلى الغرب.

وكان (الرتلان) مؤلفين على الوجه التالي: رتل اللواء /٥٥ بأمرة العميد ووكر

وحدة خيالة (سند) /٣٥ (تعوزها سريتان).

وحدة (لانسرز) /٣٧ (سريتان وحضيرة رشاش).

البطرية /٣٩ (مدفعية الميدان الملكية).

البطرية /٩٧ (حضيرة واحدة)- (مدفعية الميدان الملكية).

بطرية (قوس) /٤٥ (ناقص حضيرة واحدة).

السرية /٦١ - سرية الإستحكام الثانية.

السرية /٦٧ سرية الإستحكام الثانية ((ناقص)) حضيرة واحدة.

الفوج الثاني (مانجستر).

الفوج الثاني (رويال آيرش رايلفلز).

وحدة (راجبوت) /٨.

وحدة (سيك - لوديانا) /١/١٥.

وحدة (بنجاب) /٨٧.

وحدة (مهراتا) ١١٦/١.

وحدة المشاة /١٠٨ (باستثناء مفرزة في الكوفة).

وحدة السيك ٣٢/١ (باينيرز) ومرتبات أخرى.

رتل اللواء الثالث والخمسين: بأمرة العميد ساندرز.

وحدة الخيالة الخامسة (وتعوزها سريتان وحضيرة رشاش).

البطرية الثانية (مدفعية الميدان الملكية)- ((ناقص)) حضيرة واحدة.

البطرية (قوس) /١٣٢: مدفعية الميدان الملكية.

البطرية المحمولة /٤٥ (حضيرة واحدة).

السرية التاسعة: وحدة الإستحكام الثانية.

الفوج الثاني (إيست يوركشر).

الفوج الأول المشاة - بندقيات.

وحدة (بهوبال) المشاة ٩/٣.

وحدة (راجبوت) /١٣.

وحدة (السيك) ((باينرز)) ١٢/١ ومرتبات أخر.

وتعتمد جميع الحركات التي تجري في بلاد ما بين النهرين على الماء بالدرجة الأولى، ولما كانت القطعات السائرة على طريق الحلة - الكفل تستقي ماءها مما يجري في القنوات المتوازية غربي قناة (نهر الشاه) ولما كانت هذه القناة تجري موازية للطريق العام وتبعد عنه مسافة تتراوح بين ميلين وأربعة أميال شرقاً فلا معدى، إذن، عن وضع ترتيبات خاصة. ويعتمد خط السكة الحديد بين الحلة والكفل، وهو خط صغير لايزيد عرضه على قدمين وست بوصات، على الماء الجاري في القناة نفسها. لكن الثوار ألحقوا بالطريق الدائم ضرراً، ولما كنا نعاني من شح في قضبان السكة الحديد لذلك أصبحت فائدته العسكرية قليلة. ومرد جفاف القنوات إلى قيام العشائر بقطع الماء عن طريق الكفل في تموز إبان التقدم الفاشل صوبه، من جهة، وإلى خفض في منسوب المياه في فرع الحلة من جهة أخرى. وعلى كل حال، كان له أثر لا يستهان به في النكبة التي حلت بنا في ذلك الوقت. وتقرر أن تسير قوة الكوفة في رتلين يحاذي أحدهما ضفة القناة المسماة (نهر الشاه)، وأن يكون هذا الطريق خط تموين جميع القوات التي بأمرة العميد ووكر. وتصلح القناة هذه إلى حد ما لانسياب

قواب الريف، وتقرر أن يفتح طريق مواز لها تقام عليه المعاقل، على مراحل. أن هذه الترتيبات تؤمن جريان الماء في القنوت الجانبية وتزويد الرتل الآخر السائر على طريق الكفل شريطة أن يسير الرتلان جنباً الى جنب على وجه التقريب.

فأن اتخذ الرتل سبيله على هذا الطريق، وهو أفضل من الطريق الآخر المحاذي للقناة، استطاع غلق القنوات المتجهة غرباً. إن هذا الأمر يخلق الصعاب الثقال لسكان تلك الجهة. ويسير الطريق في أرضين مفتوحة فيها الكثيرمن القنوات الرنيسية والفرعية وعليها جسور وقناطر لذلك يمكن نقل جميع الأسلحة على الطريق هذه في الأوقات الإعتيادية، وهي في الوقت نفسه تكون سلسلة من المواقع الدفاعية وتصلح للوقوف بوجه أية قوة تسير شمالاً أو جنوباً. وكان لزاماً علينا القيام بحركة ثانوية قبل حلول الوقت المعين للتقدم صوب الكفل أو طويريج أبان تجمع القطعات من بغداد وغيرها، فالسير نحو المكان الأخير. وهذا متآت من أن قاة (نهر الشاه) تتشعب من فرع الحلة على بعد ميلين ونصف الميل من مدينة الحلة. ويتكاثف النخل على ضفتي النهرهناك، ويحاذي طريق الديوانية ضفة النهر اليمنى، ولا يزيد عرضه هنا على خمسين ياردة. وعمد الثوار منذ تموز إلى أحتلال بساتين النخل هذه بأعداد كبيرة، ولا مرية في أنهم بهذا يعرقلون مرور السفن البلديةالمنطقة من الحلة إلى صدر قناة (نهر الشاه)، ويستخدمون في الوقت نفسه الطريق المؤدية إلى النقطة نفسها، ما لم يزاحوا من مكانهم المنيع. إن الذي يؤمن سلامة القوة وتزويدها بالمؤن اللازمة هو أقامة خط من المعاقل خارج نطاق بساتين النخل وعلى بعد ثلاثة أرباع الميل من صدر القناة. ومثل هذا العمل يؤخر التقدم نحو الكوفة. لكن الحامية، على ما علم أخيراً، كانت تشكو من شح في كمية الطعام وتخشى القيام بحركة سريعة واهنة لاسترداد الكوفة، ولم تعط أية أشارة للطانرات التي حلقت فوقها، بين حين وحين، لكيلا تبعث الاشفاق فينا عما يكتنف وضعها من اخطار.

ولم تلقي القطعات لدى خروجها من الحلة في اليوم السادس من الشهر إلا مقاومة قليلة. والظاهر أن الثوار أخذوا على حين غرة وفي السابع من الشهر تجمع عدد كبير من العشانريين وقد سعوا من الأماكن المجاورة وهم موقنون بأنهم على منعنا من الوصول إلى

الكوفة لقادرون. لقد سيطروا على ضفاف عدد كبير من القنوات الجديدة والقديمة، والمتفرعة من النهر، جنوبي الحلة وبينما كانت أرتال المشاة تتقدم على ضفتي النهر جنوباً، أخذ المهندسون والفعلة يشيدون المعاقل، وينصبون الاسلاك الشائكة. وكانت المقاومة في بادئ الأمر عنيفة عاتية، وصمد الثوار في مواقعهم المنيعة حتى وصلت قطعات المشاة فأصبحت على مدى مرمى غير بعيد. وسار الفوج الثاني (رويال أيرش - بندقيات) مع سريتين من وحدة (راجبوت) الثامنة على الضفة اليسرى بدون أن يقف في طريقهما عائق، ثم أصبحت القوة هذه في السهل المنفتح الكائن خارج نطاق النخل المحاذي للنهر. هذا بينما اضطرت البقية الباقية من القوة السائرة على الضفة اليسرى والمؤلفة، من وحدة المشاة (راجبوت) الثامنة تساندها وحدة (سيك) ١٥/١، إلى مشط أرض مستورة. وكل ساعد الثوار ووهنت قوتهم بتقدم القوة، تساندها المدفعية. وبعد صدام دام ثلاث ساعات ونصف الساعة استولت قواتنا على الأرض التي كانوا يحلون فيها. وما إن تراجعوا - وكان عددهم يقرب من ٣٥٠٠ مقاتل - حتى أصبحوا هدفاً لاهباً لنيران المدفعية والبندقيات والرشاشات فمنوا لذلك بخسائر فادحة، وبلغت ضحايانا طوال يومي الحركات: ١٨قتيلاً و ٦٨ جريحاً.

ويرجع سبب ضعف المقاومة التي لقيها الرتل خلال أيام الحركات التي تلت ذلك إلى النجح الذي أصبناه في اليوم السابع من الشهر، وإلى خسائر الثوار فيه.

وتجمعت قطعات الكوفة وطويريج في اليوم الحادي عشر من تشرين الأول وقامت بحركات تنصب على تطهير جانبي خط سيرها التالي. وفي الثاني عشر من الشهر المذكور تقدمت صوب ذينك الموقعين.

وقام رتل اللواء الثالث والخمسين بحركات انطلاقاً من الحلة وصوب الشمال فدمر قرى (عنانة) و(سنجار) وغيرها. وهي قرى ذوات خطر كائنة على الجانب الغربي من طريق طويريج.

وتحرك رتل اللواء الخامس والخمسين إلى منطقة الطهمازية، غربي الحلة، وخرب قرى عشائر آل فتلة الكائنة على الجانب الغربي لطريق الكفل. وبوذلك استطاع الرتل هذا أن يطهر جناحه الأيمن، والجناح الأيسر لرتل اللواء الـ ٥٣. ولم يلق الرتلان في ذلك إلا مقاومة

ضعيفة، وعسكراً للمبيت على بعد ميلين أو ثلاثة من.

وفي الثاني عشر من الشهر بدأ كل رتل منهما تقدمه الرئيس، فلقد أمر اللواء ليزي، قائد الفرقة الـ ١٧، رتل اللواء الـ ٥٣ بالمضي إلى طويريج ذلك اليوم لعله يستطيع إنقاذ جسر القوارب العائم على الفرات، وقبل أن يعمد الثوار إلى إشعال النار فيه. ولم يلق رتل اللواء الـ ٥٣ أية مقاومة أبان قطعه الأميال الخمسة الأولى من مسيرته. واستمر تشييد المعاقل على خط المواصلات. ولكنه لقي مقاومة عنيفة عند خطين من القرى الكائنة على بعد نصف ميل من قناة (الجرجية)، الموازية لفرع الهندية، وعلى ضفتها اليمنى تقوم طويريج.

ولما لم تستطع الخيالة العاملة على انفراد إلى النفوذ سبيلاً فلقد جئ بالفوج الثاني (آيست يوركشر) ووحدة (راجبوت) الـ ١٣ تساندهما المدفعية. وصبت حمم المدافع وصليات الرشاش على ضفة قناة (الجرجية) وعبرت البطرية الآلية السادسة، المجهزة بالأسلحة الخفيفة والسائرة في المقدمة، جسر القناة وسببت للثوار خسائر جمة.

ووقفت العشائر عند طويريج كرة أخرى، وأشعلت النار في جسر الفوارب. لكن سرية الإستحكام ووحدة (راجبوت /١٣) المتقدمتين استطاعتا إطفاء اللهب واحتلال المدينة، وأطلق سراح آغا خان حميد، مساعد الحاكم السياسي السابق في النجف، والذي كانت له اليد الطولي في حسن المعاملة التي لقيها أسرانا على ما سنرى. لقد أقتادوه إلى طويريج معتقلاً، ولم يبق معاملة سيئة أبان ذلك. وكمثال على الطريقة التي كان يصنعها رؤساء العشائر لتأجيج نار الحماس في نفوس أتباعهم قص علينا (الآغا) كيف سمع أن الناس أخذوا يرقصون طرباً في الشوارع قبل إطلاق سراحه بساعتين فقط. وعندما سأل حراسه ما الخبر ؟

أجابوه إن نبأ جاء من المحمودية يفيد بسقوطها بيد الأتراك، وإن القوات ((الشريفية)) تسير ظافرة من الرمادي. ولا تنس أن المحمودية هي على خط السكة الحديد ولا تبعد عن بغداد بأكثر من ١٩ ميلاً. وأسهمت الطائرات في الحركات التي أسفرت عن احتلال طويريج وساعدت على ذلك بنجاح. وكان هذا شأنها فيما مضى، كما أنها هاجمت الثوار إبان تدفقهم على كربلاء راجعين. وقدر عدد من لقي حتفه من الثوار هذا اليوم بمئتين، أما

خسائرنا فلم تكن بذات بال. وتم في اليوم التالي تشييد المعاقل على طريق الحلة - طويريج وبدأنا بتأسيس الوسائل الدفاعية في الموقع الأخير ووضعنا نصب أعيننا أن ترابط فيه حامية مؤلفة من نصف فوج.

وما إن تم الإستيلاء على طويريج حتى أصبح أمر إخضاع أهالي كربلاء قاب قوسين أو أدنى. لقد تم فيها تأسيس حكومة ما أبان أيام الثورة الأولى، ولقد صدرت الأوامر إلى الأحد عشر عربياً الذين كانوا يؤلفونها باعلان تسليم المدينة إلى العميد ساندرز في طويريج، ثم المضي إلى بغداد لمواجهة (سربرسي كوكس) الذي عين معتمداً سامياً خلفاً للعقيد أ. تي. ويلسون وكيل الحاكم الملكي. وكانسربرسي كوكس قد وصل في الحادي عشر من تشرين الأول. وأعطيت للمذكورين مهلة قدرها ٤٨ ساعة لاجابة الدعوة، وبعكسها أنذرناهم بأن الرتل سيتقدم صوب كربلاء وقد قطع الماء عنها. وصدع بالأمر عشرة من الأحد عشر وكان ذلك يوم السادس عشر من تشرين الأول فأرسلوا إلى بغداد، وحذت العشائر حذو حكومة الثورة في كربلاء، وقدم عدد في اللواء الـ ٣٥ بالقيام بحركاته في جوار طويريج. وإذا ما عدنا إلى الحركات المهمة الأخرى لوجدنا أننا أصبنا خلالها النجح أيضاً، فلقد تم استرداد الكوفة. ولقي الرتل الذي سار في اليوم الثاني عشر من الشهر، وبحاذاة شط الكفل. مقاومة قوة من العرب بلغت عدتها الألفين، لقد كانت القوة هذه مسيطرة على (قناة الحميسانية) فزحزحتهم عنها وحدة (بنجاب /٨٧) تساندها المدفعية والخيالة العاملة على جناحيها.

وفي الرابع عشر من الشهر فرقت وحدة (مهراتا ١١٦/١) شمل جمع من الثوار بلغ عددهم الستمانة وكان هؤلاء مسيطرين على القناة الكائنة إلى الشمال الشرقي من الكفل، ودخلت الوحدة المذكورة البليدة، وفيها مانجستر) الفرات فوراً، وكان عبوره على عوامات pontoons. إن عرض النهر الحقيقي هنا يناقض ما ورد عنه في التقارير، إذ أنه أعرض مما كان يؤمل. لذا تقرر إرسال جميع المواد اللازمة لبناء الجسر من الحلة في الخامس عشر من الشهر، وقد وصلت المواد هذه (الكفل) في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر اليوم نفسه، ورغبت مسيرة ١٨ ميلاً. وتم نصب الجسر في الساعة الخامسة من بعد الظهر، وفي التاسعة والنصف من صباح اليوم السادس عشر عبرت القوة كلها الجسر وعاودت المسير صوب

الكوفة.

وفي الساعة الثامنة من صباح البليدة الشمالية، وشاهدت الثوار وهم يحتلونها أقوياء صامدين.

واستدارت وحدة خيالة (سند /٣٥) أستدارة واسعة بأتجاه الغرب فقطعت طريق النجف - الكفل، وهجمت على الثوار فقتلت سبعآ وعشرين منهم كما ألحقت مدافع (هوجكز) بهم خسائر أخرى.

وتقدمت قطعات المشاة في الوقت نفسه فنفذت من خلال بساتين النخل تساندها الطائرات وهي خفيضة الطيران. وكانت (وحدة المشاة /١٠٨) في المقدمة، وبقية الوحدة هذه حامية المدينة المحاصرة بعينها، وكان الفوج الثاني (مانجستر) يسير في أعقابها مباشرة ومتيامنآ، كما كانت وحدة (سيك٥١/١) تسير متياسرة.

وتراجع الثوار فطاردتهم الطائرات، وتم استرداد الكوفة في الساعة التاسعة والنصف صباحآ ويمكن تلخيص كل ما حدث خلال الأشهر السابقة بما يلي:

عندما ابتدأ الحصار كانت الحامية مؤلفة على الوجه التالي:

	ضباط بريطانيون	مراتب بريطانية	مراتب هندية	عرب وفرس أخرى
وحدة المشاة/١٠٨	٤	-	٤٨٦	٠٠٠
الشرطة والمجندون (الليفي)	٦	٣	٠٠٠	١١٥
الدوائر	٢	١٢	١٠٢	٠٠٠
باخرة الدفاع (فايرفلاي)	١	٦	٠١٤	٠٠٠
	١٣	٢١	٦٠٢	١١٥



صورة لأزقة الكوفة القديمة

وعلى ما ذكرنا آنفاً تم احتلال (خان المستشفى) في الثامن من تموز، ولما تعاظم احتمال الحصار جعل كل من الحاكم السياسي ودائرته وثكنات الشرطة وبنايات أخر في عداد المراكز الدفاعية. وضرب الحصار على العدو... إثر الحركات، وكان الحصار مصغراً، وحاول العرب الذين كانوا بقيادة ضباط على حظ من الخبرة، وعلى ما كانوا عليه في الأماكن الأخرى، أن يطردوا الحامية مرات عدة وشرعوا بأطلاق النار من المنطقة المستورة التي كانوا فيها. واشتعلت النيران في البنايات وأصبح اللهب يهدد الأماكن التي تشغلها قطعاتنا. وكان الحريق في إحادها مروعاً. وبشيء كثير من الصعوبة والأعسار وقتل النقيب (مان)، مساعد الحاكم السياسي، برصاص بندقية عندما حاول ببسالة إنقاذ ثكنة الشرطة من التدمير. ولم يكن عهد هذا الضابط بالبلد طويلاً، لكن كفايته وسحر شخصيته ولباقته أثرت في جميع الذين اتصلوا به، ولو كتب له أن يعيش لتبوأ ارفع المناصب. وعمد المحاصرون

إلى تفجير أحد الألغام، لكن محاولتهم هذه كمحاولة حرق الحامية باءت بالفشل، وكشف النقاب في منتصف شهر أب عن حفر أحد الأنفاق الشمالية - الغربية عند زاوية الدفاع كان يجري على قدم وساق، والظاهر أن العمل لم يكن متقناً، إذ ما إن تعرض النفق إلى نيران رشاشة لويس حتى أنهار دراكاً. وما إن ىباءت هذه المحاولة بالفشل أيضاً حتى قدم رسول من الشيوخ الكبار القاطنين قرب الكوفة ومعه رسالة يطلب فيها تسليم الحامية. وحلقت الطائرات القادمات من بغداد فوق مراكز المدافعين وألقت عليهم رسائل تشجيع من الجرائد والسكائر، كما ألقت على المحاصرين القنابر. وهكذا علم المدافعون أن العون آت عاجلاً أم آجلاً، وعاد رسول الشيوخ إليهم خالي الوفاض. وشاء حظنا العاثر أن يحصل الثوار على مدافع من عيار ١٨ رطلاً إبان كارثة الـ٢٤ من تموز في طريق الكفل. وعلى الرغم من كونه بدون مغلاق، إذ قد تم رفعه منه قبيل الإستيلاء عليه، فلقد استطاع أحدهم أن يضع له بديلاً خاماً، وتم في اليوم الـ ١٧ إطلاق النار منه على/الباخرة فاير فلاي وأصابت الإطلاقة الأولى منها مقتلاً، فاندلعت ألسنة النيران فيها وخيف من حدوث انفجار في مخزن الوقود فيها، وما يستتبع ذلك من إلحاق الضرر بالحامية. ذلك أن السفينة كانت راسية قرب البيوت التي كانت تحل فيها. وعلى ذلك جرى إغراق الباخرة بمدافع لويس عن طريق إحداث ثقوب في صفائحها. وجرح قائدها الباسل قبل ذلك وأصابته النيران بلفحاتها، فمات بعد يومين اثنين، كما قتل جنديان بريطانيان من نوتية السفينة، وجرح آخر.

وفي اليوم التالي تبين أن المدفع المذكور قد تم نقله إلى نقطة تبعد بمسافة لاتزيد على ٢٥٠ ياردة من خطنا الدفاعي. لذلك وجهت نيران مدافع لويس عليها بصورة مركزة فتعطل المدفع وأبيدت جماعته. ونقل الثوار المدفع تحت جناح الظلام فلم يخفت صوته، وهكذا قصفت الحامية بقذائفه في الفترة الواقعة بين نهاية آب وأوائل أيلول. إن القذائف التسعين هذه لم تسبب لنا إلا القليل من الخسائر، بينما قتل الكثير من الثوار برصاص البندقيات. وما أن قرب زمن الخلاص حتى تراخى جهد المحاصرين في سبيل التغلب على الحامية. وعلم في اليوم الرابع عشر من تشرين الأول، أن قطعاتنا استولت على الكفل وألقت الطائرات في السادس عشر منه النبأ السار، فالمدافعون سيكونون أحراراً طلقاء عند الصبح، وما الصبح

ببعيد. وتحقق ذلك فعلاً فلقد وصل في اليوم السابع عشر الرتل من الكفل، وانتهى بذلك حصار دام ٨٩ يوماً.

لقد بقت معنوية الحامية عالاة طوال تلكم الأيام العصيبة الشداد المنكرة، واقتصر طعامها، خلال الأسابيع الثلاثة، على الرز ولحم الخيل، إن هذا ليفصح عن جبلة أولئك المدافعين، ولا معدى عن كلمة شكر تزجى إلى القطعات غير النظامية أيضاً.

وكان من جملة أفراد الحامية شرطة فارسية، ومجندون عرب. لقد قاوم هؤلاء إغراء الثوار (كذا) فلم يتركونا ولم يلتحقوا بهم، على الرغم مما تراءى لهم من أن كفة الثوار هي الراجحة. لقد أطاعوا رؤساءهم، ورعوا الخبز والملح (كذا).

وبلغ عدد الضحايا أبان الحصار: (٢٥) قتيلاً و(٢٧) جريحاً، وجاء وقت استهدف فيه إماتة الحامية جوعاً.

وعلم لدى وصول قوة الإنقاذ إلى الكوفة أن الأسرى الإنكليز والهنود الذين وقعوا بيد الثوار قد تم نقلهم من (أم البعرور)إلى (أبو صخير)، ثم ورد نبأ، بعد ذلك يفيد أنهم نقلوا منالبليدة الأخيرة إلى النجف.

ووصلوا ممثلوا النجف في اليوم الثامن عشر من تنشرين الأول المقر العام للواء المشاة الخامس والخمسين وبلغوه نسليم المدينة وخضوعها. وأعلموا أن أول شرط من شروطنا هو تسليم الأسرى، وعلى ذلك تم في التاسع عشر تسليم ٧٩ أسيراً بريطانياً، ٨٩ هندياً.

وليس بد من أن نورد في مثل هذا المقام طرفاً من طوانح الزمن التي عاناها هؤلاء الأسرى: فأول خبر ورد عنهم، أثر وقوعهم في الأسر يوم الرابع والعشرين من تموز، تناهى بواسطة آغا حميد خان، مساعد الحاكم السياسي، وابن عم الآغا خان. لقد بقي الرجل هذا في النجف على الرغم مما كان يحيق بحياته من خطر، ودأب على ممارسات واجبات وظيفته حتى بعد اندلاع لهيب الثورة. وورد في تقريره أن من ضمن الأسرى ما يقارب الـ ٦٥ جندياً بريطانيا سيقوا إى الأسر حفاة عراة (كذا) ووصلوا الكوفة فعوملوا فيها معاملة سيئة (كذا) من قبقل العشائر التي مروا بها. وأضاف حميد خان إلى ذلك أنه بسبيل إرسال سيحصل على شيء من المال أيضاً.

وبعد أيام قليلة أرسل طبيب مسلم من بغداد إلى كربلاء بأمل وصوله إلى الأسرى، وكانت معه بعض اللوازم الطبية، وسرنا أن نعلم بعد ذلك بقليل أنهم يحلون في (أبو صخير)على بعد تسعة أميال إلى الجنوب الشرقي من النجف، وأنهم يعاملون بالحسنى.

ولم يستطيع الطبيب الوصول إلى النجف، وإليها نقل الأسرى وكان مكن بينهم ثلاثة أصيبوا بجراح خطيرة، ذلك أن النجف كانت تغلي كالمرجل، لكن حميد خان الذي لبث فيها زمناً، بذل ما كان يستطيع من جهد للتخفيف عما يعانيه الأسرى سيعوض عنه، كما أن أي ضرر يلحق بهم سيكون حسابه عسيراً (كذا).

وأعلمنا في منتصف شهر أيلول مساعد الحاكم السياسي في المسيب، والذي كان على اتصال بالنجف، أن أسرى آخرين وصولها من السماوة وهذا يدل على أن من أسر في القطار المصفح لم يلق حتفه.

وأخذت أخبار الأسرى التي تناهت إلينا منذ ذلك التاريخ تبعث على الطمأنينة والرضى. وعلى ما كان مرتقباً، إن التقدم من الحلة لاسترداد الكوفة سبب نقلهم إلى النجف، وورد تقرير يفيد أنهم نقلوا في اليوم التاسع من تشرين الأول إلى (أم البعرور)، ثم أعيدوا بعد أمد قليل إلى مقرهم الأول كرة أخرى. ولقد تم تسليمهم في التاسع عشر من تشرين الأول، على ما ذكرنا آنفاً.

إن المعاملة الحسنة التي عوملوا بها في خاتمة المطافكان لها الآثر الظاهر في البـاديعلى صحتهم، لقد طعموا جيداً، وكانت العناية الصحية بهم حسنة أيضاً. والفضل في ذلك يرجع إلى رأس عرفاء السرية (متر) - المنسوب إلى الفوج الثاني (مانجستر) - وأعلى ضابط صف فيهم.

ولا معدى عن ذكر أن قد بذلت الجهود اللازمة للتوثق من مصير المفقودين أبان الهروب الذي حدث على طريق الكفل في الرابع والعشرين من تموز. ومن الدلائل التي أفصحت الأرض عنها: أن كثيراً من الجنود، بسبب من انعطاف الطريق، قد ضلوا سبيلهم إبان التراجع الأول. لذلك ألقت القبض عليهم العشائر القاطنة في(برس نمرود) - حيث يقوم برج يسمى خطلاً (برج بابل) - وأبيدوا عنده.

وفي العشرين من تشرين الأول تم استرجاع المدفع، عيار /١٨، من على ضفة النهر اليسرى وقرب الكوفة. إنه المدفع الذي فقدناه في الرابع والعشرين من تموز وأطلق على الكوفة ١٣٥ قذيفة من مسافة لا تزيد على ١٥٠ ياردة في الاحيان، وسبب للحامية فيها رهقاً كبير.

وبقي في الوقت نفسه لواء المشاة الخامس والخمسين في طويريج يرقب رسوخ الادارة المحلية في لواء كربلاء وركونها إلى قرار مكين. وجاء نبأ يفيد أن النار تفتح على بعض المعاقل الكائنة حول المسيب لذا تم إرسال شطر من اللواء المذكور شمالاً ليقوم بحركات تمتد حتى سدة الهندية.

تتسم جميع حالات التسليم بالتلكؤ والتأخير عادة، وتتطلب وجود القطعات، وذلك بسبب طريقة جمع الغرامات وتنفيذ باقي الشروط. لذلك يجد (الآمر)قطعاته خلالها منتشرة في طول البلاد وعرضها. وفي مثل هذه الحال لا يصح أن يهمل التزام الحذر والحيطة، وبقدر تعلق الأمر بخط المواصلات، على وجه أخص. وعلى الرغم من أنني كنت شديد الرغبة في أن تكون قطعاتي ماثلة أمام ناظري الثوار في كل مكان إذ لم تكن بعض أقسام البلاد قد تم إخضاعها بعد، إلا أن الضرورة استدعت إيقاف تلك الحركات، حيناً من الدهر.

الوا موسيل[1]

الطريق من بغداد إلى الكوفة

كان الطريق من بغداد إلى الكوفة ذا أهمية كبيرة في العهد العربي. وبنا انه يشكل جزءاً من طريق الحج الكبير إلى المدينة ومكة فقد ورد وصفه كثيراً؛ ومع ذلك فأن اقوال الكتاب المتقدمين لاتتفق بعضها مع بعض، كما لاتتقق مع الحقانق الواقعية.

ويقدر ابن خرداذبه في المسالك (دي خويه، ص ١٢٥) المسافة من بغداد إلى الكوفة؛ ٣١ فرسخاً؛ وبما ان المسافة الحقيقية هي ١٤٦ كيلو متراً ففي الأماكن اعتباراً ٤٠٧ مترات كمعدل (النضر ما سبق ص ٥٢) لطول الفرسخ عند ابن خراداذبة؛ على انه في حالات أخرى نحصل من مقارنة المسافات المعلومة مع تلك التي يعطيها ابن خرداذبة على خمسة كيلو مترات في الأقل كمعدل للفرسخ الواحد (أنظر مايلي ص ٨٣). فعلى الأساس الأخير يجب الانتوقع أكثر من ٢٨ أو ٢٩ فرسخاً بين المدينتين. وفي المناقشة التالية اعتبرنا ٥ كيلو مترات معدلاً للفرسخ فيما عدا الحالات الموضح فيها خلاف ذلك.

ذكر أبن خرداذبة المسافة من بغداد إلى قصر ابن هبيرة على أنها اثنا عشر فرسخاً، إني أحدد البلدة الأخيرة في الخرانب المجاورة لضريح السيد إبراهيم الصغير، على مسافة ٦٢ كيلو متراً أو ما يقارب اثني عشر فرسخاً، جنوبي بغداد.

ويذكر اليعقوبي في البلدان (دي خوية). ص٣٠٨ والصفحة التي تليها إن المسافة من بغداد إلى الكوفة هي ٣٠ فرسخاً، ولهذا يكون الفرسخ استناداً إليه ٩، ٤ كيلو متراً، ويذكر أن المسافة إلى القصر ابن هبيرة هي ١٢ فرسخاً.

أما ابن رسته، فيذكر في الأعلاق النفيسة (دي خويه، ص ١٧٤) أن المسافة من بغداد إلى قصر ابن هبيرة هي ١٢ فرسخاً، ولكن في الواقع أن المسافة من قصر ابن هبيرة هي ١٢

---

(١) كتابه أعالي الفرات الطرق البريه على الفرات الأوسط وفقاً للمراجع العربية ص ١٤٥.

فرسخاً، ومن هناك إلى الكوفة ٢٠ فرسخاً، ولكن في الواقع أن المسافة من قصر ابن هبيرة إلى الكوفة لا تزيد على ١٦ فرسخاً.

وفي أماكن أخرى يذكر ابن رسته (المصدر السابق،ص١٨٢)المسافات بالأميال (٣لكل فرسخ):من بغداد إلى ابن هبير ٣٦ميلاً أو فرسخاً؛ ومنها إلى الكوفة ٥٧ ميلاً أو ١٩فرسخاً،وهي أكثر مما يلزم ويذكر قدامه، في الخراج(دي خويه)،ص ١٨٥)، إن المسافة من بغداد إلى قصر ابن هبير هي ١٢فرسخاً، ومها إلى الكوفة هي ٧١ فقط؛ وفي الجملة ٢٩فرسخاً؛ وهذا أكثر اتفاقا مع الواقع.

ويسجل الهمداني، في صفة جزيرة العرب (ملر),ص١٨٥)من بغداد إلى قصر ابن هبيرة ٣٦ ميلاً، أو ١٢ فرسخاً، ومن هناك إلى الكوفة ٤٦ ميلاً فقط، أو ١٥فرسخاً زائداً ميلاً واحداً؛ وفي الجملة ٢٧فرسخاً وميلاً واحد. وتبدأ بيانات المهداني أقرب إلى الصواب مما ورد في الكتابات الأخرى. ويذكر ابن خرداذبه في نفس الموضع،إن المسافة من بغداد إلى جسر كوثى (جسر قوارب كوثى)هي ٧ فراسخ؛ومنه إلى شاهي، ٧فرسخ؛ومنه إلى الكوفة، ٥ فرسخاً؛والمجموع: ٣١ فرسخاً. احدد موضع جسر كوثى في خرائب أم سفوح، وهي تبعد ٣٧ كيلو متراً من بغداد، وهي مسافة تتطابق مع ٧ فراسخ إذا قسنا الماسافة من البوابة الخارجية لبغداد القديمة: وفي الإمكان تتبع السدود الضخمة لقناة كوثى من أم سفوع إلى مسافه بعيدة ومن هناك إلى ضريح السيد إبراهيم وقصر ابن هبيرة ٢٥ كيلو متراً و ٥ فراسخ. ومن هذا المكان إلى الكوفة ٨كيلو متراً و ١٦ فرسخاً، وليس ٩ الذي هو المجموع الكلي الذي أورده ابن خرداذبة. وعلى كل حال، فإن بيانات ابن خرداذبة تجعل من الصعب علينا أن نقرر المسافات المشتركة في هذا المجموع صحيحة وأي منها غير صحيحة، كما أنه ليس بمقدورنا التأكد من موقعي محطتي سوق أسد وشاهي، ويحدد مؤلفون عرب آخرون موضع شاهي على الضفة لليسرى للفرات بجانب المخاجفة وجسر القوارب في بلدة الكفل الحديثة، ٢٥ كيلو متراً شمالي الكوفة، ويقدر اليعقوبي، في نفس الموضع، عدد الفراسخ من بغداد إلى الكوفة بثلاثين ويقسم هذا الإمتداد إلى ثلاث محطات، وكانت المحطة الأولى حتى بلدة قصر أبن هبيرة ١٢ فرسخاً من بغداد وقرابة الميلين فقط من الفرات الأصلي.

وهنا يعبر النهر على جسر قوارب، يدعى جسر سورا. ومن هناك تؤدي المسيرة الثانية إلى بلدة تدعى سوق أسد غربي الفرات في منطقة الفلوجة الإدارية، وكانت المسيرة الثالثة من سوق أسد إلى الكوفة. ويعتبر اليعقوبي الفرع الذي يجري بجانب بابل والحلة على أنه الفرات الأصلي وهو لايعطينا أطوال المسيرتين الثانية والثالثة.

وفيما يلي الأرقام التفصيلية التي قدمها ابن رسته في المصدر السابق (ص١٧٤)

من بغداد إلى جسر قوارب كوثي، ٧ فراسخ.

ومن جسر كوثي إلى قصر ابن هبيرة، ٥ فراسخ.

ومن ثم إلى شاهي، ٧ فراسخ.

ومن شاهي إلى الكوفة، ٧ فراسخ.

إن مسافات ابن رسته بين المحطات جنوبي قصر ابن هبيرة تختلف عما ورد في ابن خرداذبة.

هذا وسجل ابن رسته تفاصيل أضافية تتعلق بهذا الريق في النص التالي:

من بغداد إلى جسر نهر صرصر، ١٠ أميال.

ومن ذلك المكان إلى نهر الملك، ٧ أميال.

ومنه إلى نهر كوثي، ٤ أميال.

ومنه إلى بز يقياء، ٦ أميال.

ومنها إلى جسر سوران، ميلين.

ومنه إلى ذماد (أو ذمار) ٩ أميال.

ومنه إلى سوق أسد، ٧ أميال.

ومنه إلى اليعقوبية، ٤ أميال.

ومنه إلى القناطر، ٧ أميال.

ومنه إلى شاهي، ١٠ أميال.

ومنه إلى الكوفة، ١٨ ميلاً.

إن المسافة من بغداد إلى جسر نهر صرصر، أو جسر القوارب على قناة صرصر (تل

الأبيض)، هي ١٠ أميال، أو ما يقارب ١٧ كيلو متراً والرقمين التاليين، اللذين يمثلان المسافة من جسر صرصر إلى نهر الملك (٧ أميال) ومن هذا المكان إلى نهر كوثي (٤ أميال)، قد تحولا من مكان إلى آخر. أن المسافة من جسر صرصر (الأبيض) إلى نهر الملك بجوار خرانب الدير هي حوالي ٨ كيلو مترات، وهي توازي ٥ أميال تقريباً. ومن ذلك المكان إلى نهر كوثي بالقرب من خرانب أم سفوع ١٣ كيلو متراً، ومن سفوع توصلنا إلى مزرعة الهرواي التي نطابقها مع بزيقاء، ومن هناك توصلنا ٩ أميال، أو ما يقارب ١٥ كيلو متراً إلى الخرانب الواسعة بجوار ضريح السيد إبرهيم الصغير حيث كانت تقع بلدة قصر ابن هبيرة القديمة. ويمكن البحث عن جسر قوارب سورا الذي يبعد ميلين على الجانب الأيسر بالقرب من مدخل قناة المحاويل الحديثة. ويحدث الفرات هناك انعطافاً كبيراً برغم أن هذا المنعطف لا يبدو أنه يعود إلى فترة زمنية طويلة.

من بغداد إلى جسر كوثي على نهر الملك، ٧ فراسخ.

ومن ذلك المكان إلى قصر ابن هبيرة، ٥ فراسخ.

ومنه إلى سوق أسد ٧ فراسخ.

ومنه إلى شاهي ٥ فراسخ.

ومنه إلى الكوفة، ٥ فراسخ.

وغير صحيح أن جسر كوثي كان يعبر نهر الملك. فلعل الكلمات ((على نهر الملك تسربت إلى النص من ملاحظة هامشية ترجع إلى بعض المحطات الأخرى. أن سبعة فراسخ، أو تقريباً ٣٥ كيلو متراً، من قصر ابن هبيرة (قرية السيد إبراهيم الحديثة) تؤدي بنا إلى شرق قرية غضبان الحديثة، التي ربما كانت موقع محطة سوق أسد. أن مسافة ٥ فراسخ، أو ٢٥ كيلو متراً، من ذلك المكان إلى شاهي تجعل محتملاً أن نبحث عن شاهي بالقرب من بلدة الكفل على بعد ٢٥ كيلو متراً أو ٥ فراسخ من الكوفة.

ويعطي الهمداني (الموضع نفسه) خطعرض بغداد على أنه ٣٣٩ والمسافة من هناك إلية قصر ابن هبيرة، التي تقع على خط عرض ٣٢٣٠ ٣٦ ميلاً. ويعطي أيضاً المسافة من قصر ابن هبيرة إلى القناطر (على خط عرض ٣٢١٠) على أنها ٢٤ ميلاً والمسافة من هناك إلى

الكوفة على أنها ٢٢ ميلاً. وعند تحويل هذه المسافات إلى فراسخ نحصل على:

من بغداد إلى قصر ابن هبيرة، ١٢ فرسخاً.

ومن هناك إلى القناطر، ٨ فراسخ.

ومنها إلى الكوفة ٧ فراسخ زائداً ميلاً واحداً.

أن تحديد موقع القناطر عند خرانب البريس تؤكده سجلات أخرى أن مسافات الهمداني التي تدعمها خطوط العرض المذكورة تتفق مع المجموع الكلي البالغ ٢٧ فرسخاً زائداً ميلاً واحداً، أو ٨٢ ميلاً.

وبما أن المسافة الحقيقية هي ١٤٦ كيلو متراً، مع أفتراض أن الهمداني لم يقع في خطأ في مجموعه الكلي، ففي الامكان تبني ١٧٩ كيلو متراً على أنه الطول المعدل للميل الواحد عند الهمداني و ٥٫٣٧ كيلومتر للفرسخ عنده ويذكر ابن حوقل، في مسالكه (دي خويه)، ص١٦٦) أنه يبين بين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترقه أنهار مما يلي الفرات فأولها مما يلي بغداد نهر صرصر، عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن، وعليه جسر من مراكب يعبر، عليه مدينة صرصر تجري فيه السفن، وعليه جسر من مراكب يعبر عليه، ومدينة صرصر عامرة بالنخيل والزروع وسائر الثمار صغيرة من بغداد على ثلاثة فراسخ ثم ينتهي على فرسخين إلى نهر الملك، وهو كبير أيضاً أضعاف نهر صرصر من غزر مائة، وعليه جسر من سفن يعبر عليه.

ثم ينتهي إلى قصر ابن هبيرة. وهي بقرب نهر الفرات الذي هو العمود، ويطلع عليها هناك عن يمين وشمال مفترقة ليست بكبار، إلا أنها تعمهم لحاجتهم وتقوتهم، وهي أعمرنواحي السواد ثم ينتهي إلى نهر سونا وهي مدينة مقتصدة ونهر كثير الماء، وليس للفرات شعبة أكبر منه.

ولعل بلدة صرصر، الواقعة على بعد ثلاثة فراسخ من بغداد، تتطابق مع خرانب الأبيض. والنقطة التي كان يعبر منها الملك على جسر القوارب وهي على مسافة لا تزيد على الفرسخين من صرصر يمكن البحث عنها عند نيشان الدير.

ويعطي المقدسي، في (أحسن التقاسيم) (دي يخويه)، ص١٣٤ هذه التفاصيل:

من بغداد إلى نهر الملك، مرحلة واحدة.

ومنه إلى القصر، مرحلة واحدة.

ومنه إلى حمام أبن عمر، مرحلة واحدة.

ومنها إلى الكوفة، مرحلة واحدة.

وكانت مرحلة اليوم الأول من بغداد إلى نهر الملك حوالي خمسة وعشرين كيلو متراً. أما المراحل التي تلتها، كما سنرى فيما بعد، كما سنرى فيما بعد، فكانت حوالي أربعين كيلو متراً للمرحلة الواحدة. إن هذا السجل هام جداً لأنه يجعلنا قادرين على تحديد موقع حمام ابن عمر وفي الوقت ذاته تحديد إتجاه مجرى نهر النرس الذي يتفرع عند مدينة الحلة الحديثة. إذ تقع محطة حمام ابن عمر على التحقيق الرئيس بين القصر (وهو قصر ابن هبيرة دون ريب) والكوفة، وهو على التحقيق طريق كان خالياً من انعطافات كبيرة. ومن المحتمل أننا لا نخطئ كثيراً في تحديد موضع حمام ابن عمر في نحو منتصف الطريق بين قصر ابن هبيرة والكوفة إلى الجنوب والجنوب الغربي من الحلة. ودعما للموضع الذي هو إلى الجنوب الغربي من الحلة وليس جنوبها يمكننا أن نذكر مسافات تقارب أربعين كيلو متراً. ومن القصر إلى الكوفة مرحلتان، وبما إن هذه المسافات كانت بالحقيقة ٨٢ كيلو متراً فإن المرحلة الواحدة في هذه الحالة أيضاً تكون حوالي أربعين كيلو متراً من القصر نأتي إلى خرانب البريس جنوبي غرب الحلة، وهذا يحدد موضع حمام ابن عمر جيداً بدرجة كافية، ويرينا مجرى نهر النرس التي يقول عنه ابن سيرابيون، في العجائب، (مخطوطة المتحف البريطاني)، ورقة ٣٤ يمين وما بعدها، (لوسترنج) ص١٦ وما بعدها) أنه كان ياخذ من سورا الأسفل - أو أستناداً إلى آخرين، من الفرات - عند الجامعين القديمة، أي الحلة الحديثة، ماراً بحمام ابن عمر.

ومما لاشك فيه أن محطة حمام ابن عمر، مطابقة لمحطة القناطر (الجسور) التي أشار إليها ابن رسته والهمداني ومن المحتمل أن جسراً منه بالآجر إمتدت فوق نهر النرس وبعض فروعها أسفل من حمام ابن عمر ويكرر الإدريسي (في النزهة،ح٤ص٦) عبارات ابن حوقل مع تغييرات قليلة فقط. فيجعل المسافة من قصر ابن هبيرة إلى بغداد ثلاث مراحل خفيفة

ويقصد بذلك مراحل طول كل واحدة منها حوالي واحد وعشرين كيلو متراً. أو المسافة التي يستطيع جمل محمل حملاً ثقيلاً تغطيتها في يوم واحد.

غادر ابن جبير (الرحلة (دي خويه)، ص٢١٢ والصفحة التي بعدها) الكوفة مع قافلة الحاج في الصباح الباكر ووصل قبل الظهر بقليل إلى نهر آخذ من الفرات الذي كان يجري على مسافة نصف فرسخ تقريباً، شرقي الكوفة. وبعد أن واصلوا رحلتهم قضوا الليلة قرب بلدة الحلة التي دخلوها في الصباح وكانت الحلة تقع على الضفة الغربية للفرات، فعبروا على جسر قوارب، ثم خيموا على مسافة تقارب فرسخاً واحداً من البلدة. وعند استئنافهم الرحلة حوالي الساعة التاسعة ساروا فوق جسر قوارب على نهر النيل الذي تتفرع من الفرات، وعند كل ميل تقريباً كانوا يصلون إلى جسور من الآجر ممتدة على قنوات أروائية متنوعة وقبل غروب الشمس ضربوا الخيام في بلدة في القنطرة، أو حصن بشير، كما كانت تدعى أيضاً. ثم وصلوا إلى بلدة الفراش، وفي المساء إلى بلدة زريران التي كان جزؤها الشرقي يرى من دجلة والغربي من الفرات ومقابلها إلى الشرقي برز أيوان كسرى:

ولم يحقق ابن جبير في التنفاصيل عن أسماء القرى والقنات المختلفة ولهذا يصعب متابعته. فمن الصباح الباكر وحتى منتصف النهار تقريبا من اليوم الأول من المؤكد أن قافلة الحاج لا بد أن قطعت خمسة وعشرين كيلو متراً، وهكذا وصلت إلى بلدة الكفل. ومن المحتمل أن تتطابق القناة الآخذة من الفرات الذي بمحاذاتها.

على ما يبدو، تقدمت القافلة إلى الحلة، مع نهر النرس. أن ابن جبير يطلق اسم الفرات ليس فقط على الفرع الذي يجري قرب الكوفة بل أيضاً على الفرع القريب من الحلة. ومن الحلة سلك في الطريق في أغلب الإحتمال مساراً مستقيماً إلى أيوان كسرى، طيسفون القديمة، وبما أن ابن جبير لم يذكر بابل على الإطلاق، فمن الواضح أنه بقي إلى الشرق منها.

ذهب ابن بطوطة، التحفة (دفر يميري وسانكونيتي، مجلد٢ص٩٦-١٠٠) من الكوفة مخترقاً بر ملاحة، وهي بلدة جميلة تكاد تكون مختفية بين بساتين النخيل، إلى الحلة. وهنا كان الأهلون منقسمين إلى فريقين متخاصمين، الأكراد وأهالي الجامعين. وكان جسر

قوارب يؤدي إلى الجانب الآخر من الفرات. ومن الحلة زار ابن بطوطة كربلاء ولم يذهب إلى بغداد إلا فيما بعد. وكانت البلدة الصغيرة بر ملاحة تقع على الطريق الرئيس من الكوفة إلى الحلة. ألا أنه من الصعب تحديد موقعها على الوجه الصحيح،ولا بد أن (الجامعيين) وهو الإسم الأصلي لمدينة الحلة الحديثة، كان آسماً متداولاً حتى منتصف القرن الرابع عشر. ومما يؤسف له ابن بطوطة لم يصف بتفصيل أوسع رحلته من الكوفة إلى الحلة، أو من هذا المكان إلى كربلاء ويذكر حاجي خليفة، في (جهان نامة القسطنطينية، ١١٤٥هـ ص٤٧٠)، أن الطريق من بغداد للنجف يمر بـ (تل صرصر) وتل فراشر، وشط النيل والكوفة. وبحلول نهاية القرن السابع عشر أخترق طريق الحاج هذه المنطقة في نفس الاتجاه الذي يتبعه الطريق الحالي تقريباً. ويمكن البحث عن تل فراشر (أو بالاحرى، الفراش) شمال شط النيل، الذي تفرع من الفرات، أو سورا الأسفل، عند بابل.

ويذكر نيبور، في كتابه وصف الرحلة (كوبنهاكن، ١٧٧٩- ١٨٣٧، المجلد ٢ص٢٩١)، أنه في ٥ كانون الثاني (يناير)، ١٧٦٦م خرج راكباً من الحلة إلى بغداد في أتجاه يكاد يكون شمالياً.وفي أربع ساعات وصل إلى مهافية، ومنها أستغرق أربع ساعات في الوصول إلى سكندريه، ومنها وصل بثلاث ساعات الى بيرونس، ومنها بثلاث ساعات إلى خان السد ومنها بأربع ساعات إلى بغداد. وكان كل من هذه المدن خان كبير. وتقع إلى الشرق من مهافية بلدة تحمل الإسم نفسه وبين (بير ونس) وخان السد هناك قرية المحمودية التي أسستها قبل سنوات قليلة فقط عادلة خاتون، زوجة سليمان باشا. أما بقية المنطقة فكانت مقفرة تماماً.

أما مهافية فقد نقلت محرفة عن محاويل. وسكندريه هي خان الاسكندرية الحديث تقريباً. ويقع خان المحاويل في منتصف الطريق تقريباً بين الحلة وخان الاسكندرية، على بعد سبعة وعشرون كيلو متراً.و(بير يونس) يمكن مطابقته فقط مع خان البيض المهجور في منتصف الطريق بين خان الاسكندرية وخان الزاد، والمسافة عن كل منهما هي اثنا عشر كييلو متراً، رغم أن نيبور يجعلها ثلاث ساعات باعتبار سبعة كيلو مترات في الساعة تارة وأربعة كيلو مترات في الساعة تارة أخرى. وتقع محودي (المحمودية) على القناة التي تحمل

الإسم نفسه بين خان الزاد وخان البيض.

الطريق من بغداد إلى الشام

يسمي الطبري، (التأريخ (د يخويه)، السلسلة ١، ص ٢٠٧٥) الطريق المتد بمحاذاة ضفتي الفرات اليمنى واليسرى من الكوفة إلى الشام بطريق الفراض (طريق المخاضات) المتنوعة ونقاط العبور على الفرات. وله اسمان آخران وهما طريق الشام وطريق الفرات (المصدر نفسه، السلسلة ٣، ص ٢٢٣٧ وما بعدها وص ٢٢٧٨).بعد معركة صفين، سنة ٦٥٧م، لم يزحف جيش الإمام علي (ع) (المصدرنفسه، السلسلة ١، ص٣٢٤٥) بمحاذاة الضفة اليسرى كما فعل في مجينه، بل اخترق الصحراء وبحذاء الضفة اليمنى إلى هيت ومن هناك من الطريق صند وداء واتلنخيلة إلى الكوفة - وربما أدى هذا الطريق من صفين (أبو هريرة) من طريق الرصافة، أبا - ل - جير والكواثل إلى الفرصة (الصالحية) ومن هنا بحذاء الفرات من طريق هيت وصندوداء (المشيهد أو الرمادي) مباشر خلال الصحراء إلى النخيلة (خان أبن نخيلة) وبعدها سرعان ما ظهرت خيام الكوفة وبيوتها.

المستشرق لويس ما سنيون[1]

تمصير الكوفة

تحويل تكتل معسكرات الأجناد إلى محلات بلدية

كلنا يعلم بأن الكوفة لم تكن سوى أكوام وكتل من الخصائص - الأكواخ القصبية - والخيام التي نصبت بصورة مؤقتة بين الحملتين - وكانت النساء حينذاك يرافقن الجند - وذلك بعد ١٧ هجـ - ٦٣٨ م حتى سنة ٢٢هجـ / ٦٤٣ م في أمارة المغيرة — أي أنها ظلت على حالها طيلت الخمسة أعوام الأول من تأسيسها - حيث صاروا يشيدون المساكن الحقيقية من الآجر، وأول تلك المساكن بنيت في محلة كندة وهي ((منازل مراد)) والخزرج من الأنصار الذين كانوا قد سكنوا مع كنده في محلة واحدة عقب تحالفهم معها في الثلاثين سنة الأولى كانت تدعى المخيمات والأكواخ مقسمة إلى سبع مناطق عسكرية تدعى الأسباع، نسبة إلى النقاط السبع لحشر مقاتلة القبائل ووفقاً للقيادات والتعبئة عند النفير والخروج للجهاد في المواسم، ثم توزيع الغنائم والعطايا - بعد العودة - من قبل رؤوس الأسباع، فإذا لم تكن أسباع الكوفة محلات بلدية فهي قطعات قبلية - بالنسبة إلى النسب أو الحلف.

ولو قارناً بين الإستعمار العربي في جانبي بادية الشام لوجدنا بينهما تفاوتاً ظاهراً. ففي الجانب الغربي (سورية) فاز الأعراب بأشجار الزيتون الوافرة المنتشرة هنا وهناك في تلك الربوع، فكان توغلهم في مسالك شتى بفضل مسيل الوديان العديدة والكثيرة التغير (روافد شط الأردن والليطاني والعاصي) فلذلك أستوطنوا في نقاط مختلفة.

فكان تأسيس المعسكرات الستة للأجناد في مواقع قريبة للمدن المهمة لهذا السبب.

---

(١) ذكرنا ترجمته في القسم الأول الرحالة و هناك ذكرنا رحلاته في الكوفة و هنا نذكر ما كتبه في تخطيطه للمدينة ويد كتابة من أهم البحوث الإستشراقية حول تخطيط الكوفة.

بينما في العراق لم تقدم الجموع العربية على الأستيطان على شواطئ الأنهر والسهول المنخفضة ذات النخيل الجم والتي كانت عرضة لفيضانات مياه الأنهار، بل تحشدت في معسكرين عظيمين مماسين ـ الكوفة والبصرة - مركزي توزيع الغنائم والقن.

والخلاصة أن البصرة ((ذلك الميناء النهري الكبير ومحل تنزيل البضائع من السفن وحفظها على ظهر الإبل من المربد)) قد بنيت دورها وشيدت مساكنها باللبن والآجر قبل الكوفة بزمن. وكانت مساكنها دساكر ما السبع القديمة مأهولة وذات منازل ثابتة من قبل، غير أنها تحولت إلى خمسة أقسام أدارية تدعى بالأخماس بينما الكوفة قد تأخرت عنها بالتحضر.

الأسباع

وكانت الكوفة في الثلاثين سنة الأولى من تأسيسها مقسمة إلى سبعة كادرات للنفير حسب الجدول، علماً أن السبع الأخير محذوف في كتاب الطبري وقد أعيد ترتيبه من قبلي:

١ - كنانة وحلفانهم (الأحابيش) وجديلة وهؤلاء كانوا أعواناً طبيعيين للولاة القرشيين منذ سعد بن أبي وقاص حتى عمال بني آميه، وكانوا يلقبون بأهل العاليه وكان عددهم ضئيلاً بالنسبة إلى غيرهم.

٢ _ قضاعة وغسان وبجيلة وخشعم وكندة وحضرموت والأزد وهم من اليمانيين، وكانت السيادة فيهم لطائفتين:

الأولى: بجيلة: التي كان رئيسها جرير بن عبد الله البجلي صديقاً خاصاً للخليفة عمر بن الخطاب الذي كان قد خصص لأفرادها عطاءاً سنوياً.

الثانية: كندة: حيث كانت تلتزمها أسرة ملكية وهي أسرة الأشعث بن قيس.

٣ _ مذحج: وحمير وهمدان وهم كذلك من العناصر اليمانية الخالصة، وقد لعبت همدان دوراً مشرفاً منيفاً فيما بعد.

٤ - تميم: والرباب وبنو العصر من العناصر المضوية التي لم يبق منها سوى تميم.

٥ - أسد وغطفان ومحارب ونمير - من بكر بن وائل - وضبيعة وتغلب ومعظمهم من ربيعة.

٦ ـ أياد وعك وعبد القيس أهل البجر - والحمراء والأخير ثان بقايا القبائل التي سكنت هذه الربوع قبلاً فبنو عبد القيس نزحوا من البحرين - البجر - تحت قيادة رئيس من سلالة ملكية هو زهرة بن حوية السعدي - بنو سعد بطن من تميم - أحد أعلام الفتح وأقطابه. وأما الحمراء فكانوا حلفاء عبد القيس - وهم أربعة آلاف جندي فارسي يرأسهم رجل يسمى ديلم - وتحالفهم قد عقد بعد واقعة القادسية. وقد لعب هذا السبع دوراً ثقافياً أساسياً في الكوفة قبل سنة ٤٠ هج وفي البصرة إلى نهاية سنة ٨٣ هج.

٧ ـ إن اسم هذا السبع لم يرد في كافة المصادر، ومما لاشك فيه بأنه (طي) القبيله التي قل شأنها ((بعد أن كان اسمها يطلق على العرب مطلقاً باللغة الآراميه ومنها اللغة الفارسية ثم الأرمنية فالصينية)). وبالرغم من وجود سهم لهذه القبيلة في الغنائم والقى منذ البداية ومع أنها كانت في صفين تشكل فيلقاً مستقلاً فاسمها الوحيد الذي لا نجده غربلة الجداول.

تغيير الأسباع

وعندما قدم علي بن أبي طالب إلى الكوفة بعد وقعة الجمل سنة ٣٦ هج غير نظام الأسباع في الكوفة وعبأها على الترتيب التالي:

١: همدان وحمير.

٢: مذحج وأشعر ومعهم طي كفيلق سابع عند ذكره خروج جند الكوفة إلى صفين.

٣: قيس - عبس وذبيان - ومعهم عبد القيس.

٤: كندة وحضرموت وقضلعة وحبرة.

٥: الأزد وبجيلة وخشعم والأنصار -- يذكرهم الدينوري في الفيلق السابع من قريش.

٦: بكر وتغلب وبقية بطون ربيعة - عدا عبد القيس.

٧: قريش وكنانة وأسد وتميمة وضبة والرباب.

ويعطينا الدينوري أيضاً عين الأسماء حسب ترتيب البلاذري ولكن الطبري لم يذكر سوى الأسباع (٧و٣و٦و٢و٥) ويذكر نصر بن مزاحم في كتاب صفين نفس الأسماء ولكن على هذا الترتيب (٣و٧و٥و٤و٢و١) ثم يجعل طي كفيلق سابع، على ترتيب نصر بموز الفيلق السابع - وهم بكر وحلفانهم.

وقد أبدى نور الله الشوشتري ملاحظة مهمة حيث ذكر بأنه ((لم يكن مع علي في صفين من رؤساء قريش سوى خمسة، بينما ثلاثة عشر بطناً من بطون قريش وألويتها كانت بجنب معاوية.

أربعة أمور للملاحظة

(أولاً): كانت هذه القبائل عدا القسم الحجازي (قريش) تضم عناصر شديدة البداوة، سكان الخيام، وبيوت الشعر أصحاب الإبل (بنو دلوم من تميم) أو اليمانيين القدماء الذين كانوا مجاورين لهم من قبل (طي) ثم العناصر نصف الرحالة التي كانت قد انتقلت مع هذه الربوع قديماً (ربيعه نصف متنصرة وأسد من الغرب والشمال الشرقي وبكر من الشرق والجنوب الشرقي) أو أولئك الذين قدموا من الجنوب الشرقي مع جموع من الإيرانيين (بنو عبد القيس الذين جاؤا من هجر) وأخيراً العناصر العربية الجنوبية الأصلية وهم الذين نزحوا من اليمن وحضرموت وهؤلاء كانوا أكثر حضارة من غيرهم، وكانوا قسمين:

أ: نصف متحضرة (كندة وبجيلة).

ب: متحضرة حقاً من سكان المدن والقرى اليمانية (مذحج، همدان، حمير).

فهذه الأقوام سكان جنوب شبه جزيرة العرب أهل المدن والقرى الذين كانوا متمدنين تقريباً صاروا سبباً لتحضر العنصر العربي في الكوفة تبعاً لصفة عقلية تختلف عن البصرة التي كانت تلك العناصر فيها قليلة متراخية، ومع ما نلاحظ من القابلية الخاصة للعناصر الجنوبية في التمدن والتحضر وتأسيس الثقافة الإسلامية في سورية ومصر ولأندلس إلا أنها ظهرت في الكوفة بأبها معالمها: ورب معترض يقول بأن البصرة كانت إحدى هذه الثقافقة فنجيبه قائلين:

بأن الكوفة هي التي كانت سبباً لتلك الحركة ولم تكن البصرة سوى مقتبسة منها ولو أن انضمام بنو عبد القيس مع الحمراء (حلفاؤهم الفرس) في البصرة قد سهل تعريب المفردات الفارسية كما حدث في الكوفة، إلا أن البصرة لم تكن حاوية على تلك المادة الموجدة للتصوير والإبتكار، المختصة بتلك الجماعات العربية الجنوبية (أهل اليمن) التي كانت في الكوفة متفوقة على غيرها، ومن هنا نستطيع أن نستنتج الإتجاهات المتباينة للمذهبين

الكلاسيكين الكوفي والبصري فالمزية الخاصة للمذهب الكوفي هي الإبداع في التصور في كافة الأدوار الثقافية العربية.

ففي الكتابة قد تطور الخط الكوفي (الليتروجي) المأخوذ من المصاحف القديمة، وفي الصرف والنحو والقراءات (وكان ثلاثة من مجموع أربعة قراء من أهل الكوفة وواحد بصري) فالمذهب الكوفي يبحث عن أوضاع الشواذ. وأما في النثر ففي الكوفة تكونت تلك المجموعة المعتبرة النقية (نهج البلاغة) الحاوية على الخطب والمواعظ التي ألقاها علي بن أبي طالب هناك.

وفي الشعر التي أبدعت في تحويل الذخائر الماضية - الحماسات والمعلقات - وكذلك أوجدت الأحاديث والسير في حب الله (platontique) ــ كأحاديث بني عذرة التي يعززها الأصمعي.

والشعور الديني الذي ظهر ضد الزنادقة والسبأيين قد اشتد حتى تحول إلى الإحساس بالتجلي ورؤية القديسين وذلك بأجهار التوبة العلنية، ففي الكوفة موطن البهاليل والصفوية الذي ذكر الغزالي مكانتهم وأهميتهم وذلك بأثبات شرعي وفيها كان قد ظهر الحلاج الذي فاق جميع النساك والزهاد الأسبقين، ومن أنب إبراهيم الخواص وانتقد طريقته ((إنكار الذات)) فأسس الطريقة التصوفية ((على ترك التكامل)) أما في السياسة فكانت الكوفة ((ليجيتيمست ligtimiste شرعية)) إلى أقصى درجاتها حتى أن أعظم حركاتها الإصلاحية وهي الحركة الزيدية لم تكن إلا احتجاجاً ومطالبة مسلحة للعدل الإجتماعي.

وفي الحقوق فكانت الكوفة ((فورماليست)) formaliste مذهب الإجتهاد وهي مرد الفقهاء والمشرعين الأقدمين، والمذهب الكوفي يدعم الأقدار النهانية للأرواح على الآلهية.

وكانت الحياة التعاونية فيها تركن على أسناد سلمان ــ أسناد الشد ــ وفي البصرة أناب الحسن البصري.

بينما المذهب البصري يستمد قوته من شيء من (الرياليزم realisme) فيقوم باستنتاجات بطينة واستدلالات مملة فيجمع أصول الصرف وشروحه ويبالغ في التحقيق.

أما شعراء البصرة فقد طرحوا جانباً الطراز المأثور ((والنثر العربي له هذه الصفة أيضاً))

وتناولوا مع الإرتياب الأفكار الأجنبية المشابهة.

والفكرة الدينية فيها فبعد أن فندوا البصريون الفلسفة الصومانية الهندية مارسوا بتحذر البسيكولوجية الأخلاقية.

وفي السياسة كانت البصرة موطن أهل الجماعة ((الذين مواقفهم للأندار قد هيأت السنة)) فالبصريون كانوا ينكرون بكل جرأة ووقاحة الخلاف بين الصحابة والبصرة كذلك عبد القدرية.

ولقد قارن الحجاج بين البصرة والكوفة حيث وصف الأولى كعجوز شمطاء ترفل بالزينة وأنواع الحلي، وشبه الثانية بعذراء جميلة عارية من الحلي والعقود.

(ثانياً): إن البيوتات الأربعة لأمراء البدو لم تسكن البصرة بل سكنت الكوفة وهم:

١: آل زرارة الدارميون ــ بنو دارم بطن من تميم.

٢: آل زيد الفزاريون ــ من قيس عيلان.

٣: آل ذي الجدين الشيبانيون ــ بنو شيبان بطن من بكر بن وائل.

٤: آل قيس الزبيديون ــ من مذحج.

وحسبما يظهر بأن هؤلاء سكنوا في ضواحي الكوفة أولاً، ولم يقطنوا داخل البلد إلا بعد زمن ولهذا السبب قد تأخروا من الحضارة.

(ثالثاً): اختلافات الأحصاءات لعدد المقاتلة التي عسكرت في الكوفة ففي القادسية كان عددهم (٣٦٠٠٠) مقابل ٣/٢ يمانيون. وأما الإسم التي سجلت لهم في الكوفة فقد بلغت (١٠٠٠٠٠) سهم أي (٤٠٠٠٠٠) شخص على أكبر تقدير ــ يقدر البلاذري عدد المقاتلة والأسهم (٦٠٠٠٠) مقاتل و (٨٠٠٠٠) حصة.

(رابعاً): يظهر بأن تجمع القبائل والبطون في الكوفة واتصالها قد ساعد النسابة على وضع جداول شتى الأنساب.

الأرباع

وفي سنة ٥٠ هج أي في أمارة زياد بن أبيه صار تكتل الأقسام العسكرية في الكوفة على غرار ما كان في البصرة حيث أصبحت الأسباع أربعة مناطق تدعى بالأرباع، وذلك بعد ضم

كل قسمين من الأقسام الستة الأولى، وإليك كيفيتها:

١. أهل العالية.

٢. تميم وهمدان.

٣. ربيعة _ بكر _ وكندة.

٤. مذحج وأسد.

ومن رأي ((لامانس lammense)) بأن هدم النظام القبلي العسكري السابق من قبل زياد وتبديله ربما كان من أجل الربع الثاني، لأن همدان القبيلة العظيمه الخطيرة، ذات الشوكة والقوة التي كانت دوماً في عداء ومخاصمة للولاة والأمراء لشدة تشيعها، فأكره زياد الهمدانيين لأن يخضعوا للقائد العسكري الذي يرأس قبيلة تميم التي كانت همدان تبغضها منذ سنة ٣٧ هج.

ولكن هذا غير صحيح، وهذا التبديل جرى للربع الثالث الذين كانوا قد عقدوا حلفاً شهيراً مهماً الذي سبب حدوث عصيان في البصرة آنذاك. وبقي يعمل بهذا النظام حتى زوال شأن الكوفة وانحطاطها الذي تم في أوائل القرن الرابع الهجري.

السكك والنطاق والمقابر

المناهج

إن القائمة الوحيدة لتخطيط منازل الكوفة التي بين أيدينا هي النسخة الأصلية القديمة والتي تصف بأن (١٥) منهجآ ــ والمنهج الخط الفاصل بين تصفيف الخيام التي أقطعها سعد للقبائل المختلفة وهذه المناهج قد اختطفت من الجامع باعتباره مركزاً لها: ــ

أولاً: في ودعة الصحن ــ أي شماله ــ المنهج ١و٢ لقبيلتي سليم (٢) وثقيف (٣).

المنهج ٣: لهمدان

المنهج ٤: لبجيلة

المنهج ٥: لتميم اللات وتغلب.

ثانياً: في قبلة الصحن ــ أي في جنوبه ــ

المنهج ٦: لبني أسد.

المنهج ٧: بين أسد والنخع.

المنهج ٨: بين النخع وكنده.

المنهج ٩: بين كنده والآزد.

ثالثاً: في شرقي الصحن:

المنهج ١٠:للأنصار ومزينة.

المنهج ١١:لتميم ومحارب.

المنهج ١٢:لأسد وعامر.

رابعاً: في غربي الصحن:

المنهج ١٣:لبجالة من غطفان ــ وبجلة من قيس ــ

المنهج ١٤:لجديلة واللفيف.

المنهج ١٥: لجهينة واللفيف.

السكك (الشوارع)

ثم كانت هناك شوارع حقيقية تسمى بـ(السكك) وعرض السكة كان (٥٠) ذراعاً من أذرع اليد وهذه السكة كانت تنار أحياناً بواسطة المشاعل أثناء الليل ونحن نعرف بعض السكك كسكة شيت في منازل تميم.

وسكة العلاء بن محرز: في منازل قريش.

وسكة عميرة: في منازل كندة.

وسكة دار الروميين: بالقرب من قصر الإمارة ... ألخ.

وكان يطلق على كثير من السكك أسماء بطون القبائل التي كانت تسكن في جوانبها ومنها ما كانت تحمل أسماء بعض التجار بأشكال مستعجمة كـ(حجامة عنترة) (عنترة الحجام) وفي هذا الصدد أبدى البلاذري ملاحظة مهمة حيث قال: إن هذه التبلات في الأسماء العربية لم تحدث إلا في سنة ١٣٢ هج عند مجئ الجيوش الخراسانية العباسية ربما أنا نجد في رواية أبي مخنف عن حركة المختار سنة ٦٦هج اسماً من هذا القبيل وهو ((لحامة جرير)) و ((جرير اللحام)) فيثبت ذلك بأن أبا مخنف عدّ جميع رواياته بعد سنة

١٣٢ هج وجرى بعض التعديل في التخطيط السابق، لأن العناصر الإيرانية لم تنشأ في الكوفة بواسطة حمراء الديلم في القرن الأول، بل بواسطة الخراسانيين في القرن الثاني.

وهناك طريق تهمنا بصورة خاصة وهي طريق (البريد) ولقد قمنا في تحقيق وتحديد مسلكها فاعتدينا بأنها كانت بين الجسر وبين القصر والكناسة ـــ وذلك في سنة ٦٦ هج عندما كان البريد يسير نحو دمشق ـــ

مفارق الطرق

وكانت في الكوفة مفارق طرق تسمى بالفارسية ((جهار سوج)) وأهمها: ـــ

جهار سوج خنيس.

وجهار سوج بجيلة.

وجهار سوج كندة.

وجهار سوج همدان.

مصادرالمياه

ولم يكن في الكوفة في بادئ الأمر سور أو خندق بل ما أجمعوا عليه هو وجود حفرة في الجهةالشمالية الشرقية ـــ في منازل مزينة ـــ وكانت هذه الحفرة تسمى بـ (مسناة جابر) وكذلك كان يوجد قتال في الجنوب الشرقي ـــ وهو نهر البويب ومنه مدت الجداول نحو جوف العتيق حيث الحمامات والسقايات.

وفي سنة ١٤٥ هج أمر الخليفة المنصور بحفر خندق كبير حول الكوفة وفتح له مجرى من الفرات ونصبت له قناطر من الزوارق ذات أبواب، بغية تسهيل المواصلات التجارية ولم تكن في الكوفة آبار صالحة للشرب طيلة الأعوام المائة الأولى، بل كانوا ينقلون الماء من شريعة الفرات وبعد زمن حفروا بئراً فوجدوا ماءها صالحاً للشرب فسميت بـ ((بئر علي)).

الجبانات المقابر

وإحدى الصفات المميزة لطوبوغرافية الكوفة، جباناتها ـــ أي مقابر العشائر والبطون ـــ وكانت الجبالنات تقع في خطط القبائل ونحن نعرف إحداهما جيداً وهي جبانة كندة، التي

فسحة واسعة، ليس فيها بناء أو عمارة، وكانت معدة للحشر والتجمع العسكري وغيرها من الإجتماعات العامة.

واليك قائمة لتلك الجبانات:

١ـ الجبانة باختصار: ولم يكن لها اسم خاص، وكانت تقع على الثويه، ويجتمع فيها القرشيون والثقفيون.

٢ـ جبانة عرزم الغزاري: ــ كانت لبني عبس ــ أما الشخص الذي سميت هذه الجبانة باسمه فكان رجلاً يصنع اللبن ويجففه هناك تحت الشمس.

٣ـ جبانة بشر الخشعمي ــ بطن من طي ــ.

٤ـ جبانة الآزد ــ أو جبانة مخنف: ــ بطن من الآزد ــ.

٥ـ جبانة سليم السلولي: ــ بطن من بني عامر بن القيس ــ

٦ـ جبانة مراد: ــ بطن من مذحج ــ

٧ـ جبانة كندة ــ كانت هذه الجبانة لكندة وربيعة ــ.

٨ـ جبانة الصانديين أو الصيداويين: ــ وهم من بطن من بني أسد ــ. ولم تكن هذه الجبانة لأحمر همدان بل للقيسيين لبني كلاب بن قيس.

٩ـ جبانة أثير: ــ الأسدي ــ وكانت هذه الجبانه أولاً لبني عبس ثم صارت للسكون و أحرق علي الغلات الذين كانوا يؤلهون في هذه الجبانة، وفي موضع المسمى (بصخر الأخدود).

١٠ـ جبانة السبيع ــ أو(جبانة الحشاشين): والسبيع بقطن من همدان من أصحاب الأقطاع والرئاسة، وهذه الجبانة كانت محلاً للإجتماعات المهمة وكان الوالي الحجاج قد اتخذ محل أقامته فيها كما أن الوزير العباسي الملقب بمولى السبيع قام بأخذ البيعة من أهل الكوفة في هذه الجبانة وأما جبانات بني يشكر وبني عامر وبني ميمون وجبانة يعقوب فتقريباً لانعرف عنها شئ.

الصحاري

وماعدا الجبانات كانت هناك أفنية وساحات واسعة تدعى بالصحاري منها:

صحراء عبد القيس.

وصحراء أثير ــ جبانة أثير ــ.

وصحراء شبث.

وصحراء بردخت.

وصحراء سليم ــ جبانةسليم ــ.

وصحراء بني قرار.

قطائع الكوفة

وبجنب الخطط (أو القطائع القبلية الجماعية) كانت هناك القطائع الشخصية فالخريطة رقم (١) تدلنا على الخطط المشتركة التي لم تكن قد تغيرت كثيراً، عدا أن قبيلة تميم التي كانت في الجهة الشرقية ــ قطيعة عبد الله بن دارم المتصلة بدير هند الصغرى ــ قد انتقلت إلى الجهة الغربية ــ قرب الكناسة، وذلك قبل سنة ٧٣ هج ــ كما أن قطيعة عبد القيس ألحقت بهمدان على أثر ارتحالهم إلى البصرة ــ بعد سنة ٤٠ هج ــ وخطة مهرة ــ بطن من قضاعة ــ ينبغي أن كانت في وسط المدينة. ويعطينا ياقوت للقطائع الخاصة قائمة لخمسة عشرة داراً ــ مساكن الوجوه ــ منها تسع عشرة للصحابة وإليك أسماؤهم:

طلحة ــ أو دار الطلحيين وكانت في الكناسة ــ والزبير وأسامة: وكانت داره واقعة بين دار عمرو بن الحارث الخزاعي حمو النبي وبين الجامع.

وسعد وابن أخيه هاشم بن عتبة وأبو موسى الأشعري وأخلافه من بعده وحذيفة العبسي وعبد الله بن مسعود وسلمان الباهلي والمسيب الغزاري وعمرو بن حريث المخزومي وجبير بن مطعم النوفلي وخالد بن عرفطة ــ حليف بني زهرة ــ والجناب الخزاعي: وكانت داره تقع على مفرق خنيس كدار هاشم بن عتبة وعمار بن عتبة الثقفي وعتبة بن عمرو الخزرجي وأبو جبير الأنصاري وعدي بن حاتم الطائي وجرير الجبلي والأشعث الكندي وأبو عبد الله الجدلي ــ الذي سكن البصرة مدة ملغياً حتى بعثه المختار إلى مكة.

وتضاف الفى دور هؤلاء دوربعض بني أمية كدار الوليد بن عتبة ودار أخيه عمارة، كذلك دار الفرات بن حيان العجلي وجابر بن عبد الله الأنصاري ودار أم هاني ــ أرملة هبير

المخزومي وأخت علي بن أبي طالب.

أما أقطاع الأراضي الزراعية بين الفاتحين في سواد الكوفة، ولما كانت الكوفة قد فتحت عنوة فلأجله كانت من أراضي الخراج بخلاف البصرة التي كانت أراضيها من أراضي الموت فأظن يجب أن نجعلها ثلاثة أصناف:

١ـ الأراضي التابعة لأهل الحيرة: تلك التي لم يشملها التوزيع بفضل معاهدتهم مع خالد وسعد.

٢ـ الأراضي الممسوحة الخاضعة لنظام الجباية الساسانية قبلاًـ والتي ذكرنا شيئاً عنها في المقدمة، فهذه الأراضي وقرأها وضياعها وزعت بين عمدة رؤساء القبائل.

٣ـ الأراضي الملكية الساسانية التي أقطعها عثمان لبعض الأشخاص كقرية نشاستج التي أقطعها لطلحة حسب رواية البلاذوي وطيناباد التي أعطاها للأشعث.

والجرفين ـــ ولا شك بأنها الشومية فصارت من حصت جرير الجبلي.

وضيعة زرارة ـــ نسبة إلى زرارة صاحب شرطة سعد التي صارت لوائل الخضرمي.

وقرية حمام أعين نسبة الى أعين حليف سعد فقطعت لخالد بني عرفطة.

وأصبينا التي أخذها عمار بن ياسر، وصعنبا التي صارت للخباب وهرمز التي قطعت لسعد بن مالك (أبو سعيد الخدري) ومن المحتمل أن تكون هذه المقاطعة طسوج هرمزجرد.

وأما قرية الروحاء ـــ العذيب ـــ فقد أخذها عدي بن حاتم.

ويظهر بأن أقطاع هذه الصوافي قد جرى قبل أيام عثمان لأن أبا عبيد الثقفي بطل معركة قس الناطف سنة ١٣ هج كان مالكاً لطسوج خطرنية القريبة من بابل وقد أورثها لابنه المختار والعزم على أقطاع الملطاط قد سبب عصيان النهلاء الذين كانوا قد حرموا من الأقطاعات في الكوفة سنة ٣٢ هج.

الطوبوغرافية الإقتصادية للكوفة

دار الرزق

تأسس في الكوفة منذ أول الأمر مخزن كبير يدعى (دار الرزق)، عند مخرج الجسر

المنصوب على الفرات وذلك بغية حفظ أموال الصدقات أو الغنائم قبل توزيعها بين المقاتلة وقد لعب هذا المخزن الذي كان يوجد نظيره في البصرة والغسطاس، دوراً أساسياً مهماً في الحركات والإضطرابات التي حدثت في الكوفة وبعد تأسيس دارالرزق نصبت سلسلة على رأس الجسر مقام مركز الكمرك على عهد الساسانيين بالقرب من المشنقة التي صلب عليها أبو الخطاب.

الأسواق

وأما الأسواق التي كانت تمتد من القصر و الجامع إلى دار الوليد بن عتبة من جهه، والقلانبدين من الجهة الأخرى، وإلى منازل ثقيف وأشجع من الجانب الآخر، وكانت سقوفها في بادئ الأمر من الحصر وظلت كذلك حتى زمن الوالي خالد القسري حتى عقدت بالأحجار، ومن المهم أن نصف وضع هذه الأسواق وترتيبها بالنظر إلى أنها صارت أنموذجاً وقدوة لسوق بغداد، كذلك كان ديوان المحتسب في السوق بين حوانيت الصيراف والسماسرة ونحن نعلم بأن نصر بن مزاحم المؤرخ الشهير سنة ٢١٢ هج قد تولى هذا المنصب طول المدة في إحدى الثورات الزيدية.

الصيارفة والسماسرة

أما حوانيت الصيارفة فكان مقابل مسجد بني حذيفة وهم بني نصر بن قعين الأسدي وفي جوارهم كان سماسرة العبيد ثم المكارية في جوانب الكناسة المحلة التي سوف نبحث عنها في فصل قادم، وقد لعب الصيارفة أدواراً مهمة في المؤامرات التي كانت تديرها الشيعة حيث كانوا يجمعون الأموال ويحفظونها لتقديمها للدعات ولم يكن ابن مقارن الذي أكد للمنصور سنة ١٤٥ هج وضمن له هدوء الكوفة إلا صيرفياً،ولنذكر بهذه المناسبة بأنه ينبغي أن نبحث في الكوفة عن منشأ تنظيم البنوك - ولقد بينا مع فيشل كيفية تطورها وانتشارها في بغداد في القرن العاشر من تأريخنا عندما كانت اليهود تؤدي ذلك أولاً والذين استولوا عليها نهائياً لأن الكوفة كانت تدير مباشرة المدائن تلك العاصمة السياسية والإقتصادية الكبرى على عهد الساسانيين حيث كانت الأقلية المسيحية هي التي تستطيع التحكيم بين الفرس

ذوي المسكوكات الفضية والبيزنطيين أصحاب المسكوكات الذهبية فعلى هذا كانت تجارة التبادل والصيرفة في أيديهم وكان أحد ولاة الكوفة الأسبقين ــ المغيرة ــ من قبيلة ثقيف التي أجازها النبي أن تتعاطى بالربى بصورة استثنائية.

وحقاً كان صيارفة للخيين قديماً أساقفة الحيرة ولكن بعده نرى ظهور بعض الصيارفة من المسلمين بالرغم من النهي الشرعي وكان هؤلاء على اتصال مع الصيارفة النصارى اليعاقبة الذين كانوا قد نزحوا من نجران فبلاد مذحج في اليمن وكانت حوانيتهم فقبل مسجد بني جذيمة والأسماء الواردة لأولئك الصيارفة أسماء رجال من الشيعة الذين كانوا يتسلمون الأموال والزكاة ويحفظونها سراً كي يرسلونها إلى الأئمة وبالأخص إلى الإمام جعفر بن محمد أو بعبارة أوضح كانوا جباة وعمالة للعلويين مستترين خلف جدار الصيرفة وإليك أسماء من نخص منهم بالذكر- سدير بن حكيم - الذي كان قد سجن وكان أبوه حكيم كذلك صيرفياً وهم من موالين بني ضبة.

معلى بن خميس الأسدي: الذي أعدم قبل سنة ١٥٠هج.

بسام بن عبد الله: الذي قتل سنة ١٣٨ هـج لتحزبه إلى إسماعيل بن جعفر الصادق وإسماعيل هذا هو أبو السلالة الفاطمية التي قامت بأفريقيا ومصر وأسست الدولة الفاطمية العلوية.

المفضل الجعفي: من مذحج أيضاً الذي أصبح بعد مقتل ابن أبي الخطاب، الوكيل السياسي للإمام جعفر الصادق ومكث في منصبه هذا حتى زمن الإمام موسى الكاظم.

ومن وجوه الشيعة الصيارفة في القرن الثالث: بنو الزبير وأبو سمينة الطاحي الأزدي وعبد الملك النخعي كذلك من مذحج وحوانيت الصيارفة ينبغي أنها كانت في أيام قريبة للمحلات المسيحية واليهودية وكان النصارى في أول الأمر منبثين بين القبائل التي ينتمون إليها ــ كعجل وبكر وتغلب ــ ولكن في القرن الثاني لم يبقى منهم تقريباً سوى النجرانيين والبلحارثيين من مذحج الذين أقاموا احتفالا فخماً في سنة ١٣٢ هج للفاتح العباسي، لأنهم كانوا من أخواله.

وكان بالكوفة دائماً يوجد أسقفان أحدهما فسطوري والآخر يعقوبي - كانا يسكنان دار

الروميين ــ لأن نصارى الكوفة ــ عاقولا بالسريانية كانت طائفتين:

١ـ نساطرة: وهم الحضر.

٢ـ يعاقبة: وهم البدو.

أما موقع محلة اليهود فكان بالقرب من النصارى، ولقد أشار بنجامن دوتيودل (Benjamin de tude) بأن كانوا يسكنون في جوانب الجسور وعلى مقربة من دار الرزق وبني يوسف ــ وذلك بعد أربعة قرون ــ ولكن مشتبه ومانع في زعمه هذا.

المهن التي ورد ذكرها

الصيارفة والصياغون: بالقرب من الجامع في جهة القبلة ــ الجنوب ــ

الوراقون: في ودعة الجامع ــ شماله ــ

التمارون والبقالون

أصحاب الأنماط والخز والقصارون في أطراف دار الوليد.

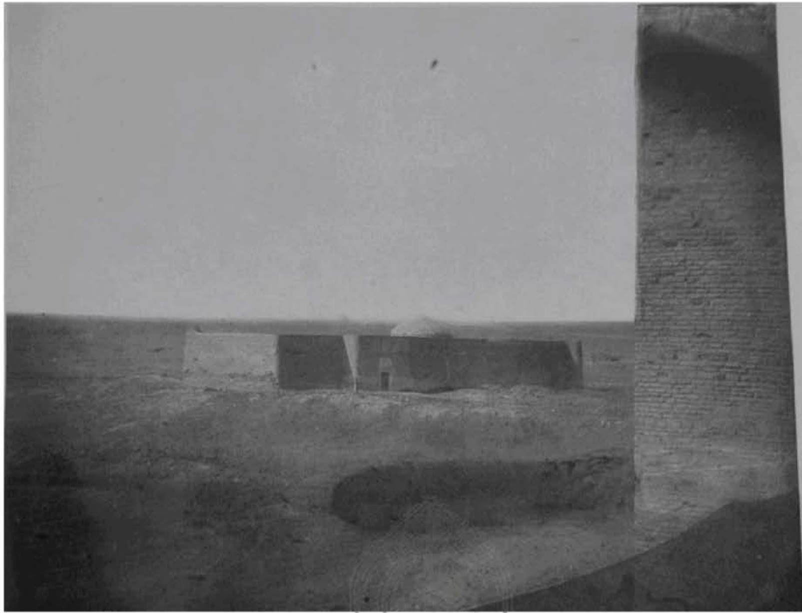
الجزارون والحناطون والسواقون ــ باعة السويق وهو طحين الشعير ــ ثم باعة الأزهار كالبنفسج والزنبق الأبيض ــ آزاد ــ

وحديقة أديرة الكوفة صارت متنزهات لأهل الكوفة وطالماً تغنى بها شعراؤها قبل أن يعرف شعراء بغداد هذا الضرب من النظم، وقد وجد في الكوفة بعض الرسامين، ما دام قد ورد بأن الرسامين الصينيين ((فأن - شن، وليو تسه)) كانا يقطنان بين سنة ٧٥١ م ٧٦٢ م في ((يا - كيو - لو)) عاقولا وهو الإسم السرياني للكوفة.

القصر والميدان

إن النصوص الواردة تجزم بأن موقع القصر في الواجهة الجنوبية من المسجد ــ مع انحراف قليل نحو الشرق ــ وتؤيدها الروايات المحلية، وقد جدد بناءه في زمن عبد الملك.

والميدان الذي كان يطل عليه القصر من الغرب ((وفي وسطه كانت مصطبة كبيرة معدة للإجتماعات)) وكان يسمى أيضاً ب(رحبة علي).



صورة تمثل بيت الإمام علي قبل ١٥٠ سنة

أما بيت علي الذي يؤمه الزوار، كما كانوا في زمن ابن جبير، فهو أثر محجى.

فهذا البيت الذي يقع خلف قصر الأمارة يمثل محلاً لاجتماع الشيعة للقيام بالعبادات والصلاة، ويحتمل بأن ذهاب رشيد الهجري ــ الشيعي المتطرف ــ إلى هذا البيت كان للعبادة وذكر الله في حضور علي، حسب رواية الشيعي. أما بيت المال فقد كان داخل القصر.



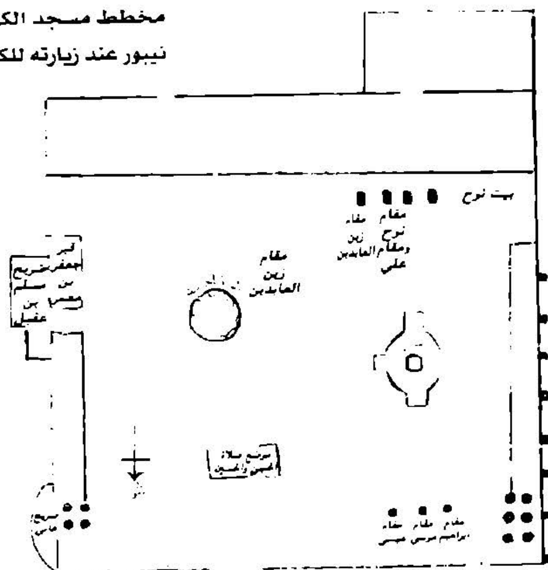
بيت الامام علي بن ابي طالب -ع- جوار مسجد الكوفة

وكان يوجد بالكوفة سجنان وقد رأينا بأن السجن القديم كان في غرب المدينة قرب الكناسة.

جامع الجمعه ومساجد المحلات

لقد وضع نيبور nibuhr خريطة للجامع والتي أرجع إليها ولكنه نسي أن بين باب الفيل في الشمال ــ وقد أجري فيه بعض الترميمات الطفيفة منذ سنة ١٩٠٨ ((راجع اللوحتين رقم ٤٣ و٤٤ في كتاب بعثتي))

مخطط مسجد الكوفة كما وضعه كارستن نيبور عند زيارته للكوفة سنة ١٧٦٥م - ١١٧٩هـ





الواجهة الامامية لمسجد الكوفة المعظم كما تبدو منذ حوالي قرن ونصف من السنين

وهنا أذكر بأن الكوفة قد صارت نقطة اتصال بين التأملات الدينية عند الغزاة الأسبقين وبين الأساطير الكلدانية القديمة فمثلاً: كان فيضان الفرات يذكرهم بالطوفان ولا يزال يرى

في المسجد موضع سفينة نوح والتنور الذي تدفق منه الماء.

وأما محراب علي والأسطوانات السبع فهي الأماكن المقدسة عند الشيعة والقرامطة كانوا قد وضعوا الكعبة فوق الأسطوانة السابعة ــ أسطوانة إبراهيم والقنوات التي كانت تجلب الماء من الفرات إلى سقايات الجامع، يظهر بأنها لم تكن موجودة في بدء الأمر ولا تؤدي وظيفتها كاملة مثلما كانت في زمن ابن جبير. ومع مايظن لامانس lammense لم تكن العبادات وإجراء الطقوس الدينية يوماً ما منحصرة بالمسجد الجامع الذي توسع منذ سنة ٥٠هج فجعله زياد أكبر وأجمل مسجد كانداراني إسلامي قبل أن يفطن عبد الملك في أن يجعل بيت المقدس والحجاج مسجد المدينة، ولا غزو في أن هذا المسجد كان محلاً روحانياً مشتركاً للأهالي جميعهم ونرى كيف أن والي الكوفة عند قيام زيد بن علي سنة ١٢١ هج احتال على أهل الكوفة وجمع في المسجد كافة الرجال اللانقين لحمل السلاح، كما ان عند دعوة ابي الخطاب سنة ١٣٨ هج قتل أصحابه السبعون في المسجد ولم ينج منهم سوى واحد.

ومن ابتداء تأسيس الكوفة كان هناك عدا المسجد الجامع عدة مساجد أخرى وهي:

أولاً: مساجد بطون القبائل كمسجد عبد القيس، ومسجد أحمس ومسجد بني قرن، وبني أود ومسجد السكون، ومسجد جعفر بن يسر ومسجد بني بني بهذلة ومسجد بني مرة من كندة ومسجد بني مقاصف من غطفان ــ ودار الؤلؤ، ومسجد فزارة ومسجد بني عدي ــ طي ــ ومساجد الكناسة أنظر إلى الفصل الآتي:

ثانياً: المساجد التي جعلتها الحوادث التأريخية تبعاً للتقاليد الشعبية صنفين:

١- المساجد الملعونة الأربعة وهي:

آ. مسجد ثقيف لأجل المغيرة بن شعبة الثقفي.

ب. مسجد الأشعث بن قيس الكندي، لخيانته في صفين.

ج. مسجد جرير بن عبد الله البجلي لحياده واعتزاله قبل وقعة صفين.

د. مسجد سماك بن مخرمة الهالكي الأسدي، وهو من البادية إلى الرقة قبل صفين.

٢- المساجد المقدسة الأربعة:

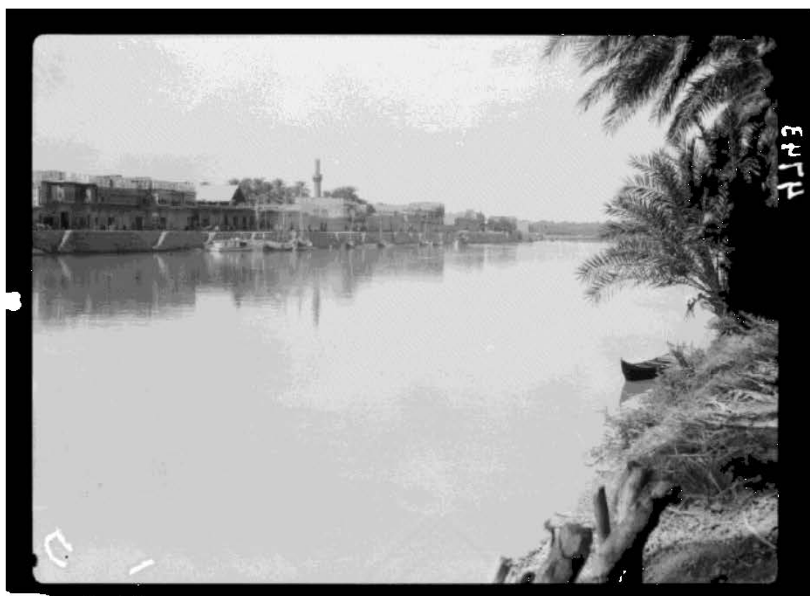
آ. مسجد السهلة وهو مسجد القرى الظفر الذي أشخصه بمسجد عبد القيس ويقال بأن الخضر كان يظهر فيه وصار هذا المسجد يقدس منذ ٢٨٦ هـ ولا تزال الشيعة تعتكف فيه حتى الآن.

ويقال أيضاً بأن بيت إبراهيم الخليل كان في هذا الموضع وسوف يكون ظهور المهدي من هنا ومن المهم أن نجد مسجدي صعصعة ابن صوحان وأخيه زيد بالقرب من هذا المسجد.

ب. مسجد جعفي من مذحج: وسبب تقديس هذا المسجد ربما تلك المواقف المشهودة والأدوار المشرفة التي قام بها الشيعه الثلاثه جابر والمفضلف وابنه محمد من أبناء هذه العشيرة في القرن الثاني الهجري.

ج. مسجد غني بطن من بني العصر من القيسين أما سبب تقديس هذا المسجد فغير معلوم.

د. مسجد الحمراء: الذي كان فيه بستان وهذه القبيلة الإيرانية كانت تحمل شعورً وعاطفة شيعية منذ أن دخلوا في الإسلام وأنا حتى الآن لم أبحث في الكتب الخاصة بالزيارات التي نسمع صداها في أخبار ابن بطوطة كما إني لم أراجع بعد الأحاديث والروايات التي تخصها.



صورة تمثل شط الكوفة ومن بعيد تظهر مأذنة جامع الحمرات التي هدمت

ضاحية الكناسة المندرسة

كانت أولاً كناسة لبني أسد أي محل رمي الأنقاض ـ مزبلة ـ لهذه القبيلة. عند مخرج الكوفة من الغرب، ثم أصبحت تجارة النقليات وصناعتها متمركزة هناك بطبيعة الحال لأنها كانت مناخة لأبل القوافل وموضعاً لتحميل البضائع وتفريغها، ونظير هذا المحل كان يسمى بالبصرة (المربد)، وكان يوجد هناك من ابتداء الأمر سوق البراذين ـــ وفيه قتل الأربد العني سنة ٣٧ هـ وفي هذا السوق كانوا يشترون ويستأجرون الحمير والبغال والإبل من نخاسة الدواب الذين كانوا بجنب الحدادين. ومن المحقق بأن نخاسة العبيد كذلك كانوا هنا. أما سوق الغنم فنستدل من رواية مصرع هاني بن عروة بأنه كان شرقي الكناسة على تخوم محلة مذحج.

والقبائل التي سكنت الكناسة هي:ـــ (عبس، وضبة، وبالأخص تميم ثم أصبحت ملجأ للـــنين يلتجؤون إليها كلما زاد تشيع أهل الكوفة حماساً وحنقاً على بني أمية.

ولما أنحطت الكوفة أضحت الكناسة ضاحية منعزلة مختصة بالسنة، كما يذكر لنا

المقدسي.

وفيها كانت منازل آل طلحة ــ من نسل ابنه موسى " ومساكن بطون قبيلة تميم " فبنو رياح كانوا يسكنون في الجهة الشرقية ــ والسكة التي كانت تمتد من الكناسة إلى السجن القديم سميت بـ (سكة شبث) نسبة إلى رئيسهم الخارجي شبث بن ربعي وبنو دارم كانوا يسكنون حيال بني رياح ــ وكان القادم من جهة القصر يرى دار رئيسهم بشر بن عطارد خلف دور بني أسد وكذلك كان بنو حمام وبنو الشيطان ــ حنظلة ــ يسكنون الكناسة وبعد زمن سكنت الكناسة بعض بطون بني أسد كلبني عوف وبني حرام وليس بني خزام الذين كان آل جابر الأنصاري الحواري الشيعي قد اختفوا في منازلهم، كما الشيعي المتطرف (المغيرة) كان يتردد هناك على الشيعيين الأحمس وصفوان بن مهران.

وسكن الكناسة أيضاً بنو هالك، رهط سماك بن مخرمة خصم العلويين ـ وكان لهم هناك مسجد وفي هذه المحلة كانت قد سكنت بنو الكاهل ـ الذين كان أبو الخطاب داعية الإسماعيلية والنصيرية من مواليهم، وفيها كان عمير أحد أتباع أبي الخطاب قد نصب خيمة للعبادة والإعتكاف وإني لأعتقد بأن كان في بني الكاهل عدد كبير من الموالي الذين كانوا قد أسسوا لهم مسجدا دعي بمسجد الموالي قد جلب كولد زهير الأنتباه حول هذه التسمية الخاصة المنفردة والروايات الشيعية تخبر بأن عند ظهور القائم سوف تنزل صاعقة من السماء فتحرق المواقع الرجسة في الكوفة المقدسة مبتداءه بالكوناهة ثم محلة ثقيف في شمال الجامع وبستان زائدة بن قدامة الثقفي في الثوية وبعده تحرق دار أسعد بن همام الشيباني آل ذي الجدين سيد بكر الذي كان رهطه من الخوارج وأخيراً داري بني أمية الوليد بن عقبة وأخية عمارة بالقرب من الجامع ثم يأتي القائم وينزل في الجامع ويضع خزينته في مسجد السهلة ويعم بغداد الخراب فتصبح الكوفة ملكة الدنيا بعد أن كانت دار هجرة المؤمنين الحقيقيين ومحل انتظارهم وحسب حديث سليمان (الكوفة قبة الإسلام: وسوف يأتي زمان لايوجد مؤمن حق إلا من سكن الكوفة أم اشتاق إليه قلبه)، لأن الكوفة مدينة الإسلام حيث تأملوا في حديث المباهلة ذو المعنى العميق فتمسكوا به بكل معناها الحقيقي الشرعي.

ضاحية النجف(مشهد علي)

كان اسم النجف (أو نجف بكسر النون: تل أو سليان) يطلق قديماً على الجزء الغربي المطل على البحيرة المالحة من ذلك اللسان الذي تقع الكوفة في النقطة الشمالية الشرقية منه في جهة الفرات وهذه الذروة سارت في عصر اللخميين تسمى بالغري حيث كان الأمير ماء السماء قد نصب عليها عموديين الغريين وعلى مقربة منها تأسست القرية المسيحية التي سميت (بدومة الحيرة) وحوالي عام ٢٨٠ هـ/ ٩٠٢م حظي الداعي الزيد الدليمي زيد بن محمد ٢٧٠ـ ٢٨٧ هـ بتشييد قبة أجلالاً لعلي المدفون هناك وزاد في بناءها وعمارتها أبو الهيجاء الحمداني ٣١٧هـ.

وفي حكم البويهيين أصبحت هذه القبة كعبة الزوار ومنذ ذلك العهد أخذت الأسر العلمية الشيعية في الكوفة تتنقل إلى الغري وتقطنها، أما مقبرة النجف (وادي السلام) فمقدسة كمقبرة وادي الصفاء بكربلاء وللنجف خريطة متقنة وضعها نيبور niabuhr، فأفادتني كثيراً في أيام أقامتي بالنجف من ١١ ـــ ١٧ مارت ١٩٠٨ وإليك وصف محلاتها الأربع حسب ملاحظاتي حين ذاك:

١ـ محلة تكنها عشيرة الشمرت تسمى المشراق: في الشمال بين باب البحر القديم (المسمى اليوم بباب الثلمة) وباب الصغير.

٢ـ ثلاث محلات واسعة لعشيرة الزكرت وهي العمارة: وتشمل الجامع وسوق القاضي والحويش ـ الصغير والكبير ـ في الجنوب والبراق مع سوق الكبير في الشرق.

وعند عودتي سنة ١٩٣٤ وجدت النجف لم تتأثر كثيراً من جراء انقطاع الزوار الإيرانيين عنها منذ سنة ١٩٢٥ بخلاف كربلاء.

والنجف بلدة بدوية محظه وعربية بحته وهناك محلتان جديدتان لازالتا في دور التشييد أحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب وتقعان عموديا على البحيرة المالحة بالرغم من أن البلدة القديمة لم تزل قذرة جدا توجد هناك أنابيب تجلب إليها الماء من الفرات بينما في سنة ١٩٠٨ لم يكن هناك سوى الآبار ومجرى صغير من الماء الكدر (جدول النجف) وكانت عديمة الزرع والخضرة.

المصادر

إن الكتب التي إنفردت لوصف الكوفة وبالأخص كتاب الهيثم ابن عدي (+ ٢٠٧ هـ) ليست معروفة لدينا سوى عناوينها وبعض الروايات عنها، فالجغرافيون العرب قد زهدوا كثيراً في الأسباب عن وصف الكوفة، ما خلا بضعة روايات متفرقة، وأما المعجم الذي وضعه ياقوت وإن جاء متأخراً إلا أنه ثمين جداً، وعدا ما ذكر فليس لدينا مانعتمد عليه غير مضمون من كتاب فتوح البلدان لأحمد بن يحيى البلاذري (+٢٧٩هـ) التي عنونها بـ ((تمصير الكوفة)) فنجد فيها (١٥٠) اسماً من أسماء الأماكن، ثم الصحائف الثلاث لليعقوبي (+٢٧٨هـ) حول اختطاط الكوفة (وهي قائمة تخص تخطيط منازل الصحابة وكثير من القبائل مع أسماء الجبانات)).

ولأجل البحث والتحقيق عن الجداول والقوائم التأريخية والأدبية كان ينبغي لنا التتبع المستمر البحث الطويل، لأن الجدول الجغرافي الموجود في كتاب الأغاني ليس فيه سوى(١٥)اسماً تخص الكوفة ولكن الطبري يعطينا (١٢٥) اسماً للأماكن الكوفية، منها (١٠) للجبانات و(٦) للحمامات و(٤٤) للدور و(٥) للأديرة و(٧)للسكك و(١٨)للمساجد وكان دليلنا الوحيد للرجوع في الترسيم الطوبغرافي هو المصدر الذي استخرج الطبري منه الحوادث التي وقعت في الكوفة، كحركة حجر سنة ٥١هـ، وقيام مسلم بن عقيل سنة ٦٠ هـ وحركات المختار العسكرية في سنتي ٦٦ـ٦٧ هـ وحركة شبيب سنة ٦٧ هـ وقيام زيد بن علي في سنتي ١٢١ـ ١٢٢ هـ وابن معاوية والضحاك سنة ١٢٧ هـ وهذا المصدر هو المؤرخ الزيدي لوط بن سالم الغامدي الأزدي (+ ١٥٧ هـ)، وهو أيضاً المصدر الأساسي لمشارة الصحابة فهذا المؤرخ الذي يعتمد عليه الطبري ويعرفه حسب أحصاء هشام الكلبي (الذي فضله على الهيثم بن عدي ــ لمناسبة زيد ـ)، قد استعمله نصر بن مزاحم المنقري التميمي (+٢١٢هـ) لوضع كتاب المختار بعد أن قام ببعض التعديل وربما كان أبو حنيفة الدينوري قد الأخير نصر ويظهر بأن المتتبعين أخذوا يهتمون بالموضوع أي موضوع الكوفة، فطفقوا يكتبون وينشرون إلا أني لم أستطع أن أخذ رأياً من بحوث الشيخ علي الشرقي التي نشرت في مجلة الإعتدال النجفية ١٩٣٢ ولا من البحوث غير المنشورة للسيد سليم الأعظمي

ولكن كتب لي (آ - كوهنل e.kuhnel) بأن الدكتور (طالبوت رايس telbot rice)، كـان قـد عثر على بعض الأواني التي تعود إلى العصر الأموي وذلك في أثنـاء تنقيبـه عـن الآثـار فـي الحيرة فأعطتنا بعض المعلومات عن الكوفة.

ملاحظة حول طوبوغرافية البصرة

بما أن الحياة الإجتماعية والسياسية في المدينتين الشقيقتين ((العراقين)) كانـت مرتبطـة ارتباطاً وثيقاً فعلينا أن نكتب بضعة أسطر عـن الثانيـة ((البصـرة)) ولا نقصـد بالصـرة البلـد الجديد الذي يرجع تأريخ تأسيسه إلى القرن السابع عشر الميلادي، الذي ذكرنا شيناً عنه في الجزء الثاني من كتاب ((بعثتي)) عقب زيارتي في سنة ١٩٠٧م (من ٨ـــ ١٥ كـانون الأول) يلي المدينة القديمة التي تبعد مسافة ساعتين من البصرة الحالية إلى الجهة الجنوبية الغربيـة منها والتي لم يبقى منها سوى عدة قبور متفرقة وبعـض الآثـار الدالـة علـى محيطهـا كانـت البصرة قد تمصرت سنة ١٧ هـ من الدساكر السبع:

١ـ البطينة: في الوسط.

٢ـ الحدانة: في الغرب.

٣ـ هداد:في الشرق.

٤ـ الزابوقة:في الشرق.

٥ـ الخريبة: في الجنوب (وهناك كانت وقعة الجمل سنة ٣٦ هــ بـين الجبانـة ـ المقبـرة الكبرى ـ من الجنوب الغربي ومقبرة بني حصن والمسناة من الجنوب الشرقي).

٦ـ السبخة: في الشرق وكانت هذه الدسكرة تتصل بالقرضة (اليورت) القريبة من الجسر ودار الرزق بين محلات القلعة).

٧ـ الزاوية:في الجنوب وكان الطريق التجـاري الكبيـر يختـرق البصـرة مـن الغـرب إلـى الشرق أي من المربد (محل أناخة الأبل وتفريغ البضائع) إلى القرضة ـــ البورت ـــ والبصـرة كانت منقسة إلى خمسة مناطق عسكرية قبلية تدعى (الأخماس).

أـ بكر: في الوسط الشرقي (البطينة والزالبوقة).

ب ـ عبد القيس: في الشرق والشمال الشرقي بالقرب من البورت.

ت ـ تميم: في الغرب والجنوب الغربي من المربد إلى الجامع مع مقبرة بني مازن من قبيلة قيس مؤسيسي البصرة في الجنوب الغربي.

ث ـ الآزد: في الشمال الغربي (حدان وهداد).

ج ـ أهل العالية: وهم أصحاب المناصب والموظفين والقيسين والقرشين في الوسط (بين الجامع والبطينة).

وبنو سعد من تميم كانوا قد عقدوا حلفاً مع الفرسان الأساورة الفارسيين كما أن بني حنظلة من تميم أيضاً قد تحالفوا مع الزط والسايجة وهم الطبقات السفلى من الإيرانيين، وبينما كانت قبائل بكر وبالأخص عبد القيس شيعية نرى قبائل تميم بعد أن تنضم إلى القيسين تعطي للبصرة صبغة سنية عنيفة.

الرابطة السياسية في بطون القبائل الكوفية والبصرية ولدى ارؤساء من العنصر العربي المحض

تميم: كانت بطونها على العموم سنية وخاصة بني دارم (وفي الكوفة عطارد الذي سبب عزل الوالي عمار وابنه بشر كان ضد علي)، وبني عمرو البصريين ولكن بني سعد الذين كانت لهم الأقلية في الهجر فاختلاطهم مع الإيرانيين جعلهم يميلون إلى التسوية (redicele) أي كانوا يتطرفون إلى أحد الجانبين فأما إلى تشيع الحمراء الكوفيين وأما إلى الخارجية (في البصرة: حرقوص (وبني حنظلة الذين تخالطوا كذلك مع الإيرانيين بالتحالف أمسوا مذبذبين بين هذين الجانبين (صابغ بن عسل في البصرة، وضابي بن الحارث وشبث بن ربعي وأصبغ بن نباتة في الكوفة).

أسد: كانوا ضد التشيع (في الكوفة طليحة) ولكن بني غاضرة الذين يملكون أراضي كربلاء.

قاموا بدفن جثمان الحسين، وأما قائمة أسماء الشيعة من موالي بني أسد فطويلة جدا ولا سيما موالي بني الكاهل.

بكر: كانت في بطونها الكوفية على الأغلب ضد الشيعة، وبالعكس بطونها البصرية كانت شيعية (ففي الكوفة: بنو شيبان وبنوذهل عدا منصور الميتنير. وفي البصرة ابن نصير مؤسس

النصيرية).

خزاعة: كانوا من الشيعة الأسبقين (عمرو بن الحمق وسليمان بن صرد) وصارو فيما بعد من الموالين لبني العباس لأنهم كانوا كذلك شيعة في ابتداء الأمر(قبل سنة ١٢٢هـ).

عبد القيس: كان هؤلاء يتشيعون من قبل سنة ٣٠ هـ (بنو الذيل، رهط أبناء صوحان) وقد ثبتوا في تشيعهم (وفي البصرة: بنو العمور).

مذحج: كانت بطونها كلها شيعية (من النخع: الأشتر وكميل وبطون جعفي وأود مراد) عدا الأشعريين حيث كانوا محايدين، والبلحارثيين الذين أمسوا خوارج سنة "٤١هـ" ثم أنصار بني العباس (سنة ١٣٢هـ).

كندة: كانوا جميعهم شيعة (في الكوفة حجر) ولكن تشيعاً البيا دينيا.

همدان: كانت كافة بطونها شيعية على الإطلاق، شديدة التشيع ومشغوفة به (من بني الحوت: الحارث ومن بني وادعة: سعد بن وهب) ونساء همدان قد أقمن المآتم والمناحات على الحسين جباراً، وكان الهمدانييون يشتركون في جميع الثورات الزيدية اشتراكاً فعلياً (أبو الجارود وحسن بن صالح بن حي) كما أنهم ساهموا القرامطة في ثوراتهم (منصوراليمان) وفقط بطن من بطونها (بنو ناعط) صاروا عثمانية إلى أجل وذلك للكراهية التي حصلت بينهم وبين السبيعيين (ويستثنى منهم سعيد بن نمران وليلى).

بجيلة: كانت هذه القبيلة من أول الأمر مخاصمة للشيعة (جرير) وكان منهم رجلان شيعيان هما حبة العرني تلميذ عمار بن ياسر والمغيرة أحد مواليهم.

وقد عد الشاعر الشيعي معدان السميطي (١٦٠هـ) بيتين من الشعر القبائل التي كانت دوما ضد الشيعة وهي باهلة (من قيس) وبطون الخلفاء الثلاث الأولين القرشيين وثقيف (عدا المختار وآل عمه سعد بن مسعود) وتغلب وهلال (البيان والتبيين للجاحظ ج٣ ص١٧٦).

المستشرق الإنجليزي كي لسترنج
(guy le strange)[1]

في النص الذي اقتطفناه من الكتاب المذكور يتطرق كي لسترنج لموقع الكوفة التاريخي ويصف المسجد الجامع بالكوفة ويتطرق إلى أهمية الكوفة وما يتاخمها من مدن هامة كالحيرة والقادسية ثم يتطرق إلى موقعها من النجف فيتلكم عن مشهد (أمير المؤمنين عليه السلام) ويستعرض ما قاله فيه ابن بطوطة وابن حوقل والمستوفي ويختم كلامه بمشهد كربلاء المعظم، وهذا ما دونه البحاثة المذكور:

أسس المسلمون مدينة الكوفة عقيب فتحهم بلاد العراق بعد أن بدأوا ببناء البصرة أي في نحو سنة ٦٣٨/١٧ م أيام عمر بن الخطاب واختطت الكوفة لتكون معسكراً للجيش في الجانب الغربي من الفرات أي جانب البادية، وقامت على بسيطة واسعة من الأرض على ضفة النهر جوار الحيرة المدينة الفارسية القديمة، ثم تكاثر الناس في الكوفة وحين قدم إليها الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في سنة ٣٦هـ /٦٥٧م وأقام فيها صارت مدة أربعة سنين عاصمة المسلمين الذين والوا علياً وبايعوه بالخلافة وقد اغتيل الإمام علي (عليه السلام) سنة ٤٠هـ /٦٦١م في جامع الكوفة ووصف الإصطرخي مدينة الكوفة في المئة الرابعة (العاشرة) فقال: إنها قريبة من البصرة في الكبر وهوانها أصح وبنانها مثل بناء البصرة، وكانت أسواقها عامرة، إلا أنها دون أسواق البصرة شأناً، وكان المسجد الجامع الذي فيه أصيب الإمام علي (عليه السلام) بضربة قاتلة في شرقي المدينة.

---

(١) المستشرق الانجليزي كي لسترنج (١٨٥٤-١٩٣٣) و كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) الذي يتناول بشكل خاص صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسيا الوسطى منذ أيام الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور يعد من الأعمال غاية في الأهمية وقد تناول الكوفة في ص ٩٦ من طبعة الحيدريى.

وفيه السواري من صم الحجارة المنحوتة التي نقلت من المدينة الحيرة المجاورة وكانت قد خلت عن الأهل ببناء الكوفة، ومن محلات الكوفة الكبيرة (الكناسة)، في طف البادية وحولها بساتين النخيل وتمرها أجود التمور ولما مر ابن جبير في الكوفة في سنة ١١٨٤/٥٨٠م كانت لا سور لها فقد استولى الخراب على أكثرها والجامع العتيق أخرها.

وذكر ابن بطوطة في المائة الثامنة (الرابعة عشرة) أن سقف جامع الكوفة يقوم على سواري حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً ووضع بعضها على بعض وأفرغت برصاص، وبهذا المسجد محراب يعين موضع مقتل علي (عليه السلام)، وسرد المستوفي حديثاً طويلاً عن الكوفة فقال: إن ذرع اسوارها ١٨٠٠٠ خطوة، وقد بناها المنصور العباسي، وكان قصب السكر فيها أجود ما في سائر العراق، ويكثر فيها القطن وكان في سارية من سواري الجامع علامة كف علي وفيه أيضاً الموضع الذي فار من التنور حين طوفان نوح.

وعلى دون الفرسخ من جنوب الكوفة، اطلالة الحيرة وكانت مدينة عظيمة في أيام الساسانيين وبالقرب منها القصران المشهوران (الخورنق والسدير).

وقد بنى النعمان ملك الحيرة قصر الخورنق على ما قيل للملك بهرام جور الصياد العظيم، وحين استولى المسلمون على الحيرة في أثناء العراق، هالهم قصر الخورنق بما كان فيه من أبهاء فسيحة، واتخذه الحكام بعد ذلك موضعاً ينزلون فيه أثناء خروجهم للصيد ومع أنه لم يبق من هذا القصر الآن على ما يظهر، إلا أن بقايا قبابه الضخمة وبعض عماراته ما زال شاخصاً حين مر به ابن بطوطة في مطلع المائة الثامنة (الرابعة عشرة) وكانت القادسية مدينة على سيف البادية، على خمسة فراسخ غرب الكوفة، وهي أول مرحلة في طريق الحج إلى مكة، وكان حولها نخيل وبساتين وبالقرب منها أحرز المسلمون سنة ١٤ (٦٣٥) نصراً عظيماً في أول وقعة كبيرة جرت لهم مع الفرس أسفر عن استيلائهم على العراق.

ووصف المقدسي القادسية - وتسمى قادسية الكوفة تميزاً لها عن قادسية سامراء على دجلة - بأنها مدينة تعمر أيام الحج ولها بابان وحصن طين، وقد شق لهم نهر من الفرات إلى

حوض على باب بغداد وعند باب البادية، الجامع وأمامه كانت تقام السوق في أيام الحج[١].

ولما اجتاز ابن بطوطة بالقادسية في المائة الثامنة (الرابعة عشرة) كانت قد اضحت قرية كبيرة وذكر المستوفى أن معظمها في أيامه خراب.

والنجف وفيها مشهد علي الذي يكرمه الشيعة ويقدسونه، على نحو أربعة أميال من غرب خرائب الكوفة وهي مدينة عامرة إلى يومنا هذا والمتواتر لدى الشيعة على ما ذكر المستوفي إن الإمام علياً لما ضرب في جامع الكوفة وحضرته الوفاة أوصى بأن يوضع جثمانه على جمل ثم يطلق على رسله وحيثما يبرك تدفن جثته هناك، فعمل بهذه الوصية.

ولكن في أيام بني أمية لم يشيد له قبر إذ كان الموضع قد أخفي، على أنه في سنة ٧٩١/١٧٥م اهتدى إلى موضعه الشريف هارون العباسي فإنه خرج راكباً ذات يوم إلى ظاهر الكوفة يتصيد وطارد صيده إلى كثيب فلما لحق به توقف فرسه عنده.

فطلب من له علم بذلك فأخبره بعض شيوخ أهل الكوفة أنه قبر علي ابن أبي طالب تلجأ إليه حتى وحوش البر فلا ينالها أذى، ثم إن الرشيد أمر بحفر الموضع واظهر قبر علي، وعلى ما ذكر المستوفي بني عليه قبة، وأخذ الناس في زيارته، وبدء تأريخ هذا المقام مبهم، وما اوردناه انما هو ما تفق عليه الشيعة على أن هارون الرشيد وأنه قرب إليه العلويين حقبة من عهده، فإن تواريخ العرب لم تذكرأنه هو الذي وقع على قبر علي.

وأقدم من أطال القول في مشهد علي، ابن حوقل، في منتصف المائة الرابعة (العاشرة) فقد أخبرنا أن الأمير الحمداني ابها الهيجاء - وكان أمير الموصل في سنة ٢٩٢ (٩٠٤)

---

(١) ما قاله المقدسي بصدد الجامع ص ١١٧ في القادسية: ماء آخر يجرونه عند باب البادية أيام الحج وهي سوق واحد الجامع فيه (م) ابن سرابيون ١٠و١٦ قدامة ٢٣٣: المسعودي: التنبيه ٥٢، الإصطخري ٨٢، ابن حوقل ١٦٢و١٦٣، المقدسي ١١٦و١١٧، ياقوت ٢:٤٩٢، ٣:٩٥، ٤:٣٢٢،ابن جبير ٢١٣، ابن بطوطة ١:٤١٤، ٢:١و٩٤، المتوفى ١٣٣و١٣٨و١٤٠ لم تكن البحيرة الواسعة الضحلة – المعروفة ببحر النجف – الممتدة غرب بقايا الكوفة القديمة ومشهد النجف في العصور الوسطى، وكان طريق الحج من الكوفة إلى مكة يجتاز ما قد صار قعراً لها الآن.

وتوفي في سنة ٤١٧ (٩٢٩) ابتنى على القبر قبة عظيمة مرتفعة الأركان من كل جانب لها أبواب وسترها بفاخر الستور وفرشها بثمين الحصر الساماني.

وجعل عليها حصاراً منيعاً، على أن الإصطخري وابن حوقل ذكرا إن قبر علي في أيامهما كان في زاوية جامع الكوفة الكبير وقد أيد ذلك كثير من الثقافات وعززه غيرهم من المصنفين[١].

وزاد المستوفى على ذلك قوله: إن في سنة ٣٦٦ (٩٧٧) شيد عضد الدولة البويهي الضريح الذي ظل قائماً حتى أيامه (أي في أيام المستوفي) وأصبح الوضع حينذاك مدينة صغيرة محيطها ٢٥٠٠ خطوة، جاء في تأريخ ابن الأثير إن عضد الدولة دفن فيها عملاً بوصيته ودفن فيها أيضاً أبناه شرف الدولة وبهاء الدولة واقتفى أثره بعده كثير من أعيان القوم، وفي سنة ٤٤٣ (١٠٥١م)أحرق أهل بغداد الضريح وأزالوا أثره[٢] وكانوا يشتدون في اضطهاد الشيعة على أنه سرعان ما أعيد بناؤه فقد زاره ملكشاه ووزيره نظام الملك في سنة ٤٧٩ (١٠٨٦).

وحينما كتب المستوفى في المائة الثامنة (الرابعة عشرة) قال: إن غازان الايليخاني، كان استحدث في مشهد علي داراً للسادة سميت بدار السيادة وأنشأ خانقاه (تكية للصوفية) وذكر ياقوت قبل المستوفي بقرن إن النجف بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ولكنه لم يشر إلى المشهد وقدم الرحالة ابن بطوطة إلى النجف في سنة ٧٢٦

---

(١) جاءت في الإصطخري (ص٨٢) وقريب من الكوفة قبر علي (عليه السلام) وقد اختلف في مكانه فقيل: إنه في زاوية على باب جامع الكوفة أخفى من أجل بني أمية، ورأيت في هذا الموضع دكان علاف، ومنهم من زعم أنه من الكوفة على فرسخين وعليه قنطرة (وفي نسخة ثانية: منظرة) وآثار المقابر. وقال ابن حوقل (ص١٦٣ ذي غويه = ٢٤٠كريمرز) وبالكوفة قبر أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، ويقال: إنه بموضع يلي زاوية جامعها وأخفى من أجل بني امية خوفاً عليه، وفي هذا الموضع دكان علاف ويزعم أكثر ولده أن قبره بالمكان الذي ظهر فيه قبره على فرسخين من الكوفة.

(٢) حادثة الأحراق جرت على قبر الإمام موسى بن جعفر كما في كامل ابن الأثير والمنتظم لابن الجوزي وكما ذكره نفسه لسترنج نفسه في كتابه عن بغداد.

(١٣٢٦) فقال في مشهد علي عليه السلام: إنه مدينة حسنة ودخله من باب الحضرة الفضة المؤدي رأساً إلى الضريح وأطنب في وصف أسواقها ومدارسها الجليلة كما أشاد بجامعها وفيه ضريح الإمام علي وكانت حيطانه بالقاشاني.

وذكر أن المقعدين كانوا يبرأون من عاهاتهم في الروضة وسرد كشفاً بكثير من قناديل الذهب والفضة التي نذرت لها، وذكر أيضاً أنها مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه[1].

ووصف الضريح نفسه فقال: في وسط القبة مصطبة مربعة مكسوة بالخشب عليها صفائح الذهب المنقوشة والمحكمة العمل المسمرة بمسامير الفضة، ويفضى إلى الضريح أربعة أبواب على كل باب ستار وعتبة وعليه ستور من الحرير الملون، وختم ابن بطوطة حديثه بذكر الكرامات التي يضفيها الإمام علي على المؤمنين الصادقين.

أما كربلاء أي مشهد الحسين عليه السلام فعلى ثمانية فراسخ من شمال غربي الكوفة وهي تعين موضع الوقعة التي استشهد فيها الحسين بن علي حفيد الرسول مع جميع آله وذويه تقريباً في سنة ٦١هـ (٦٨٠) ويزور الشيعة اليوم مشهد الإمام الحسين عليه السلام أكثر ما يزورون مشهد علي عليه السلام.

ولا علم لنا بأول من بنى هذا المشهد، إلا أن هناك ما يدل على وجود بناية فيه منذ المائة الثالثة (التاسعة) فان المتوكل العباسي وهو الذي يمقته الشيعة مقتاً لم يضعف على مرور الزمن أمر في سنة ٢٣٦ (٨٥٠) بهدم قبر الحسين وبسقي موضع قبره ومنع الناس من إتيانه وتهددهم بالعقاب أن زاروه.

وذكر المستوفي في وصفه قصور سامراء، إن هذه الأساءة التي اوقعها المتوكل العباسي قد جوزي عليها فلم ينجز بناء قصر واحد من قصوره التي ابتناها في سامراء، بل أصابها ما أصاب قبر الحسين على يده، ولا يعلم كم بقي هذا الموضع خراباً، إلا أن عضد الدولة البويهي بني فيه سنة ٣٦٨ (٩٧٩) حضرة جليلة ولا ريب ان اتساع هذا البناء قد تنبه إليه الإصطخري وابن حوقل البلدانيان اللذان كتاب قبل هذا التأريخ بمدة قصيرة.

---

(١) الإصطخري ٨٢: ابن حوقل ١٦٣، المقدسي ١٣٠، ابن الأثير ٩:١٣ و٤٣ و١٦٩ و١٩٤، ١٠، ١٠٣، المستوفي ١٣٤، ياقوت ٤:٧٦٠ ابن بطوطة ١: ٤١٤- ٤١٦.

وفي سنة ٤٠٧ (١٠١٦) احترقت قبة مشهد الحسين ولكنها جددت بعد فترة وجيزة على ما يظهر فان ملكشاه زار مشهد الحسين في سنة ٤٧٩ (١٠٨٦) حين خرج متصيداً في تلك الأنحاء ومما يؤسف عليه ان ياقوتا الحموي لم يصف الضريحين في كربلاء بل إنه ذكر عرضاً (الحائر) وهو السور الذي يحف ضريح الحسين.

وتكلم المستوفي في المائة الثامنة (الرابعة عشرة) على مدينة صغيرة كانت قد نشأت حول الروضة وقل: إن محيطها نحو ٢٤٠٠ خطوة ووصف معاصره ابن بطوطة المدرسة العظيمة التي زارها هنا وقال: على باب الروضة الحجاب والقومة، لا يدخل أحد إلا عن إذنهم فيقبل العتبة الشريفة، وهي من الفضة وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة، وعلى الأبواب أستار الحرير، وزاد ابن بطوطة على ذلك ن أهل المدينة في قتال أبداً، ولأجل فتنهم تخربت هذه المدينة على أنها كانت تخف بها بساتين النخيل وتسقيها كأنهار تأخذ من الفرات[1].

(١) الاصطخري ٨٥، ابن حوقل ١٦٦، المقدسي ١٣٠، ياقوت ٢: ١٨٩، ابن بطوطة ٢، ٩٩، ابن الاثير ٣٦:٧: ٨.

المؤرخ التركي المطراقي

قاد السلطان العثماني سليمان القانوني حملة لفتح العراق سنة (٩٤١هـ - ١٥٣٤م) وقد انطلقت حملته من القسطنطينية مروراً بكوتاهية فقونية، فوان، في الأراضي العثمانية، ثم تبريز فهمذان، فقصر شيرين، فبغداد، وصولاً إلى الحلة فالنجف، فالكوفة، فكربلاء، من الأراضي التي كانت تحت سيطرة الدولة الصفوية وقد صحبه في هذه الحملة المؤرخ التركي نصوح السلاحي الشهير بمطراقي زاده المتوفي بعد سنة ٩٦٨هـ ودون بعض ما جرى في هذه الحملة في كتاب حمل اسم (بيان سفر العراقيين) وكان قد فرغ من تدوين كتابه سنة ٩٤٥هـ والكتاب المخطوط بمكتبة يلدز تحت رقم ٣٥، وقد نقل بعد ذلك إلى مكتبة جامعة إستانبول وسجل تحت رقم ٥٩٦٤ ونشر مصوراً عن الأصل في أنقرة سنة ١٩٧٦م تحت عنوان: nasuhus-silahi matrakci

beyan-ı menazili sefer.i irakyn.i suleymanhan dr.huseyin g.yurdaydin بعناية الدكتور حسين يورداين.

وقد نشرت ترجمته العربية في أبو ظبي ضمن مطبوعات المجمع الثقافي سنة ٢٠٠٣ بتعريب صبحي ناظم توفيق وتحقيق د. عماد بعد السلام رؤوف.

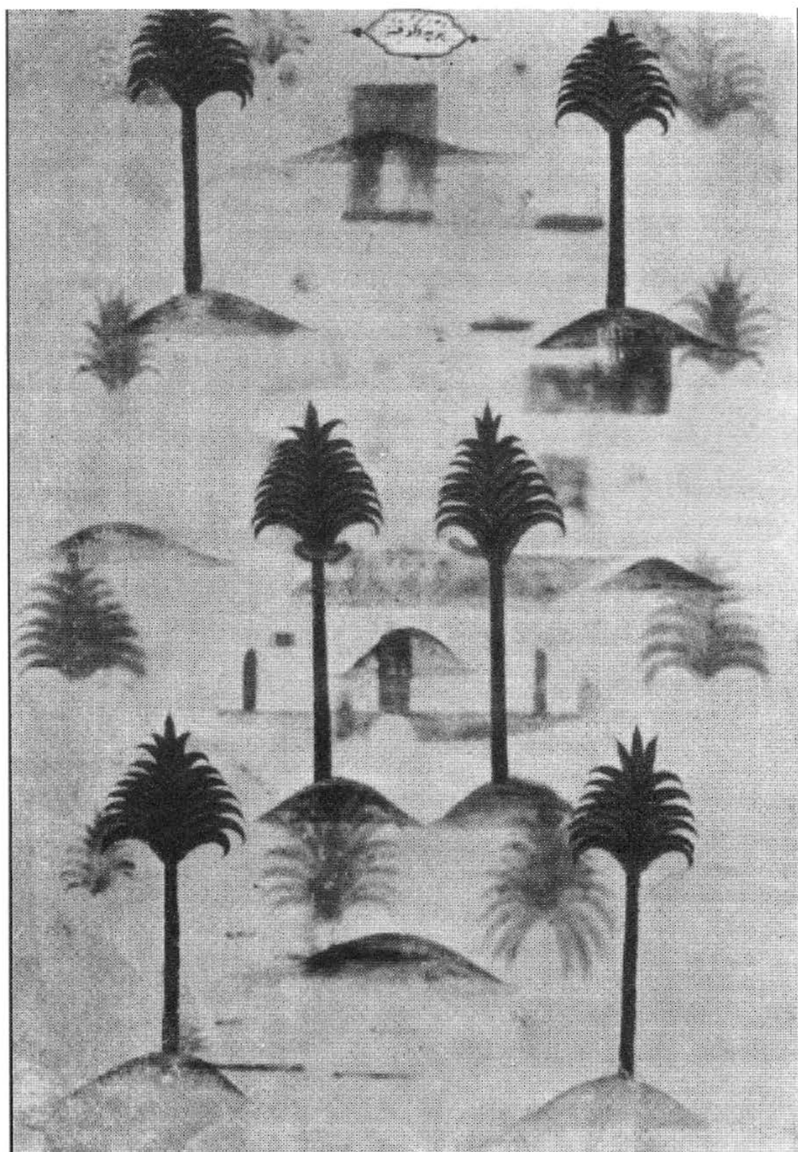
زار السلطان سليم كما يذكر المؤلف المطراقي المشاهد المقدسة في العراق ومنها الكاظمية المقدسة ومشهد العسكريين في سامراء ومقام الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف في الحلة، ثم رحل إلى كربلاء في صحراء كربلاء وزار مرقد الإمام الحسين عليه السلام والعباس عليه السلام وعلي الأكبر والقاسم والحر والمحسن (السقط) في صحراء كربلاء ثم زار النجف الأشرف وتشرف بزيارة مرقد الإمام علي عليه السلام الذي قال: إنه واقع في بحر النجف وزار آدم ونوح ضمن المرقد نفسه قال: وعلى ضريح أمير المؤمنين عليه السلام ثلاث عمائم ترمز لآدم ونوح وعلي عليهم السلام، المعروفة كمقام نوح ومقام إبراهيم ومقام محمد صلى الله عليه وآله ومرقد نبي الله يونس عليه السلام ومسجد السهلة

والحنانة ومشهد الكفل وخان النص وغيرها، ولا توجد في الرحلة تفاصيل أخرى عن أحوال تلك المشاهد أو عمارتها غير كلمات التبجيل والمبالغات الكلامية والاسجاع.

وخلال زيارة السلطان للعراق فقد زار منطقة الفرات الأوسط من المنازل التي مر بها في طريقه المواقع التالية: قلعة جك، خان بير نص (خان النص)، قرية المسيب، قلعة المسيب، كربلاء، صحراء النجف، والمشهد العلوي، مدينة الكوفة، صحراء الكوفة، مدينة الكفل، قلعة أنهارة، مدينة أنهارة، مدينة الحلة، خان بريص، قلعة البراني... إلخ.

وفي ما يلي ما تضمنته الرحلة من الزيارة من المواقع المذكورة ومن بينها الكوفة ومزاراتها.

وفي مدينة الحلة المحروسة دار السلطان مقام المنتظر وغاية المختبر خليفة الرحمن محمد المهدي صاحب الزمان، وكذلك مرضي الأوصاف والشمائل حضرة الشيخ أو الفضائل، وصاحب الميسرة والميمنة حضرة السلطان حجيمة.



بريّة الكوفة، رسم المطراقي (٩٤١هـ - ١٥٣٤م)

وفي أرض (الكرب والبلاء) حيث مرقد صاحب القبة الخضراء في الجنة، وخاتم الخلفاء الراشدين عند أهل السنة، والصابر على البلاء والمحنة الشهيد في أرض كربلاء،

الإمام المقتدى وابن المرتضى أبو عبد الله الحسين، وكذلك مرقد سيد المجتهدين وسند المتعبدين علي بن الحسين زين العابدين.

واللسان الناطق والأصل السابق مقام الإمام (جعفر بن محمد الصادق) وجميل الذات وكريم الصفات سيد الشهداء وسعد اللباس والمحمود عند الله والناس، ابن الإمام علي حضرة العباس والمعتصم بعناية الله، الملك العاصم وسلطان الشهداء وحضرة (قاسم ابن الإمام المرتجى وسبط المصطفى وابن المرتضى صاحب الجود والكرم والمنن (ابن محمد الحسن).

والنورين الأزهرين الأنورين درتي الصدفة النبوية ونجمتي بحر الفتوة، السيدين الشهيدين والمقتولين المظلومين (علي الأكبر وعلي الأصغر) ولدي (أبي عبد الله الحسين) وبر جبل المحسن المدفون في صحراء (كربلاء) أكرم أرباب السعد وأفخر أصحاب الشهد حضرة (حر الشهيد).

وكذلك المرقد الواقع في بحر النجف لجوهرة منجم لا فتى ومن بشأنه هل أتى قبلة العارفين وكعبة الطائفين وسلسلة المشايخ المتقدمين والمتأخرين، ومقتدى زهرة الأولياء والآخرين، وصاحب الكشف والإطعام وزائر بيت الله الحرام، العارف بأسرار الملكوت والواقف في أعلى مراتب القدس والجبروت، ونصل شجرة الولاية وفرع ثمرة النهاية، وفخر آله طه ويس ابن عم سيد المرسلين الشهيد السعيد وأسد الله الغالب (علي ابن أبي طالب) واصل السلالة الإنسانية والبناية البشرية، مسجود الملائكة المقربين ومصدر السنة الأولين والآخرين المشرف بتشريف: اسكن أنت وزوجك الجنة، فاتح أبواب التوبة والظاهر بعناية الرحمن الباعث نحو لعنة الشيطان وسبب وجود نسل الآدم مقام حضرة نبي الله (آدم).

وشيخ الأنبياء وقدرة الأصفياء المبالغ في الدعوة إلى الدين والمجاهد في أعلام اليقين، المداوم على إظهار الشريعة والمقدم في إعلان الطريقة ملامح بحر التوحيد، الربان في بحر تقرير النجاة وباني سفينة.

الحياة دافع أمطار البلاء وقاطع طوفان الإبتلاء، صاحب الكشف والفتوح مقام نبي الله نوح الكائن في الكوفة وهو أبو الرسل العظام وجد الأنبياء، الكرام ونور صديقة النار وشجرة

السرد في بستان الأبرار، الذي قيل في حقه: يا نار كوني برداً وسلاماً، إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً مسلماً، وكذلك زار السلطان الحرم الرحماني والمحرم الشبحاني باني بناء الصفا وشرف نسل المصطفى واضع أسس قبلة الإسلام وعامر بنيان بيت الله الحرام، المكرم بتكريم الكرامات والمشرف بتشريف الآيات البينات، خليل الرحمن وجليل البرهان ومظهر العز والتكريم مقام حضرة نبي الله إبراهيم ومجمع غرائب الكرامات وصاحب الشريعة القاهرة ومنشئ الطريقة الباهرة، المظهر بأدل الكتب الأربعة ومظهر الآيات التسع المشهورة، مقتدى الأنبياء العظام ومتبوع زمرة الأولياء الكرام، غالب الفرعون، الطاهر والناظر وهالك أقباط البيداء ودمام عساكر الإسرانيليين، المهدي الهادي بنور الطور المخصوص، كليم الرحمن مقام حضرة موسى بن عمران، ونفحة النفس الرحماني ومظهر الألطاف السبحاني، المتربع في الأعالي والمستوطن في جلال السماوات واضع معالم الشريعة ومرشد مسالك الطريقة، المبشر بأحمد والمصدق بموسى، روح الله الأكرم مقام حضرة عيسى بن مريم، ومن ثم زار السلطان مقام خاتم الأنبياء والمرسلين سيد الأولين رسول الكونين وقدوة الثقلين، واسطة العقل والكمال وطبعة خاتم الجلال مروة مروءة الصفا مقام حضرة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك شمس السعادة وقمر فلك السيادة ومشتري عالم النبوة وقطب دهر الفتوة المالك الغني، مقام حضرة (يونس النبي) الواقع في أنحاء الكوفة، وكذلك فخر أرباب الهداية وذخر أصحاب الرياضة حضرة عبد الله بن أوفى، ومن صحابة حضرة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، وزينب بنت ولي حضرة الشيخ عطاء الله.

ورافع غطاء الضلالة وكاشف أسرار الجلالة مرقد الشيخ شمس الدين أبي وضوح في المنصلف.

ومخزن الأبرار الأحمدي ومنبع الأنوار المحمدي حضرة ذي الكفل النبي صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

فقام السلطان بأداء الزيارة إليها جميعاً واطلع في طريقه إليها على المهالك والممالك العديدة في عراق العرب من طلب الممالك صبر على المهالك لذا فقد تجسم عناء السفر

إلى كربلاء والحلة والمنصلف وكوفة وحنانة وسهلة وبحر النجف.[١]



(١) العتبات المقدسة في الكوفة ص ١٦٥.

المصادر

١- رحلة الرابي بنيامين التطيلي وفيها وصف لأوضاع اليهود في مختلف البلدان ولفرق الدروز والحشاشين وغيرها، ترجمه عن العبرية ودراسة وتعليق وذيل عن فرق اليهود بقلم عزرا حداد، دار ومكتبة بيبليون جبيل - لبنان٢٠٠٨ م.

٢- الطريحي: محمد سعيد، العتبات المقدسة في الكوفة ص ١٧٤، ط٤ المجمع العلمي الفاطمي - أكاديمية الكوفة ٢٠١٠ هولندة.

٣- رحلة أوليفيه إلى العراق ترجمة د.يوسف حبي، بغداد ١٤٠٨ه١٩٨٨.

٤- محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ج٣ص٣٥١ سنة ١٣٧٤هجرية -١٩٥٤.

٥- خطط الكوفة ورسم خريطتها، تأليف المسيو لويس ما سينيون، ترجمة: تقي محمد المصعبي، تحقيق: د.كامل سلمان الجبوري ط ١ ١٣٩٩/ ١٩٧٩م مطبعة الغري الحديثة - النجف الأشرف.

٦- نجيب العقيقي، المستشرقون، نشر دار المعارف بمصر.

٧- عبد الحميد العلوجي: من تراثنا العلمي ١٩٦٦.

٨- رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، من أعلام القرن ٨، طبع منشورات دار بيروت، بيروت ١٤٠٥ هـ

٩- رحلة ابن جبير الأندلسي (تذكره بالأخبار من اتفاقات الأسفار) دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت.

١٠- موسوعة الفرق الإسلامية تأليف الدكتور محمد جواد مذكور، تعريب علي هاشم، مجمع البحوث الإسلامية بيروت ط١ ١٩٩٥م.

١١- رحلات السيد محسن الأمين العاملي، محسن الأمين العاملي - الغدير للدراسات والنشر ط١ ١-٢.

١٢- مجلة الكوفة، المجلد الخامس ع١، سنة ٢٠٠١م عدد خاص بمناسبة الفية الكوفة.

١٣- على ضفاف الفرات - الرحالة الليدي درور، ترجمة فؤاد جميل - نشر دار الوراق.

١٤- الدكتور هشام جعيك،الكوفة نشاة المدينة العربية الإسلامية، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ط٢ ١٩٩٣.

١٥- مجلة الموسم،أكاديمية الكوفة - هولنده، صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور محمد سعيد الطريحي.

١٦- مجلة آفاق نجفية، النجف الأشرف، صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور كامل سلمان الجبوري.

١٧- رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، كارستن نيبور،١-٢ دار الإنتشار العربي - بيروت لبنان.

١٨-١٨٥٧ . loftus w k travels researches in chaldeae susiaua lo ndon

١٩- موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي ج٦، النجف الأشرف / القسم الأول مؤسسة الأعلمي بيروت ط٢ ١٩٨٧ م.

٢٠- تأريخ الكوفة الحديث، كامل سلمان الجبوري ط١ ١٩٧٤ - مطبعة الغري الحديثة - النجف.

٢١- مجلة الإعتدال النجفية لصاحبها محمد علي البلاغي الإعداد من ٥- ٨ السنة الثانية ١٩٣٤م.

٢٢- ثم اهتديت تأليف الدكتور محمد التيجاني.

٢٣- رحلة المنشيء البغدادي، ترجمة عباس العزاوي شركة التجارة والطباعة المحدودة -بغداد ١٩٤٨.

٢٤- الفرات الأوسط رحلة وصفية ودراسة تأريخية، لوا موسيل، ترجمة صدقي حمدي وعبد المطلب عبد الرحمن، طبع المجمع العلمي العراقي ١٩٩٠ م.

٢٥- بلدان الخلافة الشرقية، كي لسترنج (١٨٥٤-١٩٣٣)، طبع المطبعة الحيدرية.

الفهرس